



179

الصداقة
من منظور علم النفس

تأليف:

د. أسامة سعد أبو سريع

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923 ـ 1990

179

الصداقة

من منظور علم النفس

تأليف:

د. أسامة سعد أبو سريع



المحتوى

المحتوى
المحتوى
المحتوى

المحتوى

تقديم

دكتور عبد الحليم محمود السيد
أستاذ علم النفس-كلية الآداب-جامعة القاهرة

يمثل كتاب «للصداقة من منظور علم النفس» الذي بين يدي القارئ العربي الآن، أحد معالم علم النفس الحديث في خدمة المجتمع العربي، فهو يتناول موضوعا على جانب كبير من الأهمية العلمية والتطبيقية، إذ إن موضوع الصداقة يشغل بال كل شخص يريد أن يعرف المزيد، حول كيف تبدأ الصداقة الناجحة بين الأفراد-من نفس الجنس- وكيف تستمر، وما الظروف التي تهددها.

وإذا كان الإنسان بطبيعته يعد كائنا اجتماعيا فان نجاحه في تكوين أصدقاء، واستمرار علاقاته معهم، يعد شرطا أساسيا من شروط تمتعه بصحة نفسية وجسمية، واستمتاعه بحياة لها معنى.

ومع أن التراث الإنساني زاخر بكتابات حول الصداقة والأصدقاء، إلا أن معظم هذا التراث القديم منه والحديث، يمثل تأملات وانطباعات تقوم على أساس الخبرة الشخصية، حيث يعطي للصداقة طابعا إيجابيا إذا توافرت للشخص الذي يسجل خبرته أنواع من الخبرات الإيجابية، ويعطيها طابعا سلبيا في حالة توافر خبرات محبطة مع الأصدقاء. ويندر في هذه الكتابات، تجاوز الخبرة الشخصية إلى تسجيل الأسس التي تقوم عليها الصداقة وقد غلب عند محاولة صياغة هذه الأسس طابع التعميم الشديد لخبرات نوعية، فردية أو ثقافية، على أن مثل هذه الكتابات توضح عمق اهتمام الإنسان بموضوع الصداقة وحاجته الماسة

إلى سبر أغوارها.

وقد عني المؤلف بعرض جذور التفكير الإنساني في موضوع الصداقة، حيث عرض آراء فلاسفة اليونان، والمفكرين المسلمين، في هذا الموضوع، مع استخلاص أهم ملامح أفكارهم، كما قام بعرض شائق للكتابات الحديثة التي تناولت موضوع الصداقة في الثقافة الغربية، مع التركيز على الدراسات العلمية التي حاولت الكشف عن أبعاد الصداقة وظروف نجاحها أو فشلها، مع التمييز بين مفهوم الصداقة وأنواع أخرى من العلاقات الإنسانية مثل الزمالة، والحب.

ويحسب للدكتور أسامة أبو سريع، أنه أول من أدخل موضوع الصداقة إلى دائرة البحث العلمي المنظم في الثقافة العربية، وهو يتناولها من منظورين:

الأول: منظور علم النفس الاجتماعي الذي يحاول اكتشاف قوانين التفاعل بين الشخص وبين الآخرين.

والثاني: منظور ارتقائي، يحاول اكتشاف قوانين السلوك الإنساني-وهو هنا سلوك الصداقة-عبر مراحل العمر المتتابعة.

ولم يقنع الدكتور أسامة بكل ما أتيح له من تراث عالمي حديث حول موضوع الصداقة، فيقوم بترجمتها وترجمة أدوات الدراسات التي أجريت بالخارج كما يفعل الكثيرون، وإنما اثر مشقة محاولة اكتشاف أهم ملامح الصداقة في مجتمع عربي، هو مصر.

ويتميز هذا الكتاب، بأنه يجمع بين مزيتين يندر إمكان الجمع بينهما،هما:-

الالتزام بالمنهج العلمي الذي يساعد على اكتشاف أبعاد الصداقة.

- وتقديم المعرفة العلمية بسلاسة وبساطة بحيث يمكن للمثقف الجاد أن يضعها موضع التطبيق في حياته الشخصية والاجتماعية.

لذلك كله فإن الكتاب، يعد أحد معالم الدراسات النفسية الاجتماعية الحديثة في العالم العربي، وهو يعد-بحق-إضافة جديدة وجادة للمكتبة العربية.

تمهيد

يعد موضوع الصداقة من أكثر الموضوعات التي تستأثر باهتمام علماء النفس بمختلف تخصصاتهم في الفترة الراهنة. ويشكل هذا الموضوع رافدا من بين الروافد المتنوعة التي تفرعت من مجال بالغ الخصوبة والثراء اصطلح الباحثون المحدثون على تسميته «سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص». وهو مجال عريض يحيط في دائرة عنايته بعلاقات اجتماعية شديدة الأثر في حياتنا، وتأتي في مقدمتها العلاقات الأسرية والزوجية وعلاقات الحب والزمالة والصداقة سواء بين الجنسين أو بين أبناء الجنس الواحد.

وقد فرض موضوع العلاقات بين الأشخاص نفسه على ساحة البحث النفسي والاجتماعي لاعتبارات متعددة، لعل من أهمها ما يلي:

أ-إن التفكير الإنساني ظل منشغلا بأسرار الحب والصداقة في كل العصور إلى يومنا هذا، ومع ذلك فلا يزال الغموض الممزوج بالرغبة المتأججة في الفهم والتيقن هو السمة المميزة لهذا الفكر.

ب-إن الشواهد التي تبين أثر العلاقات الاجتماعية الناجحة في دعم الصحة الجسمية والنفسية للأفراد قد تأيدت، مما يفرض توجيه قدر من الاهتمام نحو دراسة تلك العلاقات بما يتناسب مع أهميتها.

ج-إن عيوبا منهجية لا يستهان بها تكتنف عددا غير قليل من الدراسات النفسية والاجتماعية التي

تناولت بالفعل هذا الموضوع، الأمر الذي يفرض مواصلة البحوث التي تستهدف تصحيح الأخطاء المنهجية التي وقعت فيها بعض الدراسات السابقة.

ويتناول كتابنا موضوع الصداقة، ويركز بشكل خاص على علاقات الصداقة بين أبناء الجنس الواحد. وقد راعينا في إعداده أن يقدم للقارئ الكريم صورة متكاملة تلم بمختلف أبعاد الصداقة، فبدأنا بتأمل بعض الأفكار التي تكشف عناية التراثين اليوناني والعربي بعلاقات الصداقة، ثم تحولنا إلى تراث علم النفس الحديث، فقدمنا تعريفاتها، ووظائفها في حياتنا النفسية والاجتماعية، ثم استعرضنا مجالات الاهتمام الرئيسية في بحوث الصداقة، وتناولنا بعضها تفصيلا، فألقينا الضوء على ملامح ارتقاء الصداقة عبر مراحل العمر، وطبيعة الظروف النفسية التي تصاحب نمو الصداقة وتعمقها، ثم أشرنا إلى أبرز الدراسات النفسية المتعلقة بالصداقة في ثقافات مختلفة، وبعد هذا قدمنا نموذجا لدراسة ميدانية أجريناها لاستكشاف ملامح ارتقاء الصداقة في الثقافة المصرية.

وحتى تكتمل الفائدة من الكتاب حرصنا في فصله الأخير على اقتراح بعض الأساليب المعينة على دعم مهارات الصداقة وتحسين التفاعل الاجتماعي، والتي تناسب أطفالنا وشبابنا في مرحلتي الطفولة والمراهقة بصفة خاصة.

وقد توخينا التوازن الدقيق بين عمق المادة العلمية وبساطتها بما يجعل الكتاب مفيدا للقارئ المتخصص في مجالات البحث النفسي والاجتماعي وأيضا للقارئ المثقف غير المتخصص، ولذا راعينا الإشارة إلى نتائج الدراسات النفسية الحديثة، وإلى مناهج البحث المتقدمة في بحوث العلاقات بين الأشخاص، هذا من ناحية، وحاولنا جهد طاقتنا-من ناحية أخرى- توضيح المفاهيم وتفسير النتائج وشرح ما توحي به من دلالات نظرية وتطبيقية، وذلك لعلمنا أن موضوع الصداقة يهم الكثير من أولياء الأمور والمدرسين والمشرفين ورجال الدين والتربية وكل المسؤولين عن التنشئة الاجتماعية لأولادنا وبناتنا. هذا بخلاف أن التوافق الاجتماعي مع الزملاء والأصدقاء غاية ننشدها على المستوى الشخصي في مختلف مراحل العمر.

ورجائي أن يلقى الكتاب حسن القبول من جانب القارئ الكريم، وأن

يحقق النفع المرجو منه بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

وأسجل في خاتمة هذا التمهيد خالص شكري وامتناني لأستاذي الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود السيد أستاذ علم النفس في كلية الآداب- جامعة القاهرة، لما قدمه لي من عون وتوجيه كان لهما أكبر الأثر في خروج هذا الكتاب بهذه الصورة.

١ الصداقة في التراثين اليوناني والإسلامي

أولا: مدخل تمهيدي

يحظى موضوع الصداقة باهتمام واسع المدى لا تنحصر حدوده في إطار الدراسات النفسية والاجتماعية فحسب، بل يتسع نطاقه ليشمل كافة مجالات الحياة الإنسانية من فلسفة وفنون وآداب. والاهتمام بالصداقة ليس وليد حياتنا المعاصرة، بل هو اهتمام عريق يضرب في أعماق التاريخ نظرا للمكانة الرفيعة التي شغلتها الصداقة دائما، بوصفها قيمة إنسانية عظيمة الأثر في حياة الفرد والجماعة والمجتمع.

وفي سياق الكتاب الذي بين أيدينا سنفصل القول-خلال الفصول التالية-في نتائج البحوث والدراسات النفسية الحديثة، التي تناولت الوظائف النفسية والاجتماعية التي تنهض بها العلاقات الاجتماعية بصفة عامة وعلاقة الصداقة بصفة خاصة في مختلف المراحل العمرية بدءا من الطفولة وحتى الكهولة، وسنلقي الضوء حينئذ على دور الصداقة في حفظ الصحة النفسية للأشخاص وفي حمايتهم من أضرار العزلة والانطواء، ونرى

أنه من الخير-قبل أن نخوض في تلك التفاصيل-أن نلتقط الخيط من أوله، وأن نستهل كتابنا بتأمل بعض المظاهر التي تكشف عن الاهتمام التاريخي بالغ القدم بالصداقة وبأثرها في الحياة الإنسانية، ولهذا الغرض خصصنا الفصل الأول، ونتناول من خلاله الصداقة في التراثين اليوناني والإسلامي.

ونكتفي هنا بتقديم نماذج محدودة غير أنها كاشفة عن احتفال التراث الإنساني بالصداقة، فنعرض أولا آراء أرسطو في الصداقة من كتابه «علم الأخلاق» لتمثيل الفكر اليوناني القديم في القرن الرابع قبل الميلاد، وبعدها نقدم نماذج نستقيها من بين كتابات أدبية ودينية تمثل التراث العربي والإسلامي حول الموضوع نفسه، وذلك على النحو الآتي:

ثانيا: الاهتمام بالصداقة في التراث اليوناني (آراء أرسطو في الصداقة):

يبين أرسطو في كتابه «علم الأخلاق إلى نيقوماخوس» أن الصداقة إنما هي حد وسط بين خلقين، فالصديق هو الشخص الذي يعرف كيف يكون مقبولا من الآخرين كما ينبغي. أما الشخص الذي يبالغ حتى يكون مقبولا لدى الجميع إلى الدرجة التي تجعله لا يعارض في أي شيء حتى لا يسيء إلى الآخرين فهو المساير، وذلك إن كان يفعل هذا بدون سعي إلى منفعة شخصية وإنما لولعه بالإرضاء. أما إن كان يهدف من مسايرته إلى مصلحة شخصية فهو المتملق. وعلى الضد يصف أرسطو الشخص الذي لا يكترث بالقبول من جانب الآخرين بأنه الشرس، والعسر والمشاغب، والصعب في المعيشة (9: الجزء الأول ص ص 255- 256، الجزء الثاني ص 39).

ولا يحبذ أرسطو إلا الوضع الوسط، ويرى أن هذا الوضع يشبه الصداقة، ويعلل رأيه بأننا أكثر استعدادا لقبول الشخص الذي ينتمي إلى هذا الوضع كصديق لنا، إذا جمع إلى رغبته في التقبل الشعور بالميل إلينا. ويوحي الشرط الأخير بأن الرغبة في اكتساب قبول الآخرين ليست مرادفة تماما للصداقة. ويفسر أرسطو وجهة نظره بأن بعض الناس يرغبون في أن يكونوا مقبولين، ولكن دون أن يشعروا بأي عاطفة، فهم يفعلون ما يجب وما ينبغي أن يفعلوه مع من يعرفونهم ومع من لا يعرفونهم ليس لحب ولا لبغض ولكن لحرصهم على أن تكون معاملاتهم مع الآخرين كما ينبغي أن تكون

المعاملة (9: الجزء الثاني ص 40).

ويضيف إلى تعريف الصداقة أنها عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للآخر، مع العلم بتلك المشاعر المتبادلة فيما بينهما (المرجع السابق، ص ص 225-226). وفي موضع آخر يفصل التعريف بأن «الصديق» هو من يعيش معك، والذي يتحد وإياك في الأذواق، والذي تسره مسراتك وتحزنه أحزانك (المرجع نفسه، ص 288)، وبذلك تقوم الصداقة على المعاشرة، والتشابه، والمشاركة الوجدانية.

وعندما ينتقل إلى شرح أهمية الصداقة يذكر أنها إحدى الحاجات الضرورية للحياة، لأنه لا يقدر أحد أن يعيش بلا أصدقاء مهما توافرت له من خبرات، فالأصدقاء هم الملاذ الذي نلجأ إليه وقت الشدة والضيق، والصداقة ضرورية للشباب لأنها تمده بالنصائح التي تحميه من الزلل، وهي مهمة للشيخ تعينه حيث يتقدم العمر، ويضعف البدن (المرجع نفسه، ص 220).

وهنا يعقد أرسطو مقارنة لطيفة بين قيمتي العدل والصداقة فيشير إلى أنه «متى أحب الناس بعضهم البعض لم تعد حاجة إلى العدل، غير أنهم مهما عدلوا فإنهم لا غنى لهم عن الصداقة، وأن أعدل ما وجد في الدنيا بلا جدال هو العدل الذي يستمد من العطف والمحبة» (المرجع نفسه، ص 221).

ويميز أرسطو بين ثلاثة أسس للمحبة، وهي المنفعة utility واللذة pleasure والفضيلة ideal. ويضيف أن صداقة المنفعة صداقة عرضية (casual friendship تنقطع بانقطاع الفائدة. أما صداقة اللذة فتنعقد بسهولة وتنحل بسهولة، بعد إشباع اللذة أو تغير طبيعتها. وأما صداقة الفضيلة فهي أفضل صداقة، وتقوم على تشابه الفضيلة وهي أكثر دواما. وتكون الصداقة أكمل ما تكون عندما تتوافر لها الأسس الثلاثة: المنفعة، واللذة، والفضيلة (المرجع نفسه، ص ص 227 - 231).

وينبه أرسطو إلى شرط إضافي غاية في الأهمية وهو عنصر الزمن مشيرا إلى أن الصداقة الحقة لا تتكون بسرعة أبدا، وأنها لا تكتمل إلا على مدى الزمن، ومن خلال الشروط الأخرى التي ذكرناها تصير الصداقة إلى قدر أكبر من التساوي والتشابه بين الصديقين (المرجع نفسه، ص 231).

ويلتفت أرسطو إلى بعض الظروف المؤثرة في الصداقة ومنها تباعد الأمكنة، فيقرر أن البعد بين الصديقين لا يقطع الصداقة ولكن يوقف مظهرها إيقافا مؤقتا، غير أن الغيبة إن كانت طويلة جدا فيمكن أن تنهي الصداقة بفعل النسيان (المرجع نفسه، ص 236).

ويمضي أرسطو مبينا ضعف إقبال الشيوخ والسوداويين (الذين يميلون إلى الكآبة) على الصداقة، وذلك لأن سعيهم إلى اللذة ضئيل (المرجع نفسه، ص 237).

واستكمالا لشروط الصداقة يذكر أرسطو أن الصداقة الحقة تقتصر على شخص واحد، لأن الروابط المتعددة لا تكون بالعمق المطلوب، فمن الصعب أن يحظى الشخص بحب الكثيرين ويرتبط معهم بصداقة كاملة. فالصداقة وفق تعبيره ضرب من الإفراط في نوعها، وهي ميل يتغلب على سائر الميول ولا يتجه بطبيعته إلا إلى شخص واحد.

ويضيف أرسطو إلى تفسيره أنه من الصعب على الشخص أن يكون على وفاق في الخلق مع أناس كثيرين. ويبدو أن عدد الأصدقاء مرتبط بالأساس الذي تقوم عليه الصداقة، ففي ظل صداقات اللذة يمكن للشخص أن يجرب علاقات مختلفة حتى يجد الصديق الذي يسره ويشاركه في لهوه. وفي ظل المنفعة أيضا من اليسير على الشخص أن يدخل في علاقات متعددة، وذلك لأن كثيرا من الأشخاص مستعدون لتلك العلاقات، إلا أنها ضئيلة الحظ من حيث الاستقرار والدوام (المرجع نفسه، ص ص 240-241).

ثم يتناول أرسطو تأثير المكانة الاجتماعية فيشير إلى تباين عدد الأصدقاء وخصائص الصداقة في ظل المستويات المختلفة للمكانة الاجتماعية، ويرجح أن صداقات الأغنياء وذوي المراكز الرفيعة أكثر تنوعا، فهم يعقدون صداقات مع أشخاص نافعين وآخرين ملائمين، وهم لحرصهم على اللذة يهتمون بالأصدقاء المحبوبين المرحين، أو بالأصدقاء الماهرين القادرين على فعل ما يؤمرون به (المرجع نفسه، ص 242).

ويرى أرسطو أن الصداقة تقوم في الأساس على المساواة في المكانة الاجتماعية حيث يتبادل الأصدقاء الخدمات ذاتها أو يتعاوضون مزية بأخرى، ويقرر أن الناس لا يصيرون أصدقاء عندما تتفاوت مراكزهم، وعندما تتسع السافات بينهم من جهة الفضيلة أو الثروة أو أي شيء آخر (المرجع

نفسه، ص ص 242 - 245).

وينتقل أرسطو إلى بيان طبيعة الخلافات التي قد تنشب بين الصديقين فيوضح أنها تختلف باختلاف الأساس الذي تقوم عليه الصداقة، ففي ظل الصداقة القائمة على الفضيلة لا تحدث شكاوى ومعاتبات، فهي صداقة تقوم في المحل الأول على فعل الخير، كما لا تحدث شكاوى في صداقة اللذة، لأن الصداقة إما أن تشبع اللذة أو لا تشبعها، وفي الحالة الثانية تنقطع الصداقة تلقائيا، وتنحصر الشكاوى في الصداقة القائمة على المنفعة، لحرص كل طرف على أن يأخذ أكثر مما يعطي (المرجع نفسه، ص ص 266-267).

ويشير أرسطو إلى أن تشابه الصديقين هو الذي يحفظ الصداقة من الشقاق والخلاف.

وعندما لا يتشابه الصديقان يقوم التناسب مقام التشابه في صيانة الصداقة من التقطع والخلاف.

ويفسر أرسطو أسباب الخلاف بين الشخصين عندما يكون أحدهما أرفع من الآخر من حيث الفضيلة أو النفع بأن كل جانب منهما يظن أنه يستحق أكثر مما يعطاه. إذ يشعر مقدم الخدمة أن ما يحصل عليه لا يتناسب مع خدماته، وهنا تصير الصداقة من منظور هذا الشخص سرقة أو استغلالا، ويشبه أرسطو ذلك الموقف بشركات رؤوس الأموال، فمن المتعارف عليه أن من يدفع فيها نصيبا أكبر يحصل على حظ أوفر من الأرباح.

وفي المقابل يشعر الفرد الأقل مكانة ونفعا بالسخط والتبرم، إذ يشعر أن تقديم العون والخدمة له والتضحية من أجله أمر واجب على صديقه مادام ذلك بمقدوره (المرجع نفسه، ص ص 272 - 273).

ثم نأتي إلى القول الذي يؤكد أرسطو من خلاله أهمية الصداقة عندما يطرح السؤال التالي: في أي الحالتين يكون المرء أحوج إلى الأصدقاء: أفي الرخاء والسعادة أم في الشدة والشقاء؟ وتأتي إجابته بأن المرء يحتاج إلى الأصدقاء في حالتي السعادة والشقاء فعند الشقاء يحتاج المرء إلى أصدقائه ليقدموا له العون، كما أن حضورهم في حد ذاته باعث على السرور. أما عند السعادة فتنتعش حاجة الشخص إلى من يشاركه سعادته، فالإنسان

اجتماعي بطبعه، والرجل السعيد سليم الطبع يسعى إلى اكتساب القبول لدى الآخرين وتجنب العزلة لثقلها على النفس. وينهي أرسطو إجابته بأن الحاجة أشد إلى الصديق وقت الرخاء، لأن حضوره يجلب سعادة مزدوجة، قوامها المعاشرة اللذيذة معه، إضافة إلى التمتع وإياه بما تيسر من خيرات (المرجع نفسه، ص ص 310 - 313 - 319 - 331).

تعقيب على آراء أرسطو في الصداقة:

واضح من اللمحات المختصرة التي قدمناها أن تأملات أرسطو حول الصداقة جديرة بالنظرة الفاحصة، فهي بالإضافة إلى دلالتها على أهمية الصداقة في الحياة الإنسانية تزخر بعديد من الأفكار التي يمكن صياغتها في شكل فروض قابلة للاختبار عن شروط الصداقة، والأسس التي تقوم عليها، وتميزها عبر المراحل العمرية، وتباينها في ظل الفروق في سمات الشخصية والمكانة الاجتماعية، وتأثرها بالقرب أو البعد المكاني، وبطبيعة الخلافات التي قد تقع بين الصديقين وتهدد صداقتهما، وأثر التشابه والتناسب في حل تلك الخلافات.

ثالثا: الاهتمام بالصداقة في التراث العربي والإسلامي:

ربما يكون ملائما في هذا السياق أن نستعرض التعريفات القاموسية العربية للصداقة قبل أن نلقي النظر عليها في إطار التراث العربي والإسلامي.

1- تعريف الصداقة في المعاجم العربية:

جاء في لسان العرب لابن منظور: الصداقة من الصدق، والصدق نقيض الكذب. وبهذا تكون الصداقة هي صدق النصيحة والإخاء، والصديق هو المصادق لك، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق، وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق (3: ص ص2417-2418).

وجاء في كتاب «الفروق في اللغة» لأبي هلال العسكري: إن الصداقة تعني اتفاق الضمائر على المودة، وهو يفرق بين الصاحب والقرين، إذ تفيد الصحبة انتفاع أحد الصاحبين بالآخر، ولهذا يقال للآدميين خاصة. فيقال صحب زيد عمرا.

ولا يقال صحب النجم النجم، وأصله في العربية الحفظ، أما المقارنة فتفيد قيام أحد القرينين مع الآخر وجريانه على طريقته وإن لم ينفعه، ومن ثم قيل قران النجوم، وقيل للبعيرين يشد أحدهما إلى الآخر قرينان (42: ص ص 277- 279).

2- آراء المفكرين العرب في تعريف الصداقة وشرح خصائصها:

نقرر بداية أن موضوع الصداقة كان محل اهتمام عدد كبير من الأدباء والمفكرين العرب. وبينما نلمح في طيات بعض الكتب العربية المعتنية بهذا الموضوع تأثرا واضحا بفكر أرسطو يضيف البعض الآخر أفكارا أصيلة غير مسبوقة، ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتناول كل تلك الأعمال، وإنما سنشير إلى أبرزها ونوضح أهم الخصائص التي تنطوي عليها، ثم سنتناول عملين منها بقدر أكبر من التفصيل وهما كتاب «الصداقة والصديق» لأبي حيان التوحيدي (312- 400 هـ)، وكتاب «أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن الماوردي (364- 450 هـ) حيث يصطبغ الأول بصبغة أدبية، ويمثل الثاني الفكر الديني حول الصداقة. وقبل أن نتناول هذين العملين نشير بإيجاز إلى بعض المؤلفات التي تكشف عناية المفكرين العرب بالصداقة، وذلك على النحو التالي:

أ- الباب الذي كتبه ابن المقفع (106- 142 س) بعنوان «في معاملة الصديق» ضمن كتابه «الأدب الكبير»:

ويركز فيه على آداب التعامل مع الصديق، ومن أقواله عن أهمية الصداقة والأصدقاء: «اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء وعدة في الشدة، ومعونة في المعاش والمعاد، فلا تفرطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والأسباب إليهم» (4: ص 80).

ونذكر من بين الآداب التي دعا ابن المقفع إلى التحلي بها في معاملة الأصدقاء ما يلي:

- إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبك ذلك، فإنما هو أحد رجلين: إن كان رجلا من إخوان الثقة، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك، لشر يكفه عنك، أو عورة يسترها منك، أو غائبة يطلع عليها لك، وإن كان رجلا من غير خاصة إخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ألا يصاحب ولا

يجالس إلا من تهوى.

- إذا أقبل عليك مقبل بوده فسرك ألا يدبر عنك، فلا تنعم الإقبال عليه والتفتح له، فإن الإنسان طبع على ضرائب لؤم، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه.

- اعلم أن انقباضك عن الناس يكسبك العداوة، وأن تفرشك (أي انبساطك) لهم يكسبك صديق السوء.

- ليعرف إخوانك، والعامة إن استطعت، أنك إلى أن تفعل ما لا تقول أقرب منك إلى أن تقول ما لا تفعل، فإن فضل القول على الفعل عار وهجنة، وفضل الفعل على القول زينة.

- لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذرا، ولا تستعن إلا بمن يحب أن يظفر لك بحاجتك، وإذا اعتذر إليك معتذر فتلقه بوجه مشرق ولسان طلق، إلا أن يكون ممن قطيعته غنيمة (4: ص 73، 76، 78، 0 8).

هذه من بين آداب أخرى وفيرة لا يسمح لنا المجال بالإسهاب فيها.

ب- الفصل الذي كتبه ابن مسكويه (المتوفى سنة 421 هـ) في كتابه «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»:

يعد ابن مسكويه من أشد الكتاب تأثرا بآراء أرسطو في الصداقة، ومن الدلائل التي تفصح عن هذا التأثر رأيه الذي يذهب إلى أن الناس يسعون في حياتهم لنيل واحدة أو أكثر من بين ثلاث حاجات وهي اللذة والمنفعة والفضيلة، ويصنف ضروب الصداقة تماشيا مع هذا التصور إلى ثلاثة ضروب، وهي صداقة اللذة أو المنفعة أو الفضيلة، وهو تصنيف سبقه أرسطو إلى إقراره، ويذكر ابن مسكويه من الخصائص المميزة لكل ضرب من ضروب الصداقة ما يلي:

- إن صداقة اللذة تنعقد سريعا، وتنحل سريعا، لأن اللذة متغيرة، وهي أكثر شيوعا بين الفتيان.

- إن صداقة المنفعة تنعقد بطيئا، وتنحل سريعا بانقضاء المصلحة، وهي صداقة كبار السن.

- إن صداقة الفضيلة تنعقد سريعا، وتنحل بطيئا، لأن الخير باق بين الناس، وهي صداقة الأخيار (2: ص ص 174- 176).

ولعل من أطرف ما جاء في كتابات ابن مسكويه دعوته إلى تقليل عدد

الأصدقاء وهو ينصحنا مرددا «ولتكتف بواحد إن وجد، فإن الكمال عزيز، وأيضا إن من كثر أصدقاؤه لم يف بحقوقهم، واضطر إلى الإغضاء عن بعض ما يجب عليه والتقصير في بعضه، وربما تراوحت عليه أحوال متضادة، أعني أن تدعوه مساندة صديق إلى أن يسره بسروره ومساندة آخر أن يغتم بغمه، وأن يسعى بسعي واحد ويقعد بقعود آخر، مع أحوال تشبه هذا كثيرة مختلفة» (2: ص 142).

جـ- كتاب «بداية الهداية» لأبي حامد الغزالي (450- 505هـ):

تناول الغزالي الصحبة والصداقة في كثير من أعماله، ونتناول من بينها كتابه «بداية الهداية»، وفيه قسم الغزالي الناس إلى ثلاثة أصناف، فهم إما أصدقاء، أو معاريف (أي معارف) أو مجاهيل، موضحا أن هناك آدابا خاصة يجب مراعاتها عند التعامل مع كل صنف من أصناف الناس، فمع الأصدقاء يشير الغزالي إلى وجوب التحقق من استيفاء الصديق لشروط الصداقة وهي العقل، وحسن الخلق، والصلاح، والكرم، والصدق (45: ص ص 143- 156) ويذكر الغزالي من حقوق الصحبة الواجبة مع الأصدقاء: الإيثار بالمال، والمبادرة بالإعانة، وكتمان السر، وستر العيوب والسكوت عن تبليغه مذمة الناس، وإبلاغه ما يسر من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث، ودعوته بأحب أسمائه إليه، والثناء عليه بما يعرف من محاسنه، وشكره على صنيعه في وجهه، والدفاع عنه في غيبته، ونصحه باللطف، والعفو عن زلته، وإحسان الوفاء مع أهله، والتخفيف عنه في المكاره، وإظهار السرور لرؤيته، والسلام عليه عند لقائه.

أما عن آداب التعامل مع المعارف (وهم من تربطنا بهم علاقة سابقة لا تصل إلى درجة الصداقة) فيذكر الغزالي: التأدب، والتواضع، والتحمل، وعدم الاطمئنان إليهم حتى وإن أظهروا المودة، مع التماس الأعذار لهم، والهدوء في المجلس، وحسن الحديث، وعدم الإلحاح في الحاجات، والاعتدال في الملبس وفي التزين، وعدم الإكثار من الالتفات والإشارة باليد أو التثاؤب.

أما آداب التعامل مع المجاهيل (وهم الأشخاص الذين تجمعنا الظروف بهم دون معرفة سابقة) فتشمل: قلة الإصغاء إلى أحاديثهم، والتغاضي عن سوء ألفاظهم، وتجنب كثرة لقائهم والحاجة إليهم، مع التنبيه على ألفاظهم البذيئة باللطف والنصح عند توقع القبول منهم (المرجع السابق).

د- كتاب أبي نجيب ضياء الدين السهروردي (490-563 هـ) «آداب المريدين»:

عني السهروردي ببيان شروط الصداقة وآدابها، وأوضح أن من بين شروط الصحبة الموافقة في الاعتقاد وفي الدين، وحث على التأني في اختيار وتجنب أصدقاء السوء إذ إن المرء على دين خليله، مشيرا إلى أن هناك ثلاثة أصناف من الناس فمنهم صنف كالغذاء لا يستغني عنه وصنف كالدواء نحتاج إليه أحيانا، وصنف كالداء ننفر منه في كل حين.

وذكر السهروردي من آداب الصحبة بين الناس حفظ الحرمات، وحسن العشرة والنصيحة وملازمة الإيثار والمعاونة في الدنيا والدين، والصبر على الإيذاء عملا بحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم، وفي الكل خير (22: ص ص 62- 84).

ويوضح السهروردي أن آداب الصحبة تعتمد على قدر المصاحب، فالصحبة مع المشايخ والكبراء تقوم على الاحترام والخدمة والتوقير، والصحبة مع الأقران بالبشر والانبساط والموافقة وبذل المعروف والإحسان، ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب والنصح بما ينفع، والصحبة مع الأستاذ باتباع الأوامر والنواهي وخدمته واحترامه، والصحبة مع الخدم بالتلطف والدعاء، ومع الغرباء بالبشر وطلاقة الوجه والصبر عليهم وخدمتهم، ومع السلطات بالسمع والطاعة إلا في معصية (المرجع السابق).»

هـ- كتاب «الصداقة والصديق» لأبي حيان التوحيدي:

نعرض بشيء من التفصيل آراء أبي حيان التوحيدي (312- 400 هـ) التي قدمها في كتاب «الصداقة والصديق»، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه قد خص بأكمله لموضوع الصداقة، وجمع العديد من الأقوال المأثورة في الصداقة والتي يغلب عليها الطابع الأدبي.

ونذكر بداية تعريف أبي حيان التوحيدي للصديق حيث يذكر أنه لفظ مشتق من الصدق، وهو خلاف الكذب، أو من الصدق، حيث يقال رمح صدق، أي صلب، وعلى الوجهين يكون الصديق صادقا (أي غير كاذب) إذا تحدث ويكون صدقا (أي صلبا جادا) إذا عمل» (11: ص 94).

ويعبر أبو حيان عن اقتناعه بقيمة الصداقة فيشير إلى أنها قد تسمو

على القرابة وهنا يستشهد بإجابة ابن المقفع عن سؤال وجه إليه ونصه: هل الصديق أحب إليك أم القريب ؟ فأجاب «القريب أيضا يحب أن يكون صديقا» (المرجع السابق، ص 28).

ويذكر أن من حق الصديق على صديقه القيام بأعبائه في غيابه، وحفظه ومعاونته عند حضوره وملاطفته إذا جفا، ومكافأته إذا وفق في عمل، والحديث عنه الحديث الطيب مع الأصدقاء الآخرين، ودفع الظلم عنه، والابتهاج لرؤيته، والحفاظ على سره، وعدم تصديق ما يقال عنه، ومعاتبته إذا وقع خلاف معه بدلا من قطع الصلة به نهائيا (المرجع نفسه، ص 27، 54 , 126).

ثم ينتقل أبو حيان ليفرق بين الصداقة الطيبة وصداقة السوء، فيذكر أن صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر، كما يميز بينهما في سرعة الاتصال والانقطاع، فيذكر أن المودة بين الصالحين بطيء انقطاعها سريع اتصالها كآنية الذهب بطيئة الانكسار هينة الإعادة، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بعيد اتصالها كآنية الفخار التي يكسرها أدنى شيء ولا جبر لها. ويضيف إلى هذا أن الصديق السيء هو الذي يحتاج في معاملته دائما إلى الملاينة، وهو أيضا من يضطر صديقه إلى الاعتذار له عن كل صغيرة وكبيرة لبعده عن التسامح. ويوضح أبو حيان أن العتاب ضروري بين الصديقين إذا وقع خلاف بينهما. ولكن بدرجة معتدلة، فالإسراف فيه يعد إلحاحا، أما صرف النظر عنه فيعد استهانة وتجاهلا للصديق (المرجع نفسه، ص 42, 109 , 118).

ويفرق أبو حيان بعد هذا بين نمطين من الأصدقاء، النمط الأول هو الصديق الذي يحسن الكلام ولا يحسن العمل نحو صديقه، والنمط الثاني هو النمط الذي يحسن العمل وقد لا يحسن الكلام. وهنا يستعير قولا لطيفا-رغم ما فيه من مبالغة-لتجسيد هذا الفرق وهو «أدركت أقواما كان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهرا أو شهرين، فماذا لقيه لم يزده على: كيف أنت وكيف الحال ؟ ولو سأله شطر ماله لأعطاه. ثم أدركت أقواما لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يوما سأله عن الدجاجة في البيت، ولو سأله حبة من ماله لمنعه» (المرجع نفسه، ص 109).

ويلتفت أبو حيان إلى الآثار طويلة المدى للصداقة، فيشير إلى أن دوام

الصداقة والمساعدة وتبادل الثقة يؤدي إلى التشابه في الاختيارات والغايات، رغم تعارض أعمال وتبعات الصديق في الحياة، حتى تصير عادة كل منهما إلى عادة واحدة، وتتحول الإراديتان إلى إرادة واحدة. وفي هذا المستوى يكون التفاهم بينهما أسرع وأوضح ما يكون، حتى يكفيهما التعبير عن العتاب بلمحة أو إشارة أو كناية لا يفهمها غيرهما. ويضيف أن أغلب الصداقات لا تصل إلى تلك الدرجة لأنها مجرد تعارف قائم على تشابه المنشأ أو النسب أو الجوار في السكن ويسودها الحسد والتنافس (المرجع نفسه، ص 66).

وآخر ما نعرضه من كتاب «الصداقة والصديق» المقارنة التي عقدها أبو حيان بين العشق والصداقة، إذ يرى أن الصداقة تقوم على التشابه وتلاقي الأخلاق بينما لا يلاحظ وجود تشابه بين العشاق، ويرجح أن الأنس بالصديق أقوى من الأنس بالعشيق، لأن الصديق يصلح لكل الأحوال في الجد والهزل والقليل والكثير، وهو متعة للعقل والروح معا. أما العشيق فإنه متعة للعين ولكنها متعة محفوفة بالشك والريب، كما يؤدي التعلق بالمعشوق إلى إثارة مشاعر الشجن والحزن، وفي معظم الأحوال لا تدوم العلاقة بين العاشق والمعشوق (المرجع نفسه، ص ص 13 ا- 114, 129- 130, 141, 171).

و- فصل المؤاخاة من كتاب «أدب الدنيا والدين» لأبي حسن الماوردي:

من المسائل التي يطرحها الماوردي (364- 450 هـ) في فصل عن المؤاخاة: اختلاف مذاهب الناس في كثرة الإخوان أو الأصدقاء، وأقسام الإخوان، وأهمية الاعتدال سواء في درجة التعلق ومحبة الصديق، أو عند معاتبته عندما يقع خلاف معه (49: ص ص 171- 179).

ففي المسألة الأولى يقرر الماوردي أن مذهب العقلاء في عدد الأصدقاء هو قلة الإخوان، ويبرر ذلك بقوله «إذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة وأسباب المودة، كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضي من حال صاحبه قلة إخوانه، لأنه يروم مثله ويطلب شكله وأمثاله من ذوي العقل والفضل.. ولأن الخيار في كل جنس هو الأقل، فلذلك قل وفور العقل والفضل» (المرجع السابق، ص ص 171- 172).

أما في المسألة الثانية وهي أقسام الإخوان، فيشير إلى أنهم ينقسمون إلى أربعة أقسام (وفقا لطلب العون أو تقديمه): فمنهم من يعين ويستعين،

ومن لا يعين ولا يستعين ومن يستعين ولا يعين ومن يعين ولا يستعين.

ثم يستطرد في تفرقة دقيقة بين كل قسم على النحو التالي «فأما المعين والمستعين فهو معاوض (أي محب للمعاوضة أو المبادلة)، يؤدي ما عليه ويستوفي ماله، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته. ومعذور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان.. وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك، قد منع خيره وقمع شره، فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى، فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لمنع خيره وإن كان باللوم أجدر.. وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل، ومهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وليس له في الإخاء حظ.. أما من يعين ولا يستعين، فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، قد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء فلا يرى ثقيلا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة، فهذا أشرف الإخوان نفسا وأكرمهم طبعا» (المرجع نفسه، ص ص 172- 173).

أما في المسألة الثالثة وهي الاعتدال في الحب والمعاتبة فيقول: «ينبغي (على المرء) أن يتوقى الإفراط في محبته، فإن الإفراط داع إلى التقصير، ولأن تكون الحال بينهما (أي بين الصديق) نامية أولى من أن تكون متناهية» وقد روي عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال «أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما» (المرجع نفسه، ص 178).

ويرتب الماوردي على ذلك ضرورة الاعتدال في زيارة الصديق دون تقليل أو إكثار، فإن تقليل الزيارة داعية الهجران، وكثرتها سبب الملال، ويستشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال«يا أبا هريرة زر غبا تزدد حبا» أي اجعل زيارتك ؟ لصديقك وقتا بعد وقت ولا تلازمه كل يوم (المرجع نفسه، ص 178).

وبنظرته نفسها يدعو إلى التوسط في المعاتبة بقوله: «إن كثرة العتاب سبب للقطيعة، وتركه جميعه دليل على قلة الاكتراث بأمر الصديق، وقد قيل: علة المعاداة قلة المبالاة، بل يتوسط حالتي تركه وعتابه، فيسامح بالمتاركة، ويستصلح بالمعاتبة، فان المسامحة والاستصلاح إذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور، ولم يبق معهما وجد، وقد قال بعض الحكماء لا تكثر من معاتبة

إخوانك فيهون عليهم سخطك (المرجع نفسه، ص 179).

تعقيب على ما جاء في التراث العربي والإسلامي حول الصداقة:

تكشف النظرة السريعة التي ألقيناها أن تراثنا غني بالأفكار والتأملات التي تحيط بمختلف أبعاد الصداقة، والتي تكشف عن بصيرة نافذة وخبرة متعمقة، ولسنا بحاجة إلى أن نذكر أنها رغم ما فيها من ثراء فإنها لا تغني عن الدراسة النفسية الواقعية لهذا الموضوع بكل ما تتحلى به من مقومات المنهج العلمي، وفي مقدمتها الاعتماد على المشاهدة الواقعية والتجربة والقياس مع التزام الموضوعية والدقة في تعريف المفاهيم ووصف خطوات البحث وظروفه.

ومن خلال الدراسة العلمية يمكننا التحقق من صدق التأملات الشخصية المستمدة من الرؤى الفلسفية والأدبية لخصائص الصداقة وحسم ما بينها من تعارض.

ويلزم التنويه إلى أن العلاقة بين تلك التأملات والتناول العلمي لموضوع الصداقة ليست بالضرورة علاقة تنافر، وإنما هي أقرب إلى أن تكون علاقة تكامل، إذ تستمد هذه التأملات قيمتها من قدرتها على الإيحاء بالكثير من الأفكار القابلة للدراسة، بينما تكتسب النظرة العلمية قوتها من اعتمادها على قواعد البحث العلمي المنظم. وعلى هذا ننتقل مباشرة إلى استعراض خصائص الصداقة في إطار الدراسات النفسية الاجتماعية المعاصرة.

2 الصداقة في تراث علم النفس: التعريف والخصائص

أولا: التعريفات النفسية للصداقة

في تعريفنا للصداقة نبدأ أولا بتقديم بعض تعريفاتها العامة، ثم نبرز بعض خصائصها ونزيد في تجليتها بمقارنتها أولا بخصائص أشكال أخرى من العلاقات الاجتماعية العلاقات السطحية والزمالة والحب، ثم نبرز ثانيا إلى الفروق بين الصداقة والجاذبية بين الأشخاص والتقبل الاجتماعي حيث شاع الخلط بين المفاهيم الثلاثة لدى عدد من الباحثين المهتمين بدراسة العلاقات بين الأشخاص. أما عن تعريف الصداقة فقد أورد أنجليش وأنجليش English & English التعريف التالي: «الصداقة علاقة بين شخصين أو اكثر تتسم بالجاذبية المتبادلة-المصحوبة بمشاعر وجدانية تخلو عامة من الرغبة الجنسية (119: ص 217).»

وعرفت الصداقة في سياق آخر بأنها علاقة اجتماعية وثيقة ودائمة، تقوم على تماثل الاتجاهات بصفة خاصة، وتحمل دلالات بالغة الأهمية تمس توافق الفرد واستقرار الجماعة (213: ص ص 12ـ17).

ويضيف سيرز Sears وزملاؤه إلى تعريف الصداقة بوصفها علاقة اجتماعية وثيقة ثلاث خصائص أساسية تميزها وهي:

1- الاعتمادية المتبادلة، التي تبرز من خلال تأثير كل طرف في مشاعر ومعتقدات وسلوك الطرف الآخر.

2- تشمل العلاقات الوثيقة أنماطا مختلفة من النشاطات والاهتمامات المتبادلة حيث يميل الأصدقاء إلى مناقشة موضوعات مختلفة، كما يشتركون في ضروب متنوعة من النشاطات والاهتمامات بالمقارنة بالعلاقات السطحية التي تتركز في أغلب الأحوال حول موضوع أو نشاط واحد.

3- قدرة كل طرف من أطراف العلاقة على استثارة انفعالات قوية في الطرف الآخر وهي خاصية مترتبة على الاعتمادية المتبادلة بين الأصدقاء، إذ تعد مصدرا لكثير من المشاعر الإيجابية السارة وأحيانا غير السارة (224: ص ص 229- 230).

وفيما له صلة بالاعتمادية المتبادلة كخاصية للصداقة يعرف رأيت، Wright وكيبل Keple الصداقة بأنها علاقة تتميز بوجود قدر من الاعتماد المتبادل يجري بشكل إرادي ويسمح بالتفاعل الشخصي المباشر والمتفرد، ويترتب عليه أن يكون تفكير كل طرف في خططه ونشاطاته معتمدا إلى حد بعيد على تفكير الطرف الآخر في نفس الأمور بدون قيد أو ضغط خارجي، وفي ظل تلك العلاقة يحصل الأصدقاء على فوائد متنوعة تشمل:

1- المساندة والتشجيع ودعم الثقة بالنفس والتقويم الإيجابي للذات.

2- التحقق من صحة الأفكار والآراء الشخصية بعد تهيئة الظروف الميسرة للإفصاح عنها.

3- التنبيه stimulation حيث يتميز الأصدقاء بالقدرة على توسيع الأفكار والمعارف والرؤى الشخصية لموضوعات متعددة.

4- النفع المباشر بتسخير الوقت والموارد الشخصية لخدمة الصديق وتلبية حاجاته [251]. ويذكر جيوردانو Giordano وزملاؤه مظاهر أخرى تعكس خصائص التفاعل الاجتماعي بين الأصدقاء ويأتي في مقدمتها:

1- مقدار الزمن الذي يقضيه الأصدقاء في صحبة بعضهم البعض، ورغم أن الزمن في حد ذاته أقرب إلى أن يكون مؤشرا محايدا، فانه من غير المحتمل أن يتوافر للأشخاص، الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض

بمعدلات منخفضة انخفاضا شديدا، نفس فرص تقديم وتلقي الإثباتات الملموسة وغير الملموسة والتي تتوافر لزملائهم الحريصين على البقاء زمنا أطول مع أصدقائهم.

2- الاستقرار أو دوام الصداقة، إذ تتميز صداقات الذكور مقارنين بالإناث بأنها أكثر استقرارا، ويفسر جيوردانو وزملاؤه هذا الاستقرار بأن صداقات الذكور أقل عمقا، وبالتالي فهي أقل تعرضا للخلاف والصراع، فتكون المحصلة قدرا أكبر من الاستقرار (132).

ومن خصائص الصداقة وثيقة الصلة بالاعتماد المتبادل والاستقرار معا: التقارب العمري إذ يشير French إلى تزايد احتمالات عقد الصداقة بين شخصين متقاربين في المستوى الارتقائي وفي العمر بصفة خاصة، حيث توصل إلى وجود ارتباط دال إحصائيا بين أعمار الأصدقاء من الأطفال والمراهقين. ويضيف إلى أن الصداقة التي تقوم بين أطفال متقاربين في العمر تتسم بقدر أكبر من الاستقرار والتفاعل الاجتماعي بالمقارنة بصداقات الأطفال المتفاوتين في العمر. ويفسر فرنش تلك النتيجة في ضؤ السهولة النسبية التي يصادفها الأطفال وهم يحاولون عقد صداقة مع أقران يماثلونهم في العمر، إذ يجدون أنفسهم في سياق تلك العلاقات أكثر تمكنا من تبادل المعلومات، وفض الخلاف وخلق فرص للنشاطات المشتركة، واستكشاف درجات التماثل بينهم وبين أقرانهم، وتمهد تلك السهولة وهذا التمكن وسطا ينتج معدلات أوفر من المدعمات الاجتماعية تفوق ما قد يتأتى من الصداقة مع أقران متباعدي العمر (125).

وقد عرف سوليفان Sullivan العلاقة الحميمة في ضوء خاصيتين أساسيتين هما:

1- الإفصاح عن الموضوعات شديدة الخصوصية للصديق.

2- المعرفة بمعلومات دقيقة وخاصة عن الصديق مثل همومه وآماله وسمات شخصيته، ويشير سلمان Selman إلى أن هذا النمط من العلاقات الوثيقة لا يبرز إلا في مرحلة المراهقة المبكرة حيث يستلزم توافر حد أدنى من القدرة على فهم مشاعر وأفكار الطرف الآخر(69).

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الصداقة بين أبناء الجنس الواحد (أي صداقة الذكور للذكور والإناث للإناث) بأنها علاقة اجتماعية وثيقة

تقوم على مشاعر الحب والجاذبية المتبادلة بين شخصين أو أكثر، وتميزها عدة خصائص من بينها: الدوام النسبي والاستقرار، والتقارب العمري في معظم الحالات بين الأصدقاء، مع توافر قدر من التماثل بينهم فيما يتعلق بسمات الشخصية والقدرات العقلية والاهتمامات والتفضيلات والاتجاهات والقيم والظروف الاجتماعية. ويتسم التفاعل بين الأصدقاء بعدة خصائص منها الفهم العميق المتبادل، والاستعداد للإفصاح عن الآراء والخبرات والمشاعر والأسرار الشخصية، مع وجود قدر من الاعتماد المتبادل يتضح من تبادل التأثير والتأثر فيما بينهم. وينطوي التفاعل بين الأصدقاء على العديد من ضروب السلوك الإيجابي،من قبيل المشاركة الوجدانية والتشجيع والتعاون وتقديم العون والمساندة بكافة مظاهرها، مع تبادل الخبرات والمعارف، وتقويم الآراء والمعتقدات وتأكيد صحتها أو تصحيح الخاطئ منها، بالإضافة إلى المشاركة في الميول والاهتمامات وشغل أوقات الفراغ.

ولا يشترط في تعريف الصداقة توافر كل المقومات المشار إليها، بل الشائع أن تتباين أهميتها من صداقة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال قد تنهض صداقة على الرغبة في الإفصاح المتبادل عن المشاعر الشخصية، وتقوم أخرى على الرغبة في مزاولة الاهتمامات المشتركة، غير أن عمق الصداقة موقوف على قدر ما يتوافر لها من مقومات، فكلما تعددت وتنوعت أسس الصداقة، زادت العلاقة قوة وعمقا.

هذا عن تعريف الصداقة وخصائصها الأساسية بوجه عام، وفيما يلي نستكشف المزيد عنها من خلال مقارنات نعقدها بين الصداقة وبعض العلاقات الاجتماعية التي تتشابه معها في بعض الخصائص وتشذ عنها في خصائص أخرى، وهي علاقات الزمالة، والحب، والتجاذب بين الأشخاص، والتقبل الاجتماعي.

ثانيا: المقارنة بين الصداقة وعلاقات اجتماعية أخرى

1- الصداقة والزمالة: mateship

تدل شواهد عديدة على تنوع علاقات الأشخاص من حيث القرب والعمق والتفضيل، فمن بين الأصدقاء يستطيع المراهقون التفرقة بين أفضل صديق والصديق الحميم والمقرب أو المألوف (24: ص 245)، وبجانب الأصدقاء

يكون الأطفال والمراهقون علاقات اجتماعية مع الزملاء دون هذا المستوى من القرب والخصوصية تتضمن الزمالة أو المعارف الاجتماعية أو العلاقات السطحية، وتكشف البحوث الأمبريقية عن توافر خصائص تميز كل مستوى من مستويات الصداقة المختلفة، إضافة إلى وجود فروق أوسع بين خصائص كل من الصداقة بكافة مستوياتها والزمالة، ونعتقد أن التمييز بين ملامح تلك العلاقات المتباينة من شأنه أن يبرز خصائص الصداقة بصورة أوضح.

وبداية نقدم التقسيم الذي اقترحه أودين Oden وزملاؤه لتصنيف العلاقات الاجتماعية للأطفال، حيث تم توزيعها عبر محورين متعامدين، يمتد المحور الرأسي من الصداقة(كما تعرف في ضوء المشاركة الشخصية، والقرب الوجداني، والحب المتبادل) وحتى اللاصداقة، ويمتد المحور الأفقي من الاشتراك (سواء في مشروع أو نشاط أو مهمة) وحتى عدم الاشتراك ويعرض شكل رقم (١) خصائص العلاقات الاجتماعية الناتجة عن هذا التصنيف (209: ص ص 133- 136).

	الاشتراك	عدم الاشتراك
الصداقة	**الأصدقاء المقربون** ـ درجة مرتفعة من الحب المتبادل . ـ إدراك الخصائص الشخصية المميزة لكل طرف . ـ تبادل المعلومات والأسرار الشخصية . ـ المشاركة في المشكلات والنشاطات، وتبادل المساعدة . ـ احتمال المساهمة في الأهداف والمشروعات المشتركة .	**الأصدقاء الاجتماعيون** ـ درجة مابين الضئيلة الى المرتفعة من الحب . ـ الاستمتاع بالنشاطات الاجتماعية معا . ـ ربما يتم تبادل المعلومات والأسرار الشخصية . ـ ربما تتم المشاركة أحيانا في المشكلات والنشاطات ، وقد يتم تبادل المساعدة . ـ قد يسهمون في الأهداف والمشروعات المتبادلة في بعض الأحيان .
اللاصداقة	**المشاركون في النشاطات** ـ درجة مابين الضئيلة إلى المرتفعة من الحب والتجاذب . ـ المشاركة في النشاطات والمواد ، مع تقديم المساعدة والمعلومات المتعلقة بالمهمة المشتركة . ـ إدراك الخصائص الشخصية المميزة المرتبطة بمهارات المهمة المطلوبة . ـ يتم تبادل المعلومات الشخصية (ولكن بتكرارات منخفضة) ، وقد تكون أو لا تكون حميمة . ـ المساهمة في النشاطات والأهداف والمشروعات المتبادلة .	**المعارف** ـ لا يوجد (أو درجة مابين الضئيلة إلى المرتفعة من) التجاذب . ـ لا يوجد (أو درجة مابين الضئيلة إلى المرتفعة من) المودة والخصوصية . ـ يتم التعارف عادة في سياق معين (مثل الفصل ، أو التجاور السكني) . ـ عدم الانتباه (أو درجة مابين الضئيلة إلى المرتفعة) للخصائص الشخصية المتفردة . ـ عدم (أو درجة مابين الضئيلة إلى المرتفعة من) الاعتماد المتبادل فيما يتصل بالمشكلات والمشروعات .

شكل رقم (1) تصنيف العلاقات الاجتماعية للأطفال كما يقترحه أودين وزملاؤه

وطبقا لهذا التصنيف تتوزع علاقات الأطفال في أربعة مستويات متدرجة من حيث العمق والخصوصية على النحو التالي:

أ- **الأصدقاء المقربون** :Close friends تتضح في تفاعلاتهم أعلى درجات الحب المتبادل والمعرفة الدقيقة بخصائص الصديق، مع الاستعداد لتبادل المعلومات والأسرار ومناقشة المشكلات وصياغة الأهداف والمشروعات المتبادلة.

ب- **الأصدقاء الاجتماعيون** :Social friends وهي فئة تتراوح من الصداقات العرضية والتي تتصف بمعدلات محدودة من الاتصال مع درجات منخفضة من التجاذب والحب والمشاركة والمساعدة، وحتى الصداقات التي تتسم بمعدلات أكبر من الاتصال، مع درجات ما بين المتوسط إلى المرتفعة من الجاذبية المتبادلة والحب والمشاركة الشخصية والمساعدة، إلا أنها صداقات تفتقد الدرجة المرتفعة من الاعتماد المتبادل، وهي قابلة للتعدد والتعويض بينما يصعب تعويض الصديق المقرب، علما بان إمكانات الحركة والتحول بين مستويات العلاقات (سواء على المستوى الرأسي أو الأفقي) ممكنة، فمن المحتمل أن تتغير خصائص العلاقات عبر الزمن أو الظروف.

ج- **المشاركون في النشاط**: تقوم هذه الفئة على المشاركة في النشاط في غياب الصداقة، وتشمل العمل في مشروع مع شخص آخر، أو أداء مهمة مشتركة، أو المشاركة في نشاط متصل بالمنهج المدرسي، حيث يسهم كل طفل في نشاط الطفل الآخر، وهي علاقة مماثلة لعلاقات العمل لدى الراشدين أو للعلاقات الموجهة نحو المهمة، حيث لا يكون الهدف من التفاعل هو الاستمتاع بصحبة الآخرين وإنما يكون الغرض المنشود هو تيسير أداء كل طرف لعمله أو إنجاز مهام مشتركة، ورغم أنها قد تتضمن بعض مشاعر الحب، فإنها لا تكون مقصودة لذاتها، ويكتسب الطفل من خلالها مهارات اجتماعية بالغة الأهمية في تحقيق التوافق في طفولته ورشده.

د- **المعارف**: وهي علاقات لا تنهض على الصداقة ولا على الاشتراك وإنما ترتكز على القرب الفيزيقي في المقام الأول، ومن أمثلتها علاقات الزمالة أو الجيرة أو عضوية أي ناد أو مؤسسة اجتماعية أو محل عمل من دون صداقة أو مشاركة فعلية. ولم تدرس وظائف تلك النوعية من العلاقات في ارتقاء الأطفال بشكل كاف، وهي على الأقل تمثل معينا حاضرا يرتاده

الطفل لانتقاء أصدقاء أو رفقاء جدد إن لزم الأمر.

ويتفق سيجال Segal مع أودين وزملائه مشيرا إلى وجود صلة وثيقة بين الصداقة وتماثل النشاطات المفضلة لدى الصديقين، واعتبر أن المشاركة الإرادية في عدد من النشاطات المدعمة لطرفي العلاقة أحد المؤشرات الدالة على قوة الصداقة بينهما (225) كما انتهى مورس Morse وماركس Marks بعد أن عقدا مقارنة بين خصائص علاقتي الصداقة والزمالة إلى أن العلاقات التي تنعقد بين الأصدقاء يغلب عليها طابع العلاقة الشخصية الحميمة بالمقارنة بالعلاقات المتبادلة مع الزملاء والتي تتصف بأنها أكثر توجها نحو نشاطات نوعية، وحتى عندما ينخرط الأصدقاء في نشاطات مماثلة لما يمارسها الزملاء فان الأسلوب الذي تتم به المشاركة في الحالة الأولى ينم عن قدر أعلى من الخصوصية والمودة الحميمة (203).

وفي الاتجاه نفسه قارن سيرافيكا Serafica بين خصائص ثلاثة مستويات للصداقة وهي: أفضل صديق، والصديق المقرب، والصديق العابر (أو العرضي)، وكشفت المقارنة عن نتائج طريفة من بينها:

أ- فيما يتعلق بوظائف الصداقة لم يميز المبحوثون بين وظائف أفضل صداقة أو الصداقة المقربة، وتضمنت في الحالتين تقديم المساندة المادية، ودعم الثقة بالنفس، وتهيئة فرص الإفصاح الحميم عن الذات، بينما نسب إلى الصداقة العابرة وظيفة استثارة التنبيه العقلي، والشعور بالرفقة، وتجنب العزلة.

ب- وعن الخصال المرغوبة في الصديق ركز المبحوثون على أهمية توافر الأمانة والتقبل والتماثل والمساعدة سواء في أفضل صديق أو في الصديق المقرب، بينما اشترط في الصديق العابر القدرة على إحداث التنبيه من خلال مهارته في أداء نشاطات جديدة شائقة وممتعة.

ج- وفيما يتعلق بأسلوب تكوين صداقة فقد تمثل سواء في حالتي أفضل صداقة والصداقة المقربة في تنمية المشاعر الإيجابية ومواصلة التفاعل والمشاركة. بينما تتكون الصداقة العابرة إما من خلال التقارب الفيزيقي أو الجوار أو من خلال ظروف اجتماعية من قبيل المشاركة في مشروع أو رحلة مدرسية.

د- وعن مواصلة الصداقة اتضح أن استمرار التفاعل هو أحد الضمانات

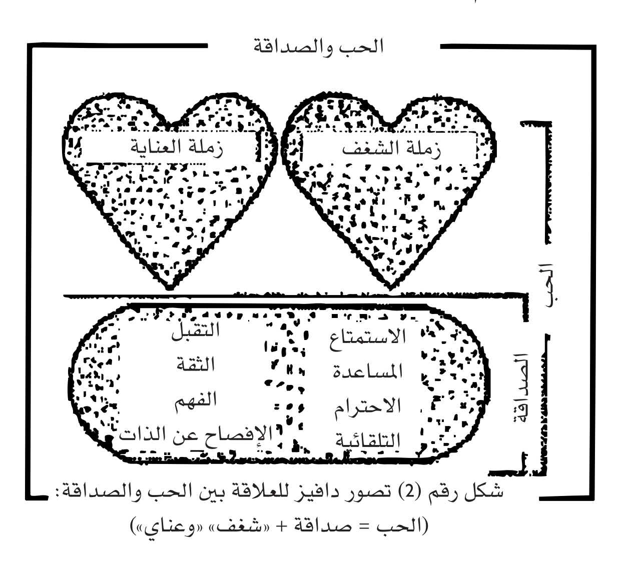
القوية لمواصلة العلاقة الوثيقة ولا يشترط أن يتم التفاعل بشكل مباشر، أما العلاقة العابرة فتستلزم دوام عنصر القرب المكاني، وعندما تنخفض فرص التقارب لأي سبب من الأسباب، تنقطع الصداقة العابرة [226].

2- الصداقة والحب:

أشرنا آنفا إلى أن اهتمامنا في سياق هذا الكتاب يتركز أساسا حول علاقات الصداقة بين أبناء الجنس الواحد، غير أننا سنتعرض في السطور التالية للفروق بين الصداقة(كما حددناها) والحب (بوصفه علاقة عاطفية بين الجنسين). وهدفنا من وراء ذلك هو السعي نحو مزيد من الفهم لخصائص الصداقة مقارنة بعلاقات أخرى وثيقة الصلة بها، وتأتى في مقدمتها علاقة الحب.

وعن الفروق بين الصداقة وعلاقة الحب يشير دافيز Davis إلى أن الحب والصداقة يتشابهان في وجوه عديدة، غير أنهما يختلفان في مظاهر أساسية تجعل من الحب علاقة أوفر إثابة إلا أنها أقل استقرارا، ويعبر دافيز عن العلاقة بين المفهومين في جملة موجزة يشير فيها إلى أن الحب صداقة (إذ يستوعب كل مكونات الصداقة)، ولكنه يزيد عليها بمجموعتين من الخصائص وهما الشغف Passion والعناية Caring.

ويعرض شكل رقم (2) تصور دافيز للصلة بين الحب والصداقة [103]:



شكل رقم (2) تصور دافيز للعلاقة بين الحب والصداقة:

(الحب = صداقة + «شغف» «وعناي»)

ويتضح بالنظر في هذا الشكل أن هناك ثماني خصائص مشتركة فيما بين علاقتي الحب والصداقة وهي:

1- الاستمتاع برفقة الطرف الآخر.

2- تقبل الطرف الآخر كما هو.

3- الثقة في حرص كل طرف على مصالح الطرف الآخر.

4- احترام الصديق أو الحبيب والاعتقاد في حسن تصرفه.

5- المساعدة المتبادلة والنجدة عند الحاجة.

6- فهم شخصية الطرف الآخر واتجاهاته وتفضيلاته ودوافع سلوكه.

7- التلقائية وشعور كل طرف بأنه على طبيعته في وجود الآخر.

8- الإفصاح عن الخبرات والمشاعر الشخصية.

أما عن مجموعتي الخصائص اللتين تنفرد بهما علاقة الحب فهما:

أ- مجموعة الشغف: وتشمل ثلاث خصائص وهي:

1- **الافتتان** fascination: ويعني ميل المحبين إلى الانتباه إلى المحبوب والانشغال به حتى عندما يتعين عليهم أن ينخرطوا في نشاطات أخرى، مع الرغبة في إدامة النظر إليه والتأمل فيه والحديث معه والبقاء بجواره.

2- **التفرد** Exclusiveness: ويعني تميز علاقة الحب عن سائر العلاقات الأخرى والرغبة في الالتزام والإخلاص للمحبوب، مع الامتناع عن إقامة علاقة مماثلة مع طرف ثالث.

3- **الرغبة الجنسية** Sexual desire: وتشير إلى رغبة المحب في القرب البدني من الطرف الآخر ولمسه ومداعبته، وفي معظم الأحيان يتم ضبط تلك الرغبة لاعتبارات أخلاقية ودينية.

ب- مجموعة العناية: وتحوي خاصيتين هما:

1- **تقديم أقص ما يمكن** giving the utmost: حيث يهتم المحب اهتماما بالغا بتقديم أقصى ما يمكنه عندما يشعر بحاجة المحبوب إلى العون حتى ولو وصل الأمر إلى حد التضحية بالنفس.

2- **الدفاع والمناصرة** Being champion/advocat: وتبدو في الاهتمام والدفاع عن مصالحه والمحاولة الإيجابية لمساعدته على النجاح.

وقد تحقق دافيز واقعيا من أوجه التماثل والاختلاف بين الحب والصداقة على النحو الذي قدمناه، وقد أظهرت بحوثه نتائج طريفة منها أن الاستمتاع

برفقة المحبوب يفوق الاستمتاع بصحبة الصديق، مع تميز الحب بقدرته على استثارة الانفعالات الإيجابية السارة في طرفي العلاقة، غير أن الحب في الوقت نفسه قد يكون مصدرا لقدر أعلى من المنغصات والمعاناة والصراع والتناقض الوجداني والنقد المتبادل [(103)].

3- الصداقة والتجاذب بين الأشخاص interpersonal attractiveness

نشير هنا أولا إلى بعض تعريفات الجاذبية ثم نتناول الفروق بين هذا المفهوم ومفهوم الصداقة، ومن بين تعريف الجاذبية بين الأشخاص نذكر أنها «خاصية لشخص تستثير استجابات التقرب من جانب الأشخاص الآخرين أو هي ميل إلى الاقتراب من شخص ما»، ويركز التعريف الأول على خصائص الشخص المتسم بالجاذبية، بينما يأتي التعريف الثاني في جانب الطرف المدرك، والمدفوع بمشاعر الجاذبية، ويبدو أن التحليل السيكولوجي للتجاذب ينبغي أن يتمثل كلا الجانبين في تفاعلهما معا (214: ص 66).

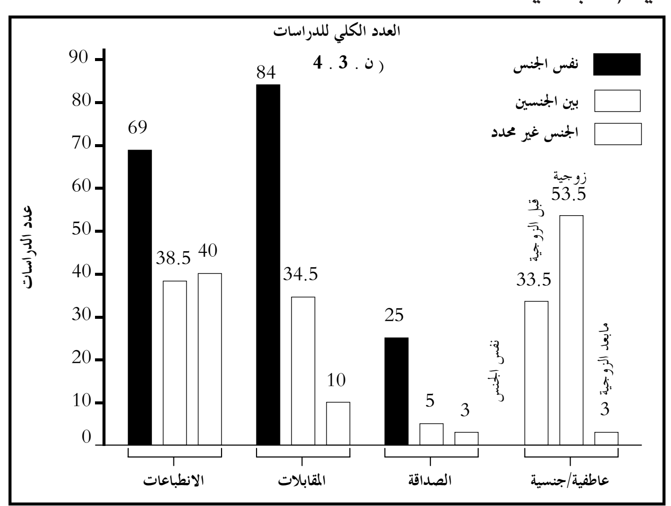
كما يعرف التجاذب بين الأشخاص بأنه نمط خاص من الاتجاهات نحو الأشخاص يتضمن توجها نحو أو بعيدا عن شخص ما، ويمكن أن يتصف هذا الاتجاه بوجهة إيجابية أو سلبية أو محايدة، ويتضمن ثلاثة مكونات وهي المكون المعرفي ويستوعب المعتقدات والمعلومات عن الشخص المرغوب فيه، والمكون الوجداني ويتعلق بمشاعر الحب أو الكراهية نحوه، والمكون السلوكي ويفصح عن نفسه من خلال الميل إلى الاقتراب أو الابتعاد عن الشخص موضوع الاتجاه (150: ص 35). وقد استخدم مفهوم التجاذب في عدد كبير من البحوث النفسية للإشارة إلى درجة الحب الذي يعبر عنه أحد الأشخاص نحو شخص آخر يقابله أو يسمع عنه لأول مرة.

وعن موضوعات وطرق البحث في هذا المجال، يشير دك Duck إلى أنها تتركز بصفة رئيسية على محاولة تفسير مقدمات الحب بين شخصين أو أكثر والعناية باستكشاف الخصائص التي تجعل شخصا ما جذابا للآخرين. ومن أبرز المتغيرات التي درست علاقاتها بالتجاذب بين الأشخاص: الجاذبية البدنية physical attractiveness متضمنة الجمال والوسامة، وأيضا تماثل الاتجاهات وسمات الشخصية.

ويعاني مجال دراسات التجاذب بين الأشخاص من جملة مآخذ، في

مقدمتها: الاعتماد على تصميمات تجريبية محدودة للغاية ومصطنعة في معظم الأحوال، وقصور محاولات اختبار صدق النتائج المعملية في الحياة الواقعية، مع الاهتمام المكثف ببدايات التجاذب بين الأشخاص وإغفال مظاهر الخير في التجاذب مع نمو العلاقة الشخصية عبر الزمن (115: ص43).

والدليل على الاهتمام المبالغ فيه ببدايات التجاذب ونقص العناية بدراسة خصائص العلاقات الاجتماعية المستقرة نستمده من التصنيف الذي ذكره هيوستون Huston وليفنجر Levinger عام 1978، حيث راجعا كل الدراسات الواقعية التي تناولت العلاقات الشخصية الثنائية والمنشورة في الفترة من عام 1972 إلى عام 1976، وبلغ مجموعها 403 دراسات، ثم قاما بتصنيفها في فئة من بين أربع فئات من الدراسات هي: الانطباع الأولي عن الشخص الآخر دون تفاعل حقيقي، المقابلة قصيرة المدى، والصداقة، والعلاقات العاطفية/ الجنسية.



شكل رقم (3) تصنيف الدراسات المنشورة في الفترة
من 1972 – 1976 في موضوع العلاقات الإجتماعية الثنائية

ويكشف الشكل بوضوح أن فئتي الانطباعات والتفاعل السطحي قصير المدى قد حظيتا بأكبر عدد من الدراسات مقارنة بالصداقة (سواء مع نفس الجنس أو مع الجنس الآخر أو دون تحديد للجنس)، والتي لم يتناولها

سوى 33 دراسة فقط، وهو عدد لا يمثل 2, 8٪ من بين العدد الإجمالي للدراسات، وهو كما قدمنا 403 دراسات.

ومن الواضح أن الاهتمام بالتجاذب على حساب الصداقة والذي كان سائدا خلال السبعينات ظل قائما خلال الثمانينات رغم الفارق الكبير بين التجاذب والصداقة، إذ تشير الصداقة إلى العلاقة الاجتماعية المتبادلة والمستقرة والمستمرة والتي تتسم بدرجات متفاوتة من العمق والخصوصية، بينما لا يشير التجاذب إلا إلى الاتجاه الإيجابي نحو شخص آخر فحسب، وقد تنشأ أو لا تنشا عنه صداقة حقيقية، مما يستلزم دراسة الصداقة بوصفها علاقة ممتدة عبر تاريخ طويل أو على الأقل ليس بالقصير بين شخصين والتي تزخر بالعديد من ضروب التفاعل الاجتماعي السار وأحيانا غير السار. (107: ص ص 91- 94)

4- الصداقة والتقبل الاجتماعي:

يخلط البعض بين مفهومي الصداقة والتقبل الاجتماعي إلى الدرجة التي تجعلهم يستخدمون المفهومين دون تفريق رغم ما بينهما من تباين، ولذا ينبغي إلقاء الضوء على أوجه التمايز بينهما بعد أن نعرف أولا مفهوم التقبل الاجتماعي.

يشير التقبل الاجتماعي social acceptance إلى درجة نجاح الأشخاص في عضوية الجماعات التي ينتمون إليها كما تتحدد من اختيار الأعضاء الآخرين لهم كرفقاء يشاركونهم في اللعب أو العمل، وفي معظم الأحيان يقدر التقبل الاجتماعي باستخدام المقاييس السوسيومترية التي تمدنا بتقدير للحصول كمي، يعبر عن درجة تفضيل مجموعة الأقران تكوين علاقة اجتماعيا مع الشخص أو مجموعة الأشخاص موضع الاعتبار، ويتضمن الإجراء المتبع عادة في توجيه سؤال لكل عضو من أعضاء الجماعة (وهم غالبا تلاميذ أحد الفصول الدراسية) عن زملائه الذين يفضل اللعب أو العمل معهم، وفي بعض الأحيان يضاف إلى ذلك سؤال عن الزملاء الذين لا يحبون اللعب أو العمل معهم، ثم تتاح لكل تلميذ حرية كتابة أي عدد من الزملاء وفق رغبته، وفي حالات أخرى لا يسمح له بكتابة أكثر من ثلاثة أسماء. وفي بعض البحوث يطلب من التلميذ كتابة أسماء زملائه مرتبين حسب درجة تفضيله لهم، وبعد فرز الإجابات يصنف كل تلميذ حسب عدد

مرات اختيار زملائه له في فئات تعبر عن تقبله بين زملائه، أو رفضهم له، أو تجاهله من جانبهم، وتشمل الفئة الأخيرة التلاميذ شديدي الخجل أو الميالين إلى العزلة والانطواء دون إحسان أو إساءة إلى زملائهم، ولذا لا يشعر أقرانهم نحوهم لا بالحب ولا الكراهية. (193: ص ص 455-460, 158: ص 226, 210).

هذا عن تعريف التقبل الاجتماعي وطرق تقديره، أما عن وجه التمايز الأساسي بينه وبين مفهوم الصداقة، فيأتي من جهة تميز الصداقة بخاصية الاختيار المتبادل والمستقر عبر الزمن بين طرفي العلاقة الاجتماعية، أما التقبل الاجتماعي فلا يعدو كونه مؤشرا دالا على الشعبية أو النجومية الاجتماعية بين أعضاء الجماعة دون أن يلزم عنه وجود علاقة متبادلة بين الشخص ذي المكانة السوسيومترية المرتفعة وزملائه الذين عبروا عن تفضيلهم لرفقته (236, 237)، وتزيد أهمية هذه التفرقة خاصة مع توافر بعض الوقائع التي كشفت عن وجود ارتباط ضعيف بين الصداقة والتقبل الاجتماعي، وزيادة على هذا تبين أن بعض برامج تنمية المهارات الاجتماعية تحدث تأثيرا فعالا في اتجاه تحسين التقبل الاجتماعي للمتدربين، بينما ثبت عجزها عن تقوية صداقات هؤلاء الأشخاص (208, 211).

وفي تعبير عن اتجاه أقل تشددا يرى آشر Asher أنه لا يجوز التسرع في تقرير عدم وجود صلة بين الصداقة والتقبل الاجتماعي، ويدعم رأيه بوقائع ترجح وجود علاقة ثنائية الاتجاه بين المفهومين، يشرحها على نحو مؤداه أن شعور الشخص بأنه مرغوب فيه من زملائه يدعم ثقته في نفسه، ويشجعه على إظهار ضروب سلوكية تتسم بالمودة والمهارة، ومن ناحية أخرى تؤدي التصرفات الودية إلى درجة أفضل من التقبل والشعبية بين الزملاء إذا أداها الفرد بالأسلوب الملائم [63].

ويفسر مانارينو Mannarino الموقف من جانبه بان قيام الباحثين باستخدام المقاييس السوسيومترية لتقدير كل من الصداقة والتقبل الاجتماعي قد تسبب في طمس الفروق الدقيقة بينهما مما دفع البعض إلى تناولهما وكأنهما متطابقان، ويقترح حلا للتغلب على تلك المشكلة المنهجية مع المحافظة في الوقت نفسه على إمكانات الإفادة من الطرق السوسيومترية في بحوث الصداقة، ويتمثل في التحقق-وبأساليب سوسيومترية-من توافر أهم

خصائص الصداقة وهي الرغبة المتبادلة في الأخذ والعطاء، وذلك بأن يطلب من المبحوث تعيين أو ترتيب أحب أصدقائه إليه من بين زملائه في الفصل المدرسي، ثم يقدر بعد ذلك-ومن خلال إجابات مجموع التلاميذ- إلى أي حد تتوافق الاختيارات المتبادلة بينه وبين زملائه (197: ص 47).

إلى هنا نكون قد انتهينا من استعراض تعريفات الصداقة، والإشارة إلى خصائصها الأساسية مقارنة بعلاقات اجتماعية أخرى، وفي الفصل التالي نناقش وظائف الصداقة وأثرها في تحقيق التوافق النفسي.

3 وظائف الصداقة في حياتنا النفسية والاجتماعية

أولا: علاقة الصداقة بالتوافق النفسي والاجتماعي للأشخاص

تتفق معظم الدراسات النفسية الحديثة على وجود صلة وثيقة بين التفاعل مع الأصدقاء والتوافق النفسي والاجتماعي في كل مراحل الحياة بصفة عامة وفي مرحلتي الطفولة والمراهقة بصفة خاصة. والأدلة التي تؤكد تلك الصلة لا تقع تحت حصر، ولعل من أهمها العواقب النفسية والاجتماعية التي تنجم عن فقدان علاقات الصداقة الملائمة. وهي عواقب تكشف عن نفسها بوضوح في حياتنا الاجتماعية. وبوسعنا أن ندركها جميعا. سواء أكنا متخصصين أو غير متخصصين في دراسة السلوك الإنساني.

ونكتفي في هذا السياق بالإشارة الحد القليل من تلك العواقب السلبية قبل أن نتناول الوظائف الإيجابية للصداقة تناولا مفصلا. فعلى سبيل المثال يشير أرجايل Argyle ودك Duck إلى اقتران افتقاد القدر المناسب والملائم من الأصدقاء بالعديد من مظاهر اختلال الصحة النفسية والجسمية، ففيما

يتصل بالصحة النفسية تبين أن الأشخاص الذين يفتقدون الأصدقاء يكونون أكثر استهدافا للإصابة باضطرابات نفسية منها الاكتئاب والقلق ومشاعر الملل والسام وانخفاض تقدم الذات، كما يعانون من التوتر والخجل الشديد والعجز عن التصرف الكفء عندما تضطرهم الظروف إلى التفاعل مع الآخرين. وفيما يتصل بالصحة الجسمية فقد لاحظ الأطباء ضعف مقاومتهم للأمراض الجسمية وتأخرهم في الشفاء منها، بل وتزيد بينهم معدلات الوفاة بعد الإصابة بتلك الأمراض بالمقارنة بالمرضى الذين يتمتعون بعلاقات اجتماعية طيبة تمدهم بالمساندة الوجدانية(61: ص ص 28- 29، 114: ص 15). وتتوافر شواهد واقعية أخرى تبرهن على ارتباط فقدان علاقات الصداقة بعدد من المشكلات السلوكية المدرسية والتي من شأنها أن تؤثر على التفاعل الاجتماعي الكفء مع الزملاء في مواقف التعليم الرسمي، ونذكر من تلك المشكلات: الغياب عن المدرسة، ومخالفة النظم والتعليمات المدرسية، والميل إلى الانحراف وارتكاب أعمال تخريبية وعدوانية في المدرسة، ويعزى الميل إلى التخريب والعدوان إلى الرغبة في لفت أنظار الزملاء والمدرسين نظرا لشعور التلميذ الذي يفتقد الأصدقاء بالتجاهل والرفض من جانب المحيطين به. (122: ص 238).

هذا عن الآثار السلبية المترتبة على فقدان الصداقة أو قصورها، ونتناول فيما يلي وظائفها الإيجابية.

ثانيا: الوظائف النفسية التي تنهض بها الصداقة

انتهينا بعد أن راجعنا عددا كبيرا من الدراسات والبحوث النفسية الحديثة المتصلة بوظائف الصداقة إلى أنها تعكس في مجموعها-رغم ما بينها من تباين في أسلوب البحث ومضمونه-وظيفتين أساسيتين للصداقة، وهما:

1- خفض مشاعر الوحدة، ودعم المشاعر الإيجابية السارة.
2- الإسهام في عمليات التنشئة الاجتماعية.

1 – خفض مشاعر الوحدة، ودعم المشاعر الإيجابية السارة:

قبل أن نستعرض أثر الصداقة في تجنب أو خفض مشاعر الوحدة

يحسن أن نشير إلى تفرقة بعض الباحثين بين العزلة isolation أو الانفراد ومشاعر الوحدة feeling of loneliess، إذ تشير العزلة إلى مجرد انفصال الشخص فيزيقيا عن الأفراد الآخرين بينما يعرف الشعور بالوحدة في ضوء المشاعر الشخصية نحو تلك العزلة، وبهذا المعنى قد يعزل الشخص عن الآخرين ولكن لا يشعر في قرارة نفسه بالوحدة، بينما قد تستثار مشاعر الوحدة بدون عزلة حقيقية. فالشعور بالوحدة موقوف في طبيعته ومقداره على افتقاد العدد المناسب من الأصدقاء، أو النوعية الملائمة المتفقة مع مزاج الشخص، أو نقصان فرص الالتقاء بهم عن الفرد المرغوب فيه (114: ص 15). ويتفق بيبلوPeplau وبيرلمان Perlman على تلك التفرقة بتأكيدهما أن الشعور بالوحدة لا يمكن تقديره، إلا من منظور ذاتي، بمعنى أنه لا يجوز تحديده في ضوء مستوى التفاعل الاجتماعي الذي يمارسه الفرد بالفعل، وإنما تتحدد مشاعر الوحدة من خلال الفرق بين مستوي التفاعل الواقعي والمأمول (149: 60).

نخلص مما سبق إلى أن هناك اتفاقا على حاجة الأشخاص إلى حد أدنى من التفاعل الاجتماعي، وبغض النظر عن أية مساعدات أو جهود إيجابية يتلقاها الشخص من الآخرين يحقق مجرد اجتماعه بهم قدرا وافرا من الارتياح الوجداني في ظروف الحياة العادية، وتزيد الحاجة إلى الارتباط بالآخرين عند التعرض لمشقة أو الشعور بالقلق والخوف (67: ص251 ، 212). ولكن يبقى أن نحلل الآليات mechanisms النفسية التي تخفض الصداقة من خلالها مشاعر التوتر وعدم الارتياح، ونرى أن هناك أربع آليات رئيسية تتحقق من خلالها وظيفة خفض التوتر ودعم الانفعالات الإيجابية وهي:

أ- المقارنة الاجتماعية.

ب- الإفصاح عن الذات.

ج- المساندة الاجتماعية.

د- المساندة في الميول والاهتمامات.

ونتناول فيما يلي كلا منها بإيجاز:

أ- المقارنة الاجتماعية:social comparison

تعد بحوث اشتر Schachter من أولى البحوث التي أبرزت دور التجمع

في خفض القلق منذ الخمسينات. وقد أجرى هو وزملاؤه عددا من التجارب للتحقق من صحة فروضه. ففي إحدى الدراسات قام بيبتون Pepitone وكلينر Kleiner عام 1957 بتنويع مقدار التهديد الذي يعانيه أعضاء الجماعة، فوجدا أن التهديد المرتفع يسبب قدرا أعلى من الجاذبية لأعضاء الجماعة بالمقارنة بالتهديد المنخفض. وفي دراسة تالية توصل كلينر عام 1960 إلى أن خفض التهديد Threat reduction يحدث قدرا أعلى من الجاذبية نحو أحد معاوني الباحث والذي اشترك كعضو في الجماعة دون علم الأعضاء بصلته بالباحث (229: ص 94). وفي تجربة لشاشتر عام 1959 أثار قلق مجموعة من الطالبات بان أوهمهن بأنهن سوف يتلقين صدمة كهربائية، وقام بتنويع درجة القلق بان أخبر بعض الطالبات بان الصدمة ستكون مؤلمة غير أنها لن تحدث أثرا جسمانيا دائما (مجموعة القلق المرتفع)، وأخبر المجموعة الأخرى بان الصدمة ستكون خفيفة ولن تحول دون استمتاعهن بالتجربة (مجموعة القلق المنخفض). ثم أخبر الطالبات (في كلتا المجموعتين) بان عليهن الانتظار لمدة عشر دقائق قبل تقديم الصدمات، وخيرهن بين الانتظار بمفردهن أو مع بعضهن البعض. وكشفت التجربة أن 5 ,62٪ من الطالبات اللاتي توقعن صدمة مؤلمة قد فضلن الانتظار معا، في مقابل 3 ,33٪ فقط من الطالبات اللاتي توقعن صدمة خفيفة. وافترض شاشتر أولا وبناء على تلك النتيجة أن الأفراد يتجمعون بهدف خفض القلق، وأن مواقف الشدة تزيد الرغبة في الصحبة (67: ص 251).

وفسر شاشتر فيما بعد الميل إلى التجمع على أساس رغبة الأفراد في عقد مقارنات اجتماعية مع الآخرين عندما يواجهون حالات انفعالية جديدة أو غير مألوفة، أو عندما يتصف الموقف بالغموض ambiguity وقد تحقق من فرضه بعد أن أجرى تجربة أخبر فيها كل المبحوثين بأنهم سوف يتعرضون لصدمة كهربائية شديدة، وخير بعضهم بين الانتظار بمفردهم أو مع زملاء لهم يمرون بنفس التجربة، وخير البعض الآخر بين الانتظار بمفردهم أو مع أحد الطلاب مر بهذه التجربة وإنما تصادف وجوده في مكان التجربة لهدف آخر، وتبين لشاشتر أن المبحوثين في الظرف الأول فضلوا الانتظار مع زملائهم الذين يمرون بظروف مماثلة على الانتظار بمفردهم، أما في الظرف الثاني فقد فضل المبحوثون الانتظار بمفردهم على الانتظار مع

شخص لا تتماثل حالته الوجدانية مع حالتهم (149: ص 59).

وتشير الدراسات الواقعية إلى أن الرغبة في المقارنة تتعدى حدود السمات المزاجية، حيث افترض سنجر Singer وشوكلي Shokley عام 1965 أن الأفراد يتجمعون لكي يقارنوا بين قدراتهم وقدرات الآخرين وفي هذا السياق أجريت تجربة تم فيها توزيع 39 طالبا بطريقة عشوائية في ظرفين تجريبيين، في أولهما قدمت للأفراد معلومات عن تقييم أدائهم لمهمة تجريبية معينة، وفي الثاني لم تقدم لمجوعة أخرى من الطلاب أية معلومات عن مستوى أدائهم وإنما طلب منهم الانتظار حتى الجزء الثاني من التجربة، وسمح لهم بالانتظار إما بمفردهم أو مع زملائهم. وكشفت التجربة أن الطلاب الذين لم يطلعوا على مستوى أدائهم قد فضلوا بدرجة أكبر الانتظار مع زملائهم لرغبتهم في مقارنة أدائهم أو قدراتهم بقدرات الآخرين (99 2: ص 94).

ويفسر بعض الباحثين تلك الرغبة في المقارنة الاجتماعية بأنه في أوقات الأزمات أو تحت وطأة الشعور بالوحدة تهتز ثقة الأفراد في قدراتهم على تحمل الضغوط والظروف المعاكسة، إذ إن كثيرا من مواقف المشقة لا يمكن السيطرة عليها، وأغلبها لا يمكن التنبؤ بتوقيت حلولها أو انتهائها. وفي تلك الظروف ينخفض تقدير الذات self-esteem، ، وتختل الثقة في دقة الأحكام الشخصية، ويصبح الشخص أوفر استعدادا للاعتماد على الآخرين إما بهدف مقارنة الذات بالآخرين، ثم التحقيق أو تعديل الآراء والأحكام الشخصية، أو التماسا للمساندة النفسية الوجدانية (67: مر 254, 114: ص19).

ومن هنا تظهر خطورة العزلة والوحدة التي تحرم الشخص من الراحة النفسية التي يمكن أن يجنيها من مقارنة آرائه واتجاهاته ومشاعره بمثيلتها لدى الآخرين وقت الشدة بوجه خاص.

ب- الإفصاح عن الذات: Self-disclosure

يمثل الإفصاح عن الذات إحدى الآليات الرئيسية المسؤولة عن خفض المشقة وتقليل مشاعر الوحدة. وهو أثر يتحقق من خلال التخاطب والحديث عن الأمور العامة وعن أدق تفاصيل الحياة الشخصية بين شخصين (أو أكثر) يتوسم كل منهما في الآخر الحب والثقة والإخلاص (85, 114: ص29).

وترجع أهمية الإفصاح عن الذات إلى ما يحدثه من آثار نفسية إيجابية، وقد أشار ديرليجاء Derlega وجرزلاك Grezlak إلى خمس وظائف للإفصاح عن الذات وهي:

١- **التعبير** :expresion غرض التخفيف والتسرية عن النفس عقب الإفصاح عن المعاناة وظروف المشقة الشخصية.

2- **التوضيح** :clarification بمعنى أنه من خلال الإفصاح عن الذات يتمكن الشخص من تقديم صورة واضحة عن نفسه للآخرين، بما يجعله مفهوما من جانبهم وبما يمكنهم من التفاعل معه بصورة ملائمة.

3- **التصديق الاجتماعي** :social validation وهو ما يحدث عندما يأتي إفصاح الآخرين عن أنفسهم مؤيدا لما أورده الشخص من آراء واتجاهات وتفضيلات أثناء إفصاحه عن ذاته.

4- **تنمية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين** :developing relationships فمن بين النتائج الطريفة التي كشفت عنها البحوث في هذا المجال أن إفصاح الشخص عن ذاته يستثير الإفصاح من جانب الآخرين، ومن خلال تبادل الإفصاح تقوى العلاقات الشخصية بين الطرفين.

أضف إلى هذا أنه أثناء إفصاح الشخص عن ذاته يكشف عن آماله وحاجاته ورغباته، فإذا أشبعت تلك الحاجات أو بعضها من جانب الطرف الآخر تقوى العلاقة بينهما نظرا للصلة الوثيقة بين التدعيم الاجتماعي والتجاذب بين الأشخاص.

5- **الضبط الاجتماعي** :social control كما يعبر الشخص عن حاجاته ورغباته أثناء التخاطب الاجتماعي، فهو يعبر أيضا عن معتقداته وقيمه وتفضيلاته والحدود الشخصية التي لا يسمح للآخرين بتجاوزها في علاقاتهم معه. وتمكن قيمة الإفصاح عن تلك الجوانب في أنها تمكنه من ممارسة ضبط أكبر على سلوك الآخرين إذا تصورنا أن أغلب الأشخاص يراعون رغبات الآخرين ولا يتعدون الحدود الشخصية المقبولة أثناء التفاعل الاجتماعي [(105)].

نكتفي بهذا القدر من المعلومات عن الإفصاح عن الذات كآلية من آليات خفض المشقة ومشاعر الوحدة، ونناقش في الصفحات التالية الآلية الثالثة وهي المساندة الاجتماعية.

جـ- المساندة الاجتماعية social support

تمثل المساندة الاجتماعية أهم وظائف الصداقة. وانطلاقا من تلك الأهمية نجد تنوعا وثراء في البحوث التي تناولت أثر المساندة الاجتماعية في تيسير التفاعل بين الأصدقاء، وتباين أشكال المساندة عبر المراحل العمرية.

وبداية يقرر دك Duck أن فقدان الصديق يعني فقدان أهم مصدر للمساندة بأشكالها المختلفة، ومنها المساعدة والنصيحة والفهم والتوجيه والحماية من الوقوع في الأخطاء. ويفضل دك تصنيف المساندة في فئتين: تتضمن الفئة الأولى المساندة المادية physical support ويعنى بها المساعدة على أعباء الحياة اليومية. والثانية-المساندة النفسية psychological support، وتشمل التصديق على الآراء الشخصية وتأكيد صحتها، ودعم الثقة بالنفس. ويؤكد دك أننا نحتاج إلى نمطي المساندة، وإن كانت الحاجة إلى كل منها تتفاوت من ظرف إلى آخر، ومن علاقة إلى أخرى(114: ص 22).

ويؤيد أرجايل آراء دك مشيرا إلى أن الناس يحتاجون إلى الأصدقاء لأسباب من بينها الرغبة في الحصول على المساعدة أو المعلومات أو المساندة الاجتماعية بمظاهرها المختلفة سواء في شكل نصائح أو تعاطف أو اتفاق في وجهات النظر (62, 61: ص 19).

وتبرز البحوث الأمبيريقية أثر المساندة الاجتماعية من الأصدقاء في خفض وطأة المشقة وتقوية إرادة الشخص وقدرته على تحملها [101] كما تبين أن للمساندة أثرا واضحا في دعم التجاذب بين الأشخاص وتعزيز الرغبة في الارتباط بالآخرين [80].

وبهذا نكون قد عرضنا الدراسات التي اختصت بالآلية الثالثة من آليات خفض المشقة ومشاعر الوحدة، ونتناول فيما يلي الآلية الرابعة والأخيرة:

د- المشاركة في الميول والاهتمامات الشخصية:

تقع هذه الآلية في نهاية المتصل الممتد من تخفيف مشاعر الضيق والملل والتوتر وحتى تنمية المشاعر الإيجابية السارة، حيث تؤدي المشاركة في الميول والاهتمامات الشخصية إلى إثارة المشاعر الإيجابية السارة متضمنة المرح والتسلية والترفيه. ويذكر أرجايل في هذا الصدد أن من بين أسباب احتياجنا إلى الصداقة رغبتنا في لقاء أصدقاء يشاركوننا في الاهتمامات

والنشاطات المفضلة والألعاب التي نحبها، وفي رأيه أن اللعب قد يكون أول مناسبة تجمع بين الأصدقاء، وقد ييسر فيما بعد فرص اللقاء آت المتتابعة (61: ص 19). وفي وجود الأصدقاء أيضا يمكننا أن ننطلق بحرية لنضحك ونلهو ونتبادل المداعبات والطرائف (114: ص 17).

أما لاجيب La Gaipal فيؤكد أن المرح يعكس الجانب المشرق في صداقات الأطفال، وأنه يمثل أهم وظائف الصداقة في تصور بعض الأطفال، حتى يفوق من حيث أهميته المساعدة وأنماط السلوك الغيري altruistic behavior. ويوضح لاجيبا أن ذلك لا يعني أن المرح عنصر أساسي في صداقات الأطفال فحسب، بل هو أساس «مشترك» تقوم عليه الصداقة في كل المراحل. وعلى حد زعمه يمثل المرح واللعب مصدرين حيويين للتنبيه والاستثارة المعرفية-cog nitive arousal، زيادة على دور الضحك والمداعبة في تيسير التفاعل المتبادل في جماعات الأقران. كما لا يمكن أن نتوقع استمرار صداقة بين شخصين تخلو من المرح ومشاعر السرور والارتياح. إذن وظيفة المرح واللعب وظيفة وجدانية في المقام الأول، غير أن اللعب قد يتشبع بطبيعة معرفية، إذ ينهض اللعب بدور معرفي يساعد على ارتقاء القدرة على التخيل لدى الأطفال، ففي بعض الألعاب الجماعية يشترك الأطفال في قصص خيالية يمثلون فيها أدوارا اجتماعية لبعض الراشدين مما ينمي لديهم مهارات فهم أفكار ومشاعر الآخرين (179: ص ص 182- 183).

نتوقف عند هذا الحد من استعراض البحوث التي تناولت أثر الصداقة في تخفيف الآثار السلبية الناجمة عن الشعور بالوحدة أو التعرض للمشقة، ونعرض فيما يلي لبعض البحوث التي ركزت على الوظيفة الأساسية الثانية للصداقة.

2- الإسهام في عمليات التنشئة الاجتماعية:

تيسر الصداقة اكتساب عدد من المهارات والقدرات والسمات الشخصية المرغوب فيها اجتماعيا. وهنا يشير ابشتين Epstein إلى أن صداقات الأطفال تسهم إسهاما بارزا في ارتقاء المهارات الاجتماعية والقيم الأخلاقية-Moral Values والأدوار الاجتماعية، وزيادة على هذا تمد الصداقة الأطفال الصغار بإدراك واقعي لذواتهم بالمقارنة بالآخرين، كما تبصرهم بمعايير السلوك

الاجتماعي الملائم في مختلف المواقف. هذا عن الأطفال، أما عند المراهقين فقد تنهض بوظائف مختلفة، فمن خلالها يتعلمون كيفية المشاركة مع الآخرين في الاهتمامات، والإفصاح عن المشاعر والأفكار وتكوين علاقات تتسم بالثقة المتبادلة مع أقرانهم (122: ص 238).

ويضيف روبين Rubin أنه من بين وظائف الصداقة الأساسية إتاحة الفرصة أمام الأطفال لتعليم المهارات الاجتماعية، إذ تقتضي المهارة الاجتماعية توافر القدرة على التخاطب الناجح مع الأطفال الآخرين. مما يستلزم بدوره قدرة الطفل على تخيل نفسه كما يراه أقرانه في موقف التفاعل. ويرى روبين أن الأسرة لا تهيئ فرص تعلم تلك المهارات، لأنها تجعل التخاطب أبسط مما ينبغي لأطفالها، حيث يدرك الوالدان بحكم خبرتهما مع الطفل حاجاته ومطالبه، ثم يقومان بتلبية تلك الحاجات قبل أن يعبر الطفل لفظيا عنها. وبالطبع لا يكون التفاعل بتلك السهولة في جماعات الأطفال، حيث لا يجد الطفل أمامه إلا محاولة التعبير عن رغباته بصورة يفهمها أقرانه. أضف إلى هذا أنه إذا كان الطفل يتعلم من أسرته كيف يتصرف في سياق علاقات مدرجة هرميا، يحتل الوالدان فيها مكانة مرتفعة، فإن جماعة الأقران تعلمه كيف يتعامل في ظل بناء متساوي المواضع (223: ص 14).

ولا تقتصر حدود تأثير الصداقة على المهارات الاجتماعية، بل تتسع لتشمل عددا آخر من السمات والقدرات، فتشير البحوث إلى وجود علاقة بين الصداقة والسلوك الغيري في مرحلة ما قبل المراهقة [196]، وتكشف أيضا عن تأثير الأصدقاء في تحسين مستوى التحصيل الدراسي، حيث أظهرت دراسة واقعية أجراها ايبشتين Epstein أن الطلاب ذوي التقديرات المنخفضة أو المرتفعة في التحصيل الدراسي، والذين تربطهم صداقة مع تلاميذ مرتفعي التحصيل قد حصلوا على درجات أعلى بعد مرور عام دراسي مقارنين بزملائهم الذين ارتبطوا بزملاء منخفضي التحصيل. ويفسر ايبشتين ذلك التأثير في ضوء الاقتداء والتقليد والرغبة في المحاكاة وتحقيق الذات والإفادة من مهارات وخبرات الزملاء الأكثر تفوقا، ثم من خلال عمليات المقارنة الاجتماعية التي أشرنا إليها والتي تكشف أمام الطفل وجود فروق متسعة بين مستواه الدراسي ومستوى زميله مما يحفزه لتقليل

تلك الفجوة(21: ص ص 197- 199).

هذا عن التأثيرات التي تمارسها الصداقة في عمليات التنشئة الاجتماعية، مع بعض التفسيرات المحتملة لتلك التأثيرات. ويلزم إذا أردنا تفسيرات أعمق الإشارة إلى عاملين مؤثرين: أولهما-أن المناخ الاجتماعي الذي تنشأ فيه علاقة الصداقة مناخ متميز فيما يجري فيه من تفاعلات اجتماعية تميزه عن العلاقات الاجتماعية الأخرى. والثاني-في ظل هذا المناخ يعمل الاقتداء بوصفه أهم الآليات المسؤولة عن تشكيل تأثيرات الصداقة في التنشئة الاجتماعية. وفيما يلي نتناول كل عامل منها بإيجاز:

أ- تميز المناخ الاجتماعي لعلاقة الصداقة بالمقارنة بالعلاقات الأسرية:

تؤكد البحوث النفسية والاجتماعية تميز المناخ الاجتماعي لعلاقة الصداقة بعدة خصائص فريدة. فعلى سبيل المثال يشير بياجيه Piaget إلى أن جماعات الأطفال تحرر أعضاءها من سلطة الآباء وتشركهم في علاقات تقوم على التعاون والتقدير المتبادل والتلقائية، وفي هذا المناخ يتحرر الطفل من الآراء المفروضة عليه من الوالدين، وبدلا من القهر والتقبل السلبي، يتعلم الطفل كيف يقبل الآراء أو يرفضها على أساس الاتساق الداخلي أو الضبط المتبادل (24: ص 224, 110: ص 65).

وتتفق البحوث الحديثة مع آراء بياجيه، التي تشير إلى أن الأطفال يشعرون بقدر أكبر من القوة في علاقاتهم مع أقرانهم بالمقارنة بعلاقاتهم مع الراشدين، وهم يشعرون أن علاقاتهم مع أصدقائهم متساوية في مقدار ما تحمله من مودة مع علاقاتهم بأمهاتهم [129]، كما يدرك الأطفال في تلك العلاقة تحقق قدر أكبر من السعادة والإمتاع، فمن خلالها يتلقون تدعيمات إيجابية، بينما يتصف العائد الذي يحصلون عليه من أسرهم بأنه غالبا ما يكون سلبيا [186]، وبغض النظر عن علاقة الطفل بوالديه تشير الدراسات إلى أن تفاعله مع إخوته يختلف اختلافا واضحا عن تفاعله مع أصدقائه، حيث تبين من المشاهدة الطبيعية لمجموعة من الأطفال وهم يلعبون مع أخوتهم أو مع أصدقائهم وجود تباين واضح في نشاطات اللعب تبعا لجنس رفيق اللعب وعمره وطبيعة الصلة به. فعند اللعب مع الاخوة لوحظ أن الأدوار الموزعة تكون غير متجانسة حيث يميل الأخوة الأكبر إلى تبني أدوار الوالدين أو الراشدين بما تحمله من رغبة في الضبط والسيطرة، أما عند

اللعب مع الأصدقاء فتتساوى مراكز الأطفال وتزيد فرص التنافس في نشاطات تتسم بالندية [239].

ب- الاقتداء بوصفه أهم الآليات المسؤولة عن تشكيل آثار الصداقة في التنشئة الاجتماعية:

تفرض نظرية التعلم الاجتماعي Social learning أن قدرا كبيرا من التعلم يتم عن طريق مشاهدة شخص آخر يسمى القدوة (أو النموذج) model وهو يؤدي الاستجابة المرغوب فيها ثم تشجيع الشخص على محاكاة الاستجابات الصادرة عن القدوة (151: ص. 60).

ويمكن أن نعتبر الأصدقاء نماذج اجتماعية يتعلم منها الطفل والمراهق العديد من الخبرات والمهارات وضروب السلوك الإيجابي، وتشمل مواجهة الضغوط الاجتماعية، والتعامل الكفء مع الجنس الآخر، والقيم الأخلاقية (150: ص. 49).

وفي إطار التعلم بالاقتداء تلزم الإشارة إلى خصائص الشخص الذي يميل الأطفال والمراهقون إلى محاكاته، فيذكر باندورا Bandura من هذه الخصائص الجاذبية المتبادلة، وكفاءة القدوة كما تتحدد في ضوء ما يتلقاه من دعم أو اهتمام بين جماعته وفي ضوء المدعمات المادية والنفسية التي يتحكم فيها، ومن تلك الخصائص أيضا التماثل في العمر والجنس والمستوى الاجتماعي والاقتصادي (المرجع السابق).

ويعد التدعيم الاجتماعي أحد ميسرات الاقتداء، حيث تتزايد احتمالات تقليد السلوك عندما يشاهد القدوة وهو يلتقي الدعم عقب إصداره السلوك المرغوب فيه. ورغم هذا يؤكد باندورا أن متغير الإثابة-العقاب يؤثر على أداء المتعلم للاستجابة المقلدة وليس على تعلمه لها (151: ص 601)، حيث ترتفع احتمالات إصدار الاستجابة المشاهدة عندما يتوقع الشخص تلقي التدعيم عليها، وتنخفض عند توقع العقاب (المرجع السابق ص 406). وعلى هذا يمكننا أن نتصور أثر الأصدقاء سواء في تعلم ضروب السلوك الجديدة أو في تشجيع إصدار السلوك المتعلم بالفعل نظرا لاستحواذهم على رصيد هائل من المدعمات الاجتماعية والتي تشمل كما أشرنا آنفا كل مظاهر المساندة الاجتماعية بشقيها النفسي والمادي.

4 مجالات الاهتمام الرئيسية في بحوث الصداقة

شهدت السنوات المبكرة من القرن العشرين بداية الاهتمام بموضوع العلاقات الاجتماعية مع الأقران من جانب المتخصصين في العلوم النفسية والاجتماعية، وقد تجلت بوادر هذا الاهتمام منذ العشرينيات والثلاثينيات على وجه التقريب، ثم تضاءل الاهتمام به فترة زمنية طويلة استمرت حتى السبعينيات. وبعد هذا التاريخ شهد المجال اهتماما مكثفا، ويرجع روبين Rubin تضاؤل العناية بالصداقة منذ الثلاثينيات إلى سيطرة نظرية التحليل النفسي على اتجاهات البحث في علم النفس، وكان تركيزها الأساسي على علاقة الأم بالطفل باعتبار إسهامها في الارتقاء العقلي والاجتماعي. وكان التصور الذي أملته تلك النظرية أن علاقة الطفل مع أقرانه لها تأثير ضئيل في ارتقائه، وقد انعكس هذا التصور على السياسات التربوية والسياق الاجتماعي، ففي ظل عدم الاقتناع بأهمية التفاعل مع الأقران أعطيت للأطفال حرية محدودة في التفاعل الاجتماعي مع أقرانهم. وعندما تبين خطأ هذا التصور، ومع تراكم البحوث التي أوضحت أهمية

العلاقات الاجتماعية الأخرى، شهد مجال العلاقات الشخصية بصفة عامة وموضوع الصداقة بصفة خاصة تقدما ملموسا[223: ص 13].

وقد اكتسب موضوع العلاقات بين الأشخاص خصائص متميزة جعلت منه فرعا غير تقليدي إلى الدرجة التي تدفع بعض الباحثين إلى الظن بأن هذا الفرع سيحتل موضع الصدارة في ميدان علم النفس الاجتماعي، ويذكر دك من تلك الخصائص النمو بالغ السرعة، والعلاقة الوثيقة مع عدد كبير من فروع العلم والمعرفة، والصلة القوية بالحياة الواقعية مما يجعله مثيرا لاهتمام معظم الأشخاص[116].

وعندما نستعرض البحوث المتصلة بالصداقة والمنشورة خلال السنوات العشر الأخيرة يتضح أن هناك خمسة مجالات استقطبت جهود الباحثين المهتمين بهذا الموضوع، هي:

1- وظائف الصداقة وتأثيرها في الارتقاء الاجتماعي للأشخاص.

2- ارتقاء أسس التجاذب وشروط الصداقة.

3- ديناميات علاقة الصداقة: وتشمل مهارات بدء الصداقة، وطبيعة الخلافات بين الأصدقاء، وأساليب التغلب عليها.

4- الدراسات السوسيومترية لخصائص الصداقة.

5- علاقة خصائص الصداقة بالظروف الاجتماعية والأسرية.

ونستعرض في الصفحات التالية أهم الموضوعات المطروحة في كل مجال من المجالات السابقة.

1 - وظائف الصداقة وتأثيرها في الارتقاء الاجتماعي للأشخاص:

عرضنا جانبا من البحوث الخاصة بهذا المجال، ونحن بصدد الإشارة إلى وظائف الصداقة في حياتنا النفسية والاجتماعية، حيث بينا أن للصداقة وظيفتين أساسيتين وهما: خفض مشاعر الوحدة والمشقة، وتيسير عمليات التنشئة الاجتماعية.

وتقتضي النظرة المتكاملة للدراسات المجراة في هذا المجال الإشارة إلى البحوث التي كشفت عن تأثيرات سلبية للصداقة في بعض الظروف. وتفرض تلك النتيجة إجراء مزيد من البحوث المتعمقة لاستكشاف طبيعة الظروف التي يتأتى من خلالها استثمار آثارها الإيجابية وتحاشي آثارها السلبية.

ومن بين الآثار السلبية التي أظهرتها بحوث وظائف الصداقة نذكر على سبيل المثال أن اقتناع الوالدين بأهمية الصداقة وخوفهم الزائد من فشل أبنائهم في تكوين صداقة مع أقرانهم ربما يؤدي إلى شعور الأبناء بالتوتر والإحباط، وقد يدفعهم حرصهم على خفض تلك المشاعر واكتساب القبول بين زملائهم إلى الانصياع لمعايير الجماعة حتى وإن كانت غير متفقة مع آرائهم وتفضيلاتهم الشخصية(223: ص 13).

وقد فطن ابشتين إلى التأثير نفسه قبل ذلك بسنوات وهو يقرر أن العلاقات الاجتماعية تقتضي المجاراة conformity وإظهار الطاعة وبالتالي فإنها تحد من الحرية في التعبير عن الذات والتفكير المستقل، والسلوك القيادي والطموح الشخصي، كما تعلم استجابات غير صحية مثل التملق وتشويه الوقائع بهدف المحافظة على علاقة الصداقة وإرضاء الآخرين(122 ص239).

واستكمالا للدراسات التي كشفت عن التأثيرات السلبية المحتملة للصداقة نذكر أن الأقران قد يدعمون السلوك العدواني، الأمر الذي يترتب عليه زيادة احتمالات تكرار هذا السلوك في المواقف المماثلة. فقد لوحظ أنه عندما يقع عدوان على أحد الأطفال من قرين له سواء بالضرب أو الاستيلاء على أحد المتعلقات الشخصية، ويستجيب أي طفل للعدوان الواقع عليه بالانسحاب withdrawal أو الخضوع submission أو البكاء، تزيد احتمالات تكرار الطفل المعتدي لسلوكه العدواني في التفاعلات التالية. بمعنى أن ردود أفعال الضحية تمارس تدعيما إيجابيا لسلوك المعتدي. أما عندما يرد الطفل على السلوك العدواني بتقديم مدعمات سلبية بأي وسيلة- ولتكن شكوى الزميل المعتدي إلى المدرس، أو استرداد المتعلقات الشخصية، أو الدفاع عن النفس-فهنا تزداد احتمالات قيام المعتدي بتغيير الضحية وتوجيه العدوان إلى طفل آخر، وبتكرار نمط التفاعل نفسه تقوى الميول العدوانية لدى الطفل الضحية حتى تشجعه على المبادرة بالهجوم والاعتداء على زملائه (150: ص 489)، وبخلاف العدوان تكشف دراسات أخرى أن الانخراط مع أصدقاء منحرفين أو متعاطين للمواد النفسية المؤثرة في الأعصاب يزيد الاستهداف لتعاطي تلك المواد في مرحلة المراهقة[156].

وإزاء تباين آثار الصداقة ما بين إيجابية إلى سلبية تبرز الحاجة إلى

متابعة البحث في هذا المجال لكشف غموضه، ولعل هذا ما يفسر القول بأن دراسات وظائف الصداقة لم تزل في مهدها، وفي هذا الصدد يلزم لفهم آثار الصداقة فهما صحيحا توخي الدقة والحذر وتجنب الميل إلى التعميم المفرط، ومراعاة النظر في التفاصيل الدقيقة، والتفكير في نوعية المتغيرات الوسيطة أو المعدلة moderator variables لوظائف الصداقة. ويأتي متغير درجة عمق علاقة الصداقة في مقدمة المتغيرات المعدلة الجديرة بالاهتمام، إذ تتوافر شواهد واقعية توضح أن العلاقات الوثيقة تفوق العلاقات العابرة فيما تمنحه لأطرافها من مساندة وجدانية ومعلومات ونصائح، بينما لا تتميز عنها في أداء وظائف أخرى تشمل إثارة المرح وتبادل المساعدة والتنبيه العقلي[147].

وهناك متغير آخر جدير بالاهتمام وهو حجم شبكة الأصدقاء، فيبدو أن التأثير الإيجابي موقوف على الارتباط بعدد ملائم ومعتدل من الأصدقاء(122: ص239)، وفي إطار تصور آخر يشير ريزمان إلى اعتماد تأثير الصداقة على كيف العلاقة أي عمقها واستقرارها وليس كمها [217]، ويضاف إلى تلك المتغيرات المعدلة العمر، إذ تختلف وظيفة الصداقة عبر المراحلة الارتقائية، حيث تتمركز الصداقة في مراحله المراهقة المبكرة حول النشاطات بصورة أساسية، وهنا تبرز وظيفة اللعب والمشاركة في النشاطات. أما في مراحل المراهقة المتوسطة أو المتأخرة فتبرز حاجات أكثر عمقا مثل الرغبة في صديق وفي يعتمد عليه ويؤتمن، ثم تبزغ الحاجة إلى الاتفاق في الميول والاتجاهات والقيم وسمات الشخصية (43: ص 904، 207). ويلزم أيضا إذا أردنا أن نحسن فهم وظائف الصداقة أن نحدد بدقة نوعية التأثيرات الإيجابية أو السلبية التي تتأتى من خلال علاقة الصداقة، بدلا من الأوصاف الإجمالية وغير المحددة لتلك التأثيرات، ويدفعنا إلى التعبير عن هذا الرأي نتائج دراسة تجريبية أوضحت أن المساندة الاجتماعية التي يقدمها الأصدقاء في ظروف المشقة قد تقلل مشاعر الاكتئاب بينما لا تمارس التأثير نفسه على مشاعر الخوف [248].

2- ارتقاء أسس التجاذب وشروط الصداقة بين الأشخاص:

تهتم بحوث هذا المجال بدراسة تصورات المبحوثين حول الصداقة

وشروطها مع العناية بالمتغيرات التي يقوم عليها التجاذب بين الأقران والكشف عن ارتقاء أسس الصداقة عبر مختلف المراحل العمرية.

وجدير بالذكر أن التجاذب بين الأشخاص يمثل البداية المنطقية لدراسة الصداقة، فمن دون حد أدنى من الجاذبية لا يمكن تصور قيام صداقة بين شخصين، إذ يعرف التجاذب بأنه اتجاه إيجابي positive attitude نحو شخص أو مجموعة من الأشخاص، ويتضمن هذا الاتجاه أو التوجه مكونا معرفيا- cog nitive component يحوي المعتقدات والمعلومات عن الطرف الآخر، ومكونا وجدانيا affective يمكن التعبير عنه ويتعلق بمشاعر الحب والتقبل، ومكونا سلوكياbehavioral تمثله محاولات الاقتراب من الشخص المتمتع بالجاذبية(149: ص10).

ومما يسترعي النظر أن البحوث المبكرة التي استهدفت الكشف عن المتغيرات المحددة للتجاذب بين الأشخاص قد ركزت على العناصر الثانوية للتجاذب، ويقصد بها الخصائص التي تقع خارج الشخص، ومن بينها التقارب المكاني، وتوافر فرص الاتصال والتفاعل بين الأشخاص، وفي مراحل تالية بدأ الاهتمام بتأثير العوامل الشخصية في التجاذب بين الأشخاص(229 :ص84ـ91).

ومن بين الموضوعات التي تستثير اهتمام الباحثين في هذا المجال محاولة تعريف التجاذب وتحديد أبعاده والاستقرار على أفضل الطرق لقياسه (انظر: 159 , 112 , 233)، ومحاولة تفسير العلاقة بين التماثل بين الأشخاص والتجاذب فيما بينهم (انظر: 82 , 136 , 254)، وأثر التدعيم في تقوية الاتجاه الإيجابي نحو الآخرين (انظر: 92 , 195 , 91). وكذلك دراسة السياق الاجتماعي الذي يحدث فيه التجاذب [172, 222].

ومن بين الموضوعات المطروحة هنا أيضا تأثيرات التجاذب في ديناميات التفاعل بين الأشخاص(189 , 241 , 178)، وفي هذا الموضوع تناول الباحثون الجاذبية البدنية)-ونعني بها درجة الجمال أو الوسامة التي يتمتع بها أحد الأشخاص-وما تحدثه من تأثيرات في ردود أفعال الآخرين نحوه، وفي إدراكهم لخصاله وقدراته (انظر: 109 , 58 , 164).

وقد وجه بعض الباحثين اهتمامهم نحو دراسة ارتقاء أبعاد ومحددات التجاذب من مرحلة الطفولة إلى الشيخوخة، ويصنف ديكنز Dickens وبرلمان

Perlman الدراسات التي أجريت في هذا الموضوع إلى فئتين: الفئة الأولى تناولت الارتقاء المعرفي cognitive development، من منظور بياجيه Piaget وتأثيره على ارتقاء العلاقات الاجتماعية، أما الفئة الثانية فقد تناولت خصائص الصداقة في مرحلة أو أكثر من المراحل العمرية [107]، ومن أمثلة البحوث المتصلة بهذا الموضوع البحوث التي تناولت العلاقة بين الارتقاء المعرفي وأنماط الصداقة المتبادلة (192 , 197)، وكذلك ما يصاحب الارتقاء المعرفي والاجتماعي من تغير في تفضيلات الأفراد للخصال المرغوب فيها في أصدقائهم (74 , 179).

وتجدر الإشارة بعد تلك المراجعة إلى ندرة الدراسات العربية والمصرية التي استهدفت الكشف عن محددات التجاذب بين الأشخاص عبر مختلف المراحل الارتقائية، إذ لم نعثر على دراسة حاولت التصدي لهذا الهدف غير دراسة سويف في منتصف الخمسينيات[24]. أما على المستوى العالمي فيؤخذ على كثير منها اعتمادها على عينات محدودة أو استخدامها مقاييس لا تستوفي الشروط السيكومترية الأساسية. ويلاحظ على بعضها الآخر أنها وقفت عند حدود التجاذب، وهو كما عرفناه اتجاه إيجابي أولي نحو شخص أو مجموعة من الأشخاص، بينما تشير الصداقة إلى العلاقات القائمة بين شخصين أو أكثر، والتي تمتد جذورها في الماضي، ويتوقع الأصدقاء استمرارها في المستقبل، وبذلك لا يستوعب مفهوم التجاذب أبعاد الصداقة بكل ما تتسم به من ثراء (107: ص 91)، وعلى هذا فهناك حاجة إلى دراسة ديناميات علاقة الصداقة المستقرة وفي مقدمتها طبيعة المهارات المسؤولة عن بدء علاقة صداقة شخصية تتسم بحظ أوفر من الدوام Duration، خاصة مع توافر معلومات توضح قابلية تلك المهارات للتعديل أو التعزيز من خلال برامج تدريبية منظمة [146].

3- ديناميات علاقة الصداقة:

تتسم اهتمامات هذا المجال بالتنوع والتعدد إذ تركز على أنماط التفاعل بين الأقران، والتي تعقب مرحلة التجاذب الأولى بين شخصين أو أكثر ومن بين الأبعاد موضع الاعتبار في مجال ديناميات الصداقة: مهارات بدء الصداقة، أسباب اضطراب تلك المهارة، وطرق تحسينها وتدريبها، أنماط

التفاعل الاجتماعي الإيجابي أو السلبي بين الأصدقاء، ونوعية الخلافات التي يمكن أن تقع بينهم، والطرق التي يسلكونها لحلها وحفظ الصداقة من التفكك والتقطع. ومن بين الموضوعات الحيوية هنا أيضا ديناميات نمو علاقة الصداقة والتي تعمق من خلالها وتبلغ أعلى مراتب المودة والخصوصية. أما عن الموضوعات التي حظيت بالاهتمام بعد مهارات الصداقة فيأتي في صدارتها: أساليب التعارف وبدء علاقة صداقة بعد توافر شروط التجاذب بين شخصين (انظر: 73, 133, 209)، وتحليل مهارات الصداقة ومظاهر التفاعل الاجتماعي الكفء وغير الكفء (98, 210, 219)، وعلاقة مهارات الصداقة ببعض متغيرات الشخصية [55]، ثم أساليب تحسين وتدريب مهارات الصداقة (168, 169, 127)، وبعضها صمم خصيصا ليلائم الأطفال شديدي الخجل والانطواء.

أما في إطار بعد ديناميات التفاعل الإيجابي أو السلبي، بين الأصدقاء ونمط الخلافات المهددة لعلاقات الصداقة، فقد بحثت موضوعات منها: مصادر الخلاف بين الأصدقاء، ومن بينها الشعور بفقدان العدالة [189]، أو عدم المساواة بين الصديقين في الحقوق والواجبات [145]، وتأثير الصراع في خصائص العلاقات الاجتماعية [78]، وتناولت دراسات قليلة طرق حل المشكلات بين الأشخاص[232].

ويؤخذ على بحوث هذا المجال عدة مآخذ، ففيما يتعلق ببعد مهارات الصداقة مازالت الحاجة قائمة إلى إجراء مزيد من البحوث الواقعية بهدف استجلاء مكونات المهارة الاجتماعية اللازمة لبدء صداقة قبل تصميم برامج التنمية والتدريب[237]، حيث نلاحظ ندرة الدراسات التي تناولت تحليل الاستجابات التي يصدرها الشخص لبدء علاقة مستقرة مع شخص آخر يشعر بالجاذبية نحوه، وهو من الموضوعات الواعدة والتي تتميز بقيمة تطبيقية كبيرة، حيث تشير الدلائل إلى إمكان تعديل المهارات الاجتماعية وتحسين مهارات اكتساب الأصدقاء [146].

ونلاحظ أيضا ندرة الدراسات التي استهدفت الكشف عن مسببات الخلاف بين الأصدقاء في الثقافة العربية، أما عن أساليب حل تلك الخلافات فتبدو الندرة واضحة على المستويين العالمي والعربي، على الرغم من إسهام القدرة على حل الخلافات في تحسين الصحة النفسية وتجنب

المخاطر والإحباطات (231، 238).

4- الدراسات السوسيومترية لخصائص الصداقة:

يعنى هذا المجال ببحث الاختيارات المتبادلة في جماعات الأقران، ويتضمن البحوث التي تعتمد على المقاييس السوسيومترية في قياس مشاعر الحب أو الكراهية بين الأشخاص، ومن خلالها يمكن الوقوف على التغيرات التي تحدث مع تقدم العمر في عدد من المتغيرات من بينها عدد الأصدقاء المقربين وعدد الصداقات المتبادلة ودرجة الشعبية بين الأقران في مختلف المراحل العمرية. وقد سبقت الإشارة في الفصل الثاني إلى تعريف المقاييس السوسيومترية وطرق تطبيقها. ونقدم هنا نماذج من البحوث التي تجرى في هذا المجال.

ويلاحظ أن معظم البحوث السوسيومترية قد ركزت على دراسة الفروق بين الجنسين في تفضيل الارتباط بعدد كبير أو محدود من الأصدقاء، وكذلك نسب الصداقات المتبادلة وتعكس تلك البحوث ميل الذكور إلى تكوين صداقات متعددة بينما تفضل الإناث الصداقات المتبادلة مع عدد محدود من الصديقات (66، 117، 202)، كما نال موضوع العوامل المحددة للشعبية والتقبل الاجتماعي قدرا وافرا من الاهتمام، حيث تناولت بحوث كثيرة علاقة التقبل الاجتماعي بمتغيرات نفسية واجتماعية نذكر من بينها: ترتيب الميلاد، وعدد الأخوة، وسمات الشخصية، والمهارات الاجتماعية، والقيم الأخلاقية، ومركز التحكم في التدعيم locus of control (55، 64، 175)، وقد اهتم باحثون آخرون بدراسة خصائص التفاعل الاجتماعي التي تميز الأشخاص المقبولين اجتماعيا عن الأشخاص المرفوضين من أقرانهم(65، 75، 176)، والتي تميز كذلك بين الأشخاص العدوانيين وغير العدوانيين بهدف تحديد أساليب التصرف التي تحقق أقص درجات الفاعلية الاجتماعية.

وجدير بالذكر أنه رغم وفرة وتعدد الدراسات المتصلة بتقدير العوامل المحددة للمحبة والجاذبية الاجتماعية، إلا أن الاتفاق بين نتائجها ضئيل إلى حد بعيد (93: ص 419)، وتفرض تلك النتائج المتعارضة ضرورة إجراء مزيد من البحوث لتفسير أسباب تعارضها، وحسم الخلاف حول نوعية

المتغيرات التي يمكن من خلالها التنبؤ بالتقبل الاجتماعي بين الزملاء.

5- علاقة خصائص الصداقة ببعض المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

تبحث دراسات هذا المجال علاقة بعض خصائص الصداقة بمجموعة من المتغيرات الاجتماعية، بهدف فهم طبيعة تلك العلاقة أولا، ثم محاولة الإفادة منها تطبيقيا-على قدر الإمكان-في تهيئة السياق الاجتماعي الميسر للتفاعل الجيد بين الأشخاص.

ويبدو أن لهذا المجال جذورا ترجع إلى بدايات الثلاثينيات من القرن العشرين، وتبدأ بالتحديد من بحوث ليفين وزملائه عن تأثير المناخ الاجتماعي في سلوك أعضاء الجماعة، وقد أجريت هذه البحوث على مجموعات من الأطفال عملوا في ظل أساليب قيادية مختلفة. حيث قام الباحثون بتدريب بعض الراشدين على قيادة هذه المجموعات إما بأسلوب ديمقراطي أو استبدادي أو فوضوي، وأظهرت النتائج تباين ردود الأفعال الصادرة من الأطفال في تفاعلهم مع مختلف القادة، ففي المناخ الديمقراطي تميز التفاعل بالمودة والصداقة، وضح ذلك من تفضيل الأطفال التفكير الجماعي، وتبادل الثناء، وقبول المشاركة في ممتلكات الجماعة، وزيادة عدد الأطفال في الجماعات التي تكونت تلقائيا أثناء التجربة، مما يعني توافر قدر أعلى من التماسك الاجتماعي. أما في المناخ الاستبدادي، فكشف التفاعل بين الأطفال عن نزوع إلى العداوة، والميل إلى الاعتمادية والخضوع، وسيادة روح الفردية والأنانية، مع انقسام الجماعة إلى مجموعات فرعية محدودة العدد(50 :ص231 , 247: ص326).

ومع وضوح تأثر الصداقة بالسياق الاجتماعي الذي تنشأ في ظله اهتم باحثو هذا المجال بدراسة تأثير عدد من المتغيرات الاجتماعية والأسرية في تشكيل ملامح التفاعل الاجتماعي مع الأصدقاء، ونذكر من بينها: سمات شخصية الوالدين، ومدى تمتعهم بالمهارات الاجتماعية (173 , 230)، وترتيب الميلاد وعدد الإخوة، وحجم الأسرة، وعمل الأم، ووجود الأب على قيد الحياة، والخلافات والصراعات الأسرية، والطلاق أو الانفصال، وخصائص التفاعل بين الوالدين، وبين الوالدين والطفل (93: ص 415)، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة[(220)]، وأيضا تأثير تعليم الأب

ومهنته[170].

وبالإضافة إلى العناية بتأثير الظروف الأسرية، اهتم باحثون آخرون بدور متغيرات البيئة المدرسية في تشكيل علاقات الصداقة ومن الموضوعات التي بحثت في هذا السياق تأثير السياسة المتبعة في توزيع التلاميذ على الفصول الدراسية في تيسير أو إعاقة العلاقات الاجتماعية (142 , 143)، وكذلك دور المدرس في دعم مهارات الصداقة (228 , 234: ص 93)، وأيضا تأثير حجم المدرسة وكثافة أعداد التلاميذ فيها، والمساحة التي يتاح للأطفال حرية اللعب فيها في تشجيع الصداقة أو إثارة العدوان بين التلاميذ(223: ص 122)، وهناك بحوث أخرى تتصل بتأثير مشاركة التلاميذ في نشاط اجتماعي لا يتصل مباشرة بالمواد الدراسية المقررة في تفاعلاتهم مع أقرانهم(170 :ص139131) .

ويلاحظ على دراسات هذا المجال أنها لم تضع التأثيرات الاجتماعية والأسرية كهدف رئيسي لها، وإنما جاء تناولها لهذه المتغيرات في سياق الاهتمام بموضوعات أخرى، وعلى هذا فهناك حاجة ملحة إلى تكثيف الاهتمام بمتغيرات الخلفية الأسرية بصفة خاصة، وما تحدثه من تأثيرات في كفاءة العلاقات الاجتماعية التي يعقدها الأبناء مع أقرانهم (154: ص 267) .

وبهذا نكون قد استعرضنا في عجالة سريعة مجالات الاهتمام الرئيسية التي ينصب فيها فكر وجهد الباحثين المنشغلين بدراسة الأسس النفسية والاجتماعية لعلاقة الصداقة بين أبناء الجنس الواحد، وفي الفصول التالية نلقي المزيد من الضوء على النظريات والدراسات المتصلة بكل مجال منها .

5 ارتقاء الصداقة عبر مراحل العمر

مقدمة: تعريف الارتقاء development

يشير هاريمان Harriman في تعريفه للارتقاء الذي قدمه عام 1947 إلى أن الارتقاء هو «عملية النضج maturation كما تتم في الكائن، وتفصح عن نفسها في التغيرات المتلاحقة التي تقع منذ الحمل وحتى اكتمال النضج، ويشير الارتقاء إلى تغيرات كيفية متدرجة في المظاهر الجسمية والذهنية، بينما يشير النمو إلى نطاق أضيق من الظواهر ينحصر في نطاق التغيرات الكمية (انظر 24: ص 396).

أما دريفر فيعرف الارتقاء بأنه «التغير التدريجي في الكائن والمتجه باستمرار نحو نهاية معينة (أي التغير التدريجي من المرحلة الجنينية وحتى مرحلة البلوغ في أي نوع حيواني» (111: ص 63-64).

ويسترعي انتباه هارلوك hurlock بعض الباحثين إلى استخدام مصطلحي النمو growth والارتقاء على أنهما مترادفان، بينما هما في حقيقة الأمر مختلفان، غير أنهما لا ينفصلان، كما أن أحدهما لا يحدث دون الآخر، وهي تفرق بينهما على النحو

التالي «يشير النمو إلى تغييرات كمية وزيادة في الحجم والبناء، أما الارتقاء فيعني حدوث تغييرات كيفية وكمية، ويمكن تحديده على أنه سلسلة متتابعة من التغيرات المترتبة والمتسقة، وتشير صفة «متتابعة» إلى أن التغيرات ذات اتجاه واحد، وأنها تؤدي إلى مزيد من التقدم ولا تتجه إلى الخلف، أما صفتا الترتيب والاتساق فتشيران إلى وجود علاقة محددة بين كل مرحلة والمراحل الأخرى التي تسبقها وتلك التي تليها» (انظر 157 : ص 43).

ويعرف انجليش English الارتقاء في ضوء الخصائص آلاتية:

1- الارتقاء سلسلة من التغيرات المستمرة في الكائن الحي في نسق يمتد عبر فترة زمنية طويلة منذ ميلاده وحتى اكتمال نضجه أو وفاته.

2- تؤدي تلك السلسلة إلى تغيرات غير قابلة للارتداد.

3- ينتج عن هذه التغيرات مستوى أعلى من التغاير، والتعقد في النسق.

4- قد تظهر تلك التغيرات في البناء أو الوظيفة أو التنظيم أو الحجم أو التغاير أو التكامل أو الكفاءة.

5- الارتقاء مفهوم عريض جدا إذ يجمع بين التغيرات الكمية. والكيفية، وبين التغيرات الوراثية والمكتسبة من خلال التعلم، وهو يشمل التغيرات الجزئية وأيضا التغيرات الكلية في الأهداف والغايات وبناء المجتمع(119 :ص148).

وبعد فحص تعريفات الارتقاء الأربعة نستخلص منها أن الارتقاء سلسلة من التغيرات الكمية والكيفية والمتدرجة والمستمرة والمتجهة إلى الأمام، والتي ترجع إلى عوامل النضج والوراثة والتعليم والتنبيه، والتي تمضي من البساطة وضعف التنظيم وفقدان الأجزاء الداخلية محددة المعالم والانفلات والتداخل نحو مزيد من التغاير والتعقد والتركيب والتماسك والانضباط والاستقلال، وهي تغيرات تتجلى في مظاهر متباينة، من بينها الحجم والبناء، والوظيفة، والتنظيم والتغاير، والتكامل والكفاءة. ويلاحظ أن التغيرات الكيفية لا تحدث إلا بعد أن يتحقق قدر من التغيرات الجزئية ذات الطبيعة الكمية في المقام الأول، ويلاحظ أيضا أن الارتقاء لا يتوقف عند المراهقة أو بدايات الرشد، وإنما يمتد عبر الحياة وحتى الوفاة (38: ص 44-45).

وينهض الفصل الحالي بمهمة عرض النظريات الارتقائية التي استهدف أصحابها شرح وتفسير التغيرات العمرية-الكمية والكيفية-التي تطرأ على

خصائص علاقة الصداقة بدءا من الطفولة والمراهقة ثم الرشد وحتى الشيخوخة، وذلك على النحو التالي:

أولا: النظريات المفسرة لارتقاء الصداقة من الطفولة وحتى المراهقة:

في بدايات الخمسينات من هذا القرن قدم بعض الباحثين المهتمين باستكشاف مظاهر الارتقاء الاجتماعي بصفة عامة، وعلاقة الصداقة بصفة خاصة أطرا نظرية، طرحوا من خلالها تصوراتهم حول ملامح هذا الارتقاء وديناامياته النفسية والاجتماعية، ونذكر من بين أولئك الباحثين: سويف، وجزيل Gesell، وسوليفان Sullivan وأريكسون Erikson.

ويجدر بنا أن نشير قبل الدخول في أية تفاصيل إلى أن أفكار بياجيه Piaget عن الارتقاء المعرفي كان لها صدى واسع المدى في معظم نظريات الارتقاء الاجتماعي. وتذكر بورك Borke في هذا الصدد أن كثيرا من كتابات بياجيه توضح اقتناعه بأهمية المؤثرات الاجتماعية في الارتقاء العقلي، فهو نفسه يقرر إن الإنسان ينغمس ومنذ ميلاده في بيئة اجتماعية لا يقل تأثيرها عن البيئة الفيزيقية،، وهو عندما يحلل الأبنية التي تنظم الارتقاء العقلي يصنفها في فئتين عريضتين، وهما الأبنية الحركية أو العقلية من ناحية، والأبنية الوجدانية من ناحية أخرى، ويذهب بياجيه إلى أن الوظائف الوجدانية لا تنفصل عن الوظائف العقلية عند أداء أي فعل، فعلى حد زعمه ليس هناك فعل عقلي غير متأثر بالعاطفة، وبالمثل ليس هناك فعل وجداني مجرد تماما من الفهم، ويزيد بياجيه على ذلك أن كلا الجانبين (العقلي والوجداني) إنما يتأثران ومنذ الطفولة المبكرة بظروف التنشئة الاجتماعية. وتشير بورك إلى أن اهتمام بياجيه بالتمركز حول الذات، ونمو قدرات اللعب التعاوني مع الأقران، والارتقاء الأخلاقي، يعكس وعيه بأهمية العوامل الاجتماعية [77].

هذا عن تأثير بياجيه في نظريات الارتقاء الاجتماعي، ونستعرض فيما يلي أهم الأفكار التي تنطوي عليها أبرز المحاولات التنظيرية في هذا الصدد.

١- سويف (الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي):

يوضح سويف حدود محاولته والتي قدمها عام 1955 في كتابه «الأسس

النفسية للتكامل الاجتماعي» بأنها «محاولة لإقامة فكرة منظمة عن طبيعة عملية التكامل الاجتماعي (اعتمادا) على الدراسة التجريبية من ناحية، وعلى المساهمات الجزئية المتعددة التي قام بها عدد كبير من الباحثين من ناحية أخرى (بهدف) الوصول إلى فكرة منظمة لوصف عملية التكامل الاجتماعي وتفسيرها»..[24]

وقد عني سويف بمحاولة تفسير الأسس النفسية التي توجه ارتقاء الشخص منذ الميلاد وحتى المراهقة، ويهمنا أن نلقي الضوء على الاستبصارات التي قدمها وهو بصدد بحثه لمرحلتين مهمتين وهما: المرحلة التي تمتد من الرابعة إلى بدء المراهقة، ثم مرحلة المراهقة، نظرا لأهميتها في فهم التغيرات الارتقائية في خصائص العلاقات الاجتماعية مع الأقران.

أ- الطفل من بداية الرابعة إلى بدء المراهقة:

تشهد هذه المرحلة ظهور عدة تغيرات ارتقائية نلخصها على النحو التالي:

1- بزوغ قدرة الطفل على عقد علاقات مع الأطفال الغرباء المماثلين له في العمر، وتكشف هذه القدرة عن نفسها من خلال تكوين جماعات اللعب مع الأقران، حيث يلاحظ أن الطفل قبل أواخر السنة الثالثة لا يستطيع أن يعقد علاقة تعاون أو تنافس مع طفل آخر، أما اتصالاته بهم فلا تتعدى كونها ضربا من اللعب الانفرادي بجوارهم وهي اتصالات عابرة وسطحية.

2- تزايد استقلال الطفل عن الراشدين مع عودة ثقته فيهم، وتبدو تلك الثقة في قبوله لتوجيهاتهم، ومحاولة إرضائهم، كما تبدو أيضا في ظاهرة عبادة الأبطال التي تبدأ في نحو الثامنة، ويكون الأب أو المدرس هو المثل الأعلى في خيال الطفل.

3- زيادة اعتماد الطفل على النشاط اللغوي، ويظهر ذلك من خلال كثرة الأسئلة الموجهة منه إلى الراشدين، ومحاولته حل الخلاف مع الأصدقاء عن طريق الكلام، كما يزيد الاعتماد على الكلام في نشاطات جماعات اللعب (24: ص ص 188- 190).

أما عن ديناميات هذا الارتقاء فقد فسرها في ضوء التغير في قطبي الفردية والاجتماعية. وقد أبرز من التغيرات الدالة على ارتقاء قطب الفردية في السنتين الرابعة والخامسة على وجه الخصوص ما يلي: ازلقاء القدرات

التخيلية، وزيادة إدراك الطفل للواقع الفيزيقي والاجتماعي، ونمو القدرة على ضبط وتوجيه ونقد الذات، وزيادة التآزر الحركي مما يمكن الطفل من أداء أكثر من عمل في الوقت نفسه، مع صلابة الذات والتي تبدو في استطاعة الطفل الانفصال عن أمه دون أن يكابد مشقة شديدة (المرجع السابق: ص ص 195- 209).

وعندما ينتقل سويف إلى شرح ديناميات نمو قطب الاجتماعية وما يتضمنه من شعور بالآخرين ومشاركتهم يعتمد على بعض الدراسات الواقعية لجماعات الأطفال في فترتين زمنيتين، وهما: من السنة الرابعة وحتى الثامنة، ثم تجمعات الأطفال بعد السابعة أو الثامنة وحتى بدء المراهقة.

ب- الارتقاء الاجتماعي في مرحلة المراهقة:

يتتبع سويف الارتقاء الاجتماعي للمراهق، فيشير إلى أن هذا الارتقاء إنما هو محصلة لتعميق قطبي الفردية والاجتماعية، على النحو التالي:

ينمو قطب الفردية من خلال التغيرات العضوية والتوترات التي تحدثها عملية البلوغ، وما يصاحبها من تغير في تصور الشخص لذاته، مع ظهور بوادر الاهتمام بالجاذبية الجسمية والمظهر العام، وعقد مقارنات بينه وبين الآخرين في أبعاد الجسم، إضافة إلى المشاعر المترتبة على هذا النمو الجسمي، إذ يدرك المراهق نفسه على أنه أصبح رجلا (أو امرأة) ومع هذا فهو لا يلقى المعاملة الجديرة به من الراشدين والتي تتناسب مع إدراكه لذاته، فينشأ الصراع بينه وبينهم، ويراوده شعور بأن أصدقاءه في نفس مرحلته هم القادرون على فهمه وخفض توتراته.

أما نمو قطب الاجتماعية فيبدو في عدة مظاهر من بينها:

1-تنبه المراهق للفروق بينه وبين الآخرين ونقده المتزايد لنفسه ولعلاقته بهم.

2- ارتقاء التصورات الأخلاقية، ويمضي هذا الارتقاء من الأفكار العيانية والمحددة بإطار العلاقات الشخصية المباشرة إلى الأفكار التي يغلب عليها طابع التعميم.

3- بروز الطابع الاجتماعي للسلوك، فبينما تحدث معظم الخلافات بين الأطفال لأسباب تتعلق بالممتلكات المادية يحدث الصراع بين المراهقين لاعتبارات اجتماعية، كما يسعى المراهق نحو العمق والشدة والاستقرار

بدلا من الاتساع السطحي والصداقات المتقلبة، كما تتميز صداقاته مع أقرانه بدرجات متباينة من القرب النفسي، وتزيد درجة حساسيته الاجتماعية وتظهر في خوفه من رفض الجماعة له (المرجع نفسه، ص ص 238- 247).

ورغم تلك المظاهر يشير سويف إلى أن جماعات المراهقين لا تمثل أعلى مستويات التكامل الاجتماعي، فليس لها عمل منظم تقوم به ولا أهداف محددة وتقسيم للأدوار، ويتمركز مضمون الصداقة في مجرد الحديث عن الأسرار والاهتمامات الشخصية، ويضاف إلى ذلك أن علاقات المراهقين تنشأ بسهولة ويلعب التجاور المكاني والتشابه الدور الأساسي فيها، كما تنتهي العلاقات بالسهولة نفسها أيضا (المرجع نفسه، ص 247).

2- جيزيل Gesell **(المنحنى الارتقائي-المعياري):**

يصف مانارينو نظرية جيزيل بأنها من النظريات الرئيسية في مجال ارتقاء الصداقة، ورغم أنها قدمت في أوائل الخمسينات فإن تأثيرها في الدراسات الارتقائية الحديثة لا يزال قائما شأنها في ذلك شأن نظرية سوليفان (197: ص 48)، وفيما يلي نلخص الأفكار الأساسية لتلك النظرية.

توصف نظرية جيزيل بأنها نظرية معيارية normative بمعنى أن المستوى الارتقائي لطفل معين يمكن تحديده في ضوء مقارنته بمعايير الارتقاء عند الأقران في عمره، وقد افترض جيزيل أن الارتقاء يتضمن نمطا متدرجا من العمليات تتقدم مع العمر، وتنطوي نظريته على مفهومين رئيسيين، أولهما «المزيج المتبادل» reciprocal interweaving وبمقتضاه يتحدد الارتقاء في ضوء أنساق متقابلة تتبادل السيطرة فيما بينها، أما المفهوم الثاني فهو «الدمج الحلزونيspiral reincorporation» ويعني أن الأنماط الارتقائية المبكرة تعود إلى الظهور في المراحل الارتقائية التالية ولكن بمستويات أعلى من التنظيم.

وطبقا لنظرية جيزيل يمضي ارتقاء الصداقة في مسار تطوري شأنه في ذلك شأن كل أشكال السلوك. ويمر هذا الارتقاء بفترات من التوازن وأخرى من عدم التوازن، حيث يتأرجح الطفل بين علاقات غير مستقرة مع عديد من الأقران، وبين الارتباط الحميم والمركز مع صديق مقرب، وبوجه عام تتقدم صداقات الأطفال نحو مزيد من النضج الذي يتأتى من خلال

تعميق عنصر التبادلي بوصفه أهم الأسس التي تقوم عليها الصداقة (المرجع نفسه، ص ص 48-49).

وقد تطابقت مشاهدات جيزيل الواقعية مع تصوراته إلى حد بعيد، فقد لاحظ أن الأطفال في سن الثالثة يفضلون الارتباط برفيق واحد، وغالبا ما يكون من الجنس الآخر، وفي هذا العمر يبدأ الأطفال في استخدام كلمة «صديق»، أما في سن الرابعة فيميل الأطفال إلى اختيار صديق من الجنس نفسه، وتتميز صداقات هذا العمر بالعراك أحيانا والتعاون في أحيان أخرى، وسرعان ما تنفض أثناء اللعب بسبب تمركز الأطفال حول ذواتهم، وفي سن السادسة يستمتع الأطفال باكتساب الأصدقاء وبقضاء الوقت معهم، غير أن صداقاتهم سريعة الانقطاع شأنها شأن صداقات مرحلة ما قبل المدرسة (المرجع نفسه).

ويشير جيزيل إلى أن الصداقة الثنائية مع أفضل صديق تظهر في عمر الثامنة أو التاسعة، وتتسم علاقات هذا العمر بمزيد من الاستقرار، ومقاومة التفكك، ويغلب عليها طابع التبادل، ويفسر جيزيل تلك المظاهر ببلوغ الأطفال مستوى أعلى من الارتقاء المعرفي. ويتجه الأطفال في العمر من 10- 11 سنة إلى تكوين علاقات حميمة مع أكثر من صديق، وتقوم الصداقة مع كل منهم على أساس مختلف، فيميز الطفل بين صديق يحب اللعب معه، وآخر يفضل مشاركته في العمل، وثالث يستريح في الحديث إليه وهكذا، كما تكتسب الصداقة في تلك المرحلة خصائص كيفية جوهرية، منها العمق الوجداني وتحمل الصراع والاستقرار (المرجع نفسه).

3- سوليفان (الرؤية الإكلينيكية للصداقة):

يؤكد سوليفان أهمية العلاقات الاجتماعية المتبادلة، ويربط بينها وبين التوافق النفسي والاجتماعي للفرد، وتسمى نظريته «نظرية العلاقات الشخصية المتبادلة» وفي إطارها تعرف الشخصية بأنها «كيان فرضي» hypothetical construct يكشف عن نفسه من خلال العلاقات الشخصية، حيث يرى سوليفان أنه لا جدوى من التركيز على الفرد بمعزل عن الآخرين، إذ يدخل الفرد في تفاعلات اجتماعية منذ ولادته وفي مختلف مراحل حياته، ولا ينكر سوليفان عامل الوراثة والنضج، ولكنه يعتقد أن العلاقات الاجتماعية هي التي تكفل للفرد إنسانيته، كما أن تأثيرها يمتد حتى يشمل

تعديل أداء الفرد لبعض وظائفه الفسيولوجية (53: ص 182).

وقد افترض سوليفان أن الارتقاء الاجتماعي يمضي عبر ثلاث مراحل متتالية، تتفاوت خلالها حاجة الأطفال إلى العلاقات الاجتماعية وهي:

أ- **مرحلة الطفولة المبكرة:** (من 2- 5 سنوات) وفيها تنحصر علاقات الطفل داخل الأسرة، وهدف العلاقات الاجتماعية في تلك الفترة إشباع الحاجة إلى الأمن، وخلالها ينهض الوالدان بدور مهم في تنمية شعور الطفل بذاته من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية وبتوظيف أساليب مختلفة في مقدمتها التدعيم الاجتماعي.

ب- **مرحلة الطفولة المتوسطة:** (من 4- 9 سنوات): وخلالها يشعر الطفل برغبة في اللعب مع رفيق له، ويقوم التفاعل أثناء تلك المرحلة على أساس الاعتماد على الذات، إذ تتميز الاهتمامات الاجتماعية للأطفال بالتمركز حول الذات، ولذا يغلب التنافس على هذه المرحلة، وإذا بدت مظاهر التعاون أو المجاراة فإنها تنشأ لأغراض ذاتية أيضا حيث يهدف الطفل من خلالها إلى تعزيز مركزه بين أقرانه، ورغم الطابع الذاتي المميز لتلك الفترة فإنها تشهد بوادر ارتقاء الذات، فمن خلال عمليات المواءمة الاجتماعية social accomodation يبدأ الطفل في إدراك الفروق بينه وبين الآخرين.

جـ- **مرحلة ما قبل المراهقة (من 8- 11 سنة):** ويطلق عليها مرحلة الصداقة الوثيقة، وتتميز بحاجة الطفل إلى تكوين علاقات متبادلة تفيض بالمودة مع صديق من الجنس نفسه، وترتبط الحاجة إلى الصداقة الوثيقة بمظهرين في غاية الأهمية حسب تقدير سوليفان وهما:

1- **تقدير الذات** self-esteem: إذ يؤدي التفاعل المتبادل والصريح إلى شعور المراهق بأن أفكاره تتطابق مع أفكار الآخرين ومن خلال تلك العملية التي يطلق عليها «التصديق الاجتماعي» يزيد تقدير المراهق لذاته.

2- **نمو الشعور الإنساني** sense of humanity: من خلال الصداقة الوثيقة تنمو قدرات الشخص على إدراك أفكار ومشاعر الآخرين، ومع تفهم طبيعة الصداقة بوصفها أحد نماذج العلاقات الإنسانية ومن خلال آليات التعميم ينمو شعور الطفل بأهمية حاجات الآخرين بوجه عام مما يدعم لديه المشاعر الإنسانية التي تمس سلوكه فتكتسب تصرفاته طابع الغيرية أو الإيثار(196 , 197: ص ص 50- 52).

3- أريكسون (نظرية المرحلة الحرجة) critical stage: يركز أريكسون اهتمامه على مرحلة المراهقة بوصفها الفترة التي تشهد بدايات تكوين العلاقات الاجتماعية بمعناها الصحيح، وهو يتفق في ذلك مع بياجيه، ففي تلك الفترة ترتقي هوية الشخص من خلال قيامه بأدوار متعددة، وتتضمن الصداقة في رأي أريكسون تفاعلا بين ذوات متباينة، وهو يفترض عجز الطفل في مرحلة الطفولة أو ما قبل المراهقة عن التمييز بين الذات والموضوع، وفي هذه الأثناء يصعب على الطفل تقييم نفسه تقييما موضوعيا. إذ لا يتمكن من الابتعاد عن ذاته، ويترتب على ذلك فشله في توجيه الذات في الاتجاه الذي يقترب به من مثاليات الأنا وأهدافه (115: ص 64).

ويربط أريكسون بين نضج الذات وحدوث تغييرات جوهرية في خصائص الصداقة، ففي مرحلة المراهقة المبكرة يكون الهدف من الصداقة هو الاكتشاف المتبادل للذات حيث يستكشف المراهقون جوانب القوة والضعف في شخصياتهم من خلال مقارنات يعقدونها بين خصالهم وخصال أقرانهم، ولذا يحرصون على توافر خصلتي التماثل والولاء في أصدقائهم، إذ يقوم تماثل الأذواق والسمات والاتجاهات بدور أساسي في استكشاف خصائص الذات من خلال آليات التصديق الاجتماعي، بينما تقوم خصلة الولاء بحماية ذلك الاستغراق بين ذوات لم يكتمل نضجها بعد. وعندما تتشكل الذات بوضوح في مرحلة المراهقة المتأخرة يصبح بمقدور الطفل أن يأمل في توافر درجات أكبر من التميز والتفرد في خصال الصديق دون تهديد للذات، ودون الحاجة إلى رفض دفاعي للصديق، ويظل الحرص على خصلة الولاء بنفس قوته، بينما تنخفض درجة التمسك بخطة التماثل التام كضرورة لازمة لحفظ الصداقة (المرجع السابق، ص 65).

ثانيا: خصائص الصداقة في مرحلة الرشد adulthood:

نستهل تناولنا لخصائص الصداقة في مرحلة الرشد بتوضيح المدى العمري لتلك المرحلة، والتي تقع بين المراهقة والشيخوخة، وهي أطول المراحل العمرية إذ تمتد عبر ما يزيد على45 عاما، ويقسمها الباحثون إلى ثلاث مراحل عمرية وهي: مرحلة الرشد المبكر أو الشباب (من 20- 30 سنة)، ومرحلة الرشد المتوسط أو النضج (من 30- 40 سنة). ثم مرحلة

الرشد المتأخر(من 40- 60 أو65 سنة)(انظر215: ص 205).

ويذهب باحثون آخرون إلى أن تقسيم تلك المرحلة على أساس العمر لا يساعدنا على استجلاء خصائصها المميزة، ويفضلون التقسيم على أساس المراحل أو التحولات البارزة في حياة الراشد (مثل الزواج أو الإنجاب أو العمل)، ويبررون وجهة نظرهم بأن التغيرات التي تحدث في سنوات الرشد لا ترجع إلى مجرد الزمن أو العمر وحده، وإنما تعزى بدرجة أكبر إلى الأحداث والظروف التي يعايشها الراشدون وما تفرضها من مسؤوليات عليهم، وعلى هذا فلنا أن نتوقع اختلاف خصائص صداقات الراشدين المتزوجين عن الراشدين غير المتزوجين، بل ولنا أن نتوقع أيضا اختلاف نمط العلاقات الاجتماعية التي يعقدها الراشدون المتزوجون ممن رزقوا بأبناء عن غيرهم ممن لم يرزقوا بأبناء. وفيما يلي نوجز أهم النتائج المتصلة بخصائص الصداقة في تلك المرحلة:

1- هناك نتائج ترجح أن الراشدين-مقارنين بالأطفال والمراهقين-يعزون أهمية أقل لعلاقات الصداقة، كما تنخفض معدلات الاتصال واللقاء مع الأصدقاء، وتقل الرغبة في عقد صداقات جديدة (215: ص 213)، وقد استرعت تلك التغيرات انتباه بعض الباحثين وحاولوا تقديم تفسيرات محتملة لها، يبدو من أكثرها أهمية مرور الراشدين بخبرتي الزواج والإنجاب مما يقيد علاقات الصداقة، إذ تشير دراسة أمريكية إلى إقرار عينة من الشباب غير المتزوجين بتوافر قدر مرتفع من الاتصال مع الأصدقاء، بينما يقرر الراشدون المتزوجون غير المنجبين قدرا متوسطا من الاتصال، في حين يقرر الراشدون المتزوجون المنجبون أدنى معدلات الاتصال بالأصدقاء (107: ص 111).

وينسب ريزمان تلك التغيرات إلى فروق في دافعية الراشدين باختلاف أعمارهم، ففي مرحلة الرشد المبكر يتوافر لدى الأشخاص الوقت والموارد والطاقة النفسية التي تسمح بالانخراط في تفاعلات اجتماعية متكررة مع الأصدقاء، ويعزز تلك الميول الاجتماعية رغبة الراشدين في أوائل سني رشدهم في عقد مقارنات اجتماعية بينهم وبين أقرانهم، وبعد الإقدام على الزواج يشبع الراشدون حاجات نفسية واجتماعية متعددة من خلال علاقاتهم الزوجية، وينخفض الميل إلى مقارنة النفس بالآخرين، وبالإضافة إلى هذا

تلقى على كواهلهم مسؤوليات جديدة بعد إنجاب الأطفال بصفة خاصة، مما يخفض من فائض الطاقة والوقت ويحد من فرص اللقاء بالأصدقاء. ويتفق هذا التصور مع نظرية أريكسون عن ارتقاء الحاجات النفسية عبر مرحلة الرشد، حيث تشتد في مرحلة الرشد المبكر الرغبة في الانغماس في العلاقات الاجتماعية الحميمةintimate، بينما تبزغ في مرحلة الرشد المتوسط الحاجة إلى العطاء والإنجاز، أما في مرحلة الرشد المتأخر فتسود الرغبة في تحقيق الرضا عن النفس وعن الحياة الشخصية كما عاشها الفرد بالفعل.

فهناك إذن ميل واضح الحد الارتباط بالآخرين في أوائل الرشد، ثم يتقلص في السنوات التالية لدواعي الرغبة في تكريس الجهد أملا في الإنجاز والنجاح في العمل (215: ص 213) خاصة عندما يشعر الراشد بأنه لم يحقق الأهداف التي كان يخطط لها في حياته، أو عندما يراوده الاعتقاد بأنه لم يحصل النجاح الذي حصله أترابه.

وتذهب تفسيرات أخرى لظاهرة انخفاض الميول الاجتماعية مع تقدم سنوات الرشد الحد أن معظم الراشدين يرون أن صداقاتهم القديمة أكثر مودة وعمقا وخصوصية مما يجعلهم عازفين عن المبادرة بتكوين صداقات جديدة.

ويلاحظ أن الحفاظ على الصداقات القديمة يحول دون تضاؤل الشعور بدفء العلاقات الحميمة، وعلى هذا يمكن القول إن الانخفاض الواضح في مرحلة الرشد إنما هو انخفاض في تكرار الاتصال بالأصدقاء، وليس في درجة الشعور بدفء الصداقة وعمقها، وتدعونا تلك النتائج إلى القول إن معدل الاتصال بالأصدقاء لا يعد مؤشرا كافيا للدلالة على عمق الصداقة في مرحلة الرشد، إذ يلتقي الراشدون بأصدقائهم القدامى على فترات متباعدة في حين تتعدد اتصالاتهم مع المعارف والزملاء والأصدقاء السطحيين، ورغم هذا فانهم يصرون على رأيهم في أن صداقاتهم القديمة أكثر عمقا ومودة (107: ص 111).

وينبغي التنويه إلى أن الاتجاه نحو انخفاض معدلات الاتصال بالأصدقاء لا يعني انخفاض أهمية العلاقات الاجتماعية بصفة عامة في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للراشدين، حيث أشارت دراسة أجراها فاليانت Valliant

إلى اقتران التوافق النفسي للراشدين بمقدار ما يتمتعون به من علاقات اجتماعية وزوجية وعائلية ناجحة، وفي المقابل كشفت الدراسة أن الأشخاص الذين افتقدوا العلاقات الاجتماعية الطيبة قد وقعوا فريسة لمشاعر اليأس والاكتئاب والشكوى من آلام جسمية متعددة (215: ص 215).

2- يسترعي الانتباه في مرحلة الرشد ازدياد أهمية الصلات الاجتماعية مع الأقارب، فقد انتهت إحدى الدراسات الأمريكية إلى أن الأقارب يشكلون نحو 51٪ من مجموع العلاقات الاجتماعية لعينة من الراشدين، كما بينت أن الارتباط بالأقارب يزيد زيادة مطردة مع تقدم العمر، ولوحظ بالإضافة إلى ذلك أن الاتصال بالأقارب أكثر شيوعا بالنسبة للراشدين المتزوجين مقارنين بنظرائهم من غير المتزوجين، وأوضحت الدراسة كذلك أن إنجاب الأطفال يسهم إسهاما إضافيا في تعزيز الصلة بالأقارب حيث تفرض تربية الأطفال أعباء لا يستهان بها كما تستلزم عمليات التنشئة الاجتماعية للأطفال الصغار مهارات جديدة قد لا تتاح للراشدين حديثي العهد بالإنجاب فتتوثق صلتهم بالأهل بهدف التماس عونهم ولاكتساب خبراتهم في رعاية الأبناء (107: ص ص 113- 114).

3- ينهض التقارب والتماثل بدور بارز في تشكيل صداقات الراشدين، إذ تتكون معظم صداقات تلك المرحلة بين أشخاص متقاربي العمر، ويزيد التقارب العمري بين الأصدقاء الذين تقل أعمارهم عن 25 عاما ويقل التركيز على هذا الشرط بين من تعدوا هذا العمر(107: ص 112)، غير أنه في كل الأعمار ينهض تماثل الأصدقاء من حيث سمات الشخصية والاتجاهات والقيم والمعتقدات بدور مهم في تعميق الصداقة واستمرارها، وتشير الدراسات في هذا الصدد إلى أنه عندما تخل الظروف بشرط التماثل بين الأصدقاء تتعرض الصداقة بينهم للضعف أو الانهيار، إذ تضيق في تلك الحالة الأرضية المشتركة التي تيسر التفاعل الاجتماعي فيما بينهم. ، أوضح الأمثلة المعضدة لهذا الرأي تقول إنه إذا ارتقى صديق درجات مرتفعة في سلم النجاح بينما تخلى التوفيق عن صديقه فمن المحتمل بدرجة كبيرة أن ينتهي الأمر إلى انقطاع الصداقة بينهما، نظرا لما يشوب التفاعل بينهما من حذر مفرط من جانب الطرف الأول خشية جرح مشاعر الصديق بالإضافة إلى مشاعر الأسى والحسرة والحساسية الزائدة من

جانب الطرف الثاني (215: ص 221).

4- وعن الفروق بين الجنسين فيما يتصل بالعلاقات الاجتماعية في تلك المرحلة توضح الدراسات-رغم وجود قدر من التعارض في نتائجها-أن الرجال يرتبطون بعدد كبير من الأصدقاء مقارنين بالنساء، ويعزى ذلك الفرق إلى أن ظروف الحياة تفرض على الرجل أن يخرج إلى مجالات العمل حتى يوفر احتياجات أسرته فتتاح له فرص تكوين علاقات اجتماعية مع العديد من الزملاء. ومن ناحية أخرى تتحمل المرأة العبء الأكبر في رعاية الصغار مما يضعف قدرتها ويقيد حريتها في عقد علاقات اجتماعية جديدة أو الحفاظ على ما انعقد منها بالفعل (107: ص 115).

هذا عن الفروق الكمية بين صداقات الرجال والنساء، أما عن الفروق الكيفية فتكشف البحوث عن تميز صداقات النساء بعمق المودة وشدة الخصوصية، إذ تتسم الصداقات الأنثوية بالدفء الوجداني والتلقائية وتبادل الثقة والإفصاح عن الذات، في الوقت الذي تتجه فيه صداقات الرجال نحو المشاركة في النشاطات والاهتمامات ووسائل الترويح عن النفس (215: ص 216).

5- وبالنسبة للفروق في صداقات الأشخاص الذين ينتمون إلى مستويات اجتماعية واقتصادية متباينة توضح الدراسات أن أغلب الراشدين يسعون إلى تكوين علاقات وثيقة مع من يماثلونهم في المستوى الاجتماعي والاقتصادي. إلا أن هناك تباينا واضحا في خصائص صداقات الراشدين تبعا لتفاوت المستوى الاجتماعي والاقتصادي، ففي إطار المستويات المنخفضة ترتبط الصداقة إلى حد كبير بالسياق الذي تنعقد فيه وتظل محصورة في نطاقه، فعلاقات الصداقة التي تتكون مع زملاء العمل تظل مقيدة بحدود العمل ولا تتعداها في معظم الحالات إلى درجة تبادل الزيارات المنزلية التي لا يسمح بها غالبا إلا للأقارب، أما الأشخاص الذين ينتمون إلى مستويات اجتماعية واقتصادية مرتفعة فتتسم صداقاتهم بأنها أكثر تحررا من السياق الذي تنشأ فيه فتتخطى مستوى اللقاء في محل العمل إلى الاستضافة المنزلية، كما يختار أولئك الأشخاص أصدقاءهم من سياقات أوسع نطاقا، بينما تضيق دائرة صداقات منخفضي المستوى فتتألف معظمها مع الجيران (215: ص ص 118- 224, 107: ص 114).

ثالثا: الصداقة لدى المسنين: الملامح والدلالات

تجدر الإشارة أولا إلى ندرة الدراسات التي اعتنت بعلاقات الصداقة لدى المسنين (وهم من تجاوزوا عمر الخامسة والستين). ويلاحظ أن الدراسات القليلة التي أجريت في هذا الصدد قد أنجزت في المجتمع الأمريكي، ولذا ينبغي الحذر من التعميم المتسرع لنتائجها على المجتمعات العربية دون إجراء دراسات واقعية تستهدف استكشاف الخصائص المميزة للصداقة في مجتمعاتنا. وفي حدود البيانات المتاحة نعوض بعض النتائج التي تتصل بمعدل النشاط الاجتماعي في تلك المرحلة، والعوامل المؤثرة فيه. ثم نتناول طبيعة السياق الذي يمارس فيه المسنون نشاطاتهم الاجتماعية، وذلك على النحو التالي:

1- معدل النشاط الاجتماعي لدى المسنين والعوامل المؤثرة فيه:

بالرغم من العدد المحدود من الدراسات التي تناولت التغيرات الكمية في النشاط الاجتماعي للمسنين، فإنها تتفق على اتجاه صداقاتهم إلى الانحسار كلما تقدم العمر. ولكن يؤخذ على تلك الدراسات بعض الأخطاء المنهجية، ومنها على سبيل المثال أن معظمها قد اعتمد على سؤال المسنين أنفسهم عن شعورهم بتزايد أو تناقص نشاطاتهم الاجتماعية دون إجراء مقارنات بين هؤلاء الأشخاص ومن هم دونهم في العمر، كما لم تجر دراسات تتبعية لرصد التغيرات الكمية في العلاقات الاجتماعية لعينة من الأشخاص في فترات عمرية مختلفة من حياتهم وحتى بلوغهم مرحلة الشيخوخة(107 : ص 117).

ويبدو أن المسنين يعانون من افتقاد القدر المرغوب من التفاعل الاجتماعي، والدليل على ذلك نستمده من الدراسة المصرية التي أجراها «خليفة» على عينة من المسنين الذكور، وكان هدفها الوقوف على ترتيب المشكلات الاجتماعية التي يعانون منها-حسب أهميتها بالنسبة لهم-وشملت العينة 290 فردا تجاوزوا عمر الستين (منهم 123 فردا يعملون بعد بلوغهم سن التقاعد، و 167 فردا من المتقاعدين غير العاملين)، واشترط أن يكونوا جميعا من المقيمين مع أسرهم. وجاءت المشكلات الاجتماعية التي تعبر عن فقدان الصلات الاجتماعية مرتبة حسب شدة معاناتهم منها-بدءا من أثقلها إلى أخفها وطأة-على النحو التالي: استهزاء الناس بكبار السن، عدم زيارة

الأقارب، كراهية الناس لكبار السن، أفكاري لا تعجب أبنائي، الشعور بالعزلة، عدم وجود أصحاب أتحدث معهم عن همومي، أفراد أسرتي غير متفهمين لمشكلاتي، رفض الأبناء الجلوس أو الحديث معي، كثرة الخلافات مع الزوجة، الشعور بأني عبء على أفراد أسرتي، الجيران يتضايقون مني، أفراد أسرتي يتمنون لي الموت (16: ص ص 88- 101).

هذا عن المؤشرات التي تكشف تقلص النشاط الاجتماعي للمسنين وانخفاضه دون المعدل المرغوب، أما عن التفسيرات التي يقدمها الباحثون لتلك الظاهرة فيأتي في مقدمتها المشكلات الصحية التي يعانون منها مع تقدم العمر، وما يترتب عليها من هبوط في الطاقة والنشاط العام، وصعوبة في التنقل وممارسة الحياة الاجتماعية التقليدية (88: ص 234)، ففي إطار الدراسة المصرية التي أشرنا إليها أخيرا ورد ضمن أهم المشكلات الصحية (الجسمية والنفسية) التي يواجهها المسنون ما يلي: الشعور بالقلق، سرعة الغضب، اضطراب النوم، فقدان الشهية للأكل، الاكتئاب، الإصابة بمرض الروماتيزم، ضعف الذاكرة، ارتفاع أو انخفاض ضغط الدم، الإصابة بأمراض الصدر، عدم الثقة بالنفس، الإصابة بمرض السكر، الخوف من الموت (16: ص 100).

ومما لا شك فيه أن تلك المشكلات الصحية تفرض قيودا على النشاط الاجتماعي بصورة أو بأخرى، فعلى سبيل المثال تؤدي أمراض الأذن وضعف السمع لدى كبار السن إلى صعوبة التفاعل الاجتماعي وخفض الاستمتاع بالمناسبات واللقاءات الاجتماعية (88: ص 234)، ويدعم هذا التفسير دراسة مصرية أخرى عن ظروف المرأة المسنة في المجتمع المصري، انتهت إلى أن من بين العوامل المؤثرة في النشاط الاجتماعي للمرأة المسنة الحالة الصحية، وقد أوضحت النتائج أن 84,1٪ من عينة البحث (والتي تألفت من سيدات جاوزن سن الستين) يعانين من مشكلات صحية أو مرض مزمن (43: ص 38- 39).

ويضاف إلى المشكلات الصحية عوامل أخرى تحد من الصلات الاجتماعية للمسنين، نذكر منها قلة فرص الاحتكاك والتفاعل الاجتماعي، والتي ترجع إلى ظروف متعددة أهمها التقاعد عن العمل، ويترتب على ذلك ضعف الصلات الاجتماعية القائمة بالفعل والحيلولة دون عقد صداقات

أو علاقات اجتماعية جديدة، وذلك لأن العمل كما ذكرنا آنفا يمثل المصدر الرئيسي الذي يتعرف من خلاله الراشدون على أصدقائهم، ولذا يلاحظ أن أثر التقاعد أشد في صداقات الرجال منه في صداقات النساء، حيث يحتل العمل مكانة بارزة في حياة الرجل وفي سياقه تتكون أغلب صداقاته (88: ص 234).

كما تعد وفاة رفيق الحياة (الزوج أو الزوجة) عاملا أساسيا في تعميق الشعور بالعزلة والعزوف عن الحياة الاجتماعية، وهو عامل شائع التكرار في المراحل المتقدمة من الشيخوخة، والشواهد الدالة على ذلك تقدمها دراسة أمريكية على عينة من كبار السن ممن تجاوزوا عمر الخامسة والسبعين، وقد أظهرت أن نسبة 70٪ من السيدات قد فقدن أزواجهن، وأن 30٪ من الرجال قد رحلت عنهم زوجاتهم (المرجع السابق).

وهناك عامل آخر يقف وراء هبوط معدلات التفاعل الاجتماعي لدى كبار السن، وهو متعلق بالعجز عن التبادل المتوازن في علاقات المسنين. فمن ناحية قد يحجم البعض عن عقد علاقة معهم خشية أن تضطرهم الظروف إلى تقديم العون لهم من وقت إلى آخر مما يفرض عليهم تكاليف نفسية ومادية لا يقدرون عليها، ومعلوم أن نسبة كبيرة من المتقدمين في العمر يواجهون مشكلات صحية متكررة، ومن ناحية أخرى قد يحجم المسن عن الاتصال بالآخرين لاعتقاده أنه لن يقدر على رد المساعدة لهم، فيكف عن التفاعل الاجتماعي معهم، حتى لا يحمل نفسه ما لا يطيق (88: ص 234).

2- السياق الذي يمارس فيه المسنون نشاطاتهم الاجتماعية:

توضح نتائج الدراسات القليلة المعتنية بهذا الشأن أن معظم اتصالات المسنين تكون مع أبنائهم وأحفادهم وأقاربهم. ومن تلك العلاقات يستمدون المساعدة والتأييد، وفي إطار المجتمع المصري تبين أن أكثر علاقات المرأة المسنة تكون مع الأخوة والأخوات ثم الأقارب، واتضح أن تبادل الزيارات مع الأبناء يمثل النشاط الاجتماعي الأساسي للمرأة التي بلغت سن الستين، ولوحظ أن القرب يؤدي دورا ملموسا في تنشيط التفاعلات الاجتماعية مع الأقارب حيث يزيد معدل الزيارات بين المرأة المسنة وأقاربها الذين يقطنون في نفس المنطقة السكنية التي تعيش فيها(43: ص 51).

غير أن هناك ما يشير إلى أن تلك الاتصالات رغم شيوعها في حياة المسنين فإنها أقل أهمية في تصورهم من علاقات الصداقة، إذ ينسبون إلى الأخيرة إسهاما أكبر في رفع روحهم المعنوية وفي إمدادهم بقدر من الإمتاع لا تكفله الصلات العائلية التي يتصورها بعضهم على أنها مفروضة عليهم، وقد يؤدونها بطريقة روتينية لشعورهم بالتزامات معينة نحو بعض الأقارب (107: ص 120).

نكتفي بهذا القدر من ملامح ودلالات صداقات المسنين، وينبغي أن نسجل في نهاية تناولنا لتلك المرحلة أنها مازالت جديرة بمزيد من البحث والدراسة بهدف فهم خصائصها ودعم الخدمة الصحية والنفسية والاجتماعية التي تقدم خلالها.

6 الظروف النفسية المصاحبة لنشأة الصداقة ونموها

أولا: أثر عمليتي التدعيم الاجتماعي والإفصاح عن الذات في تعميق الصداقة بين الأشخاص

نناقش في هذا الفصل ملامح ومراحل نمو وتوثق علاقة الصداقة بين شخصين أو أكثر بدءا من التعارف ثم التجاذب والتفاعل السطحي وصولا إلى أعمق درجات الصداقة والمودة. وأول ما يسترعي انتباهنا أنه لا توجد نظريات تركز على تفسير نمو الصداقة فحسب، وإنما يتناول معظمها مختلف أشكال العلاقات الشخصية دون تحديد واضح لطبيعة العلاقة موضع الاعتبار، وقد تعكس تلك الملاحظة اهتماما محدودا بتفسير ديناميات الصداقة بوجه خاص، وقد تنطوي من ناحية أخرى على افتراض تشابه مسارات نمو العلاقات الوثيقة سواء أكانت صداقة مع نفس الجنس أو مع الجنس الآخر، أو علاقة عاطفية بين الجنسين.

وسوف نركز في تناولنا لخصائص توثق علاقة الصداقة على مفهومي التدعيم الاجتماعي، والإفصاح عن الذات، وهما مفهومان على درجة عالية من الارتباط المتبادل، فهما مؤشران لعمق

الصداقة، وشرطان لاستمرارها. ونعني بالإفصاح عن الذات مكاشفة الطرف الآخر في موقف التفاعل الاجتماعي بالأفكار والمشاعر والميول الشخصية وخبرات الماضي وخطط المستقبل وبكل ما يتعلق بالذات من معلومات سواء تم الإفصاح عن الذات بطريقة لفظية من خلال الحديث الصريح عن النفس أو بطريقة غير لفظية من خلال الإيماءة بالرأس أو الإشارة باليد أو التواصل بالعين أو التعبير البدني عن مشاعر الحب أو الكراهية تجاه الآخرين (انظر5: ص 34-36). وقد أشرنا في الفصل الثاني إلى أثر الإفصاح عن الذات في خفض مشاعر المشقة والوحدة النفسية فذكرنا أن الإفصاح عن الذات ينهض بخمس وظائف نفسية، ونركز في الفصل الحالي على دور الإفصاح عن الذات في تقوية علاقات الصداقة، مع الإشارة إلى التغيرات التي تطرأ على كم ومضمون الإفصاح عن الذات مع توثق علاقة الصداقة، غير أننا سنبدأ أولا بتعريف التدعيم الاجتماعي وتوضيح دلالته في نمو العلاقات الشخصية.

ا- تعريف التبادل والتدعيم الاجتماعي:

مفهوم التبادل مفهوم تجاري في الأساس، ويعني المقايضة Trade أي الحصول على أشياء معينة في مقابل التخلي عن أشياء أخرى، ورغم أن مفهوم التبادل بهذا المعنى بالغ القدم فإنه لم يوظف في مجال الدراسة النفسية والاجتماعية حتى أواخر الخمسينات [149].

وتشيع في نظريات التبادل الاجتماعي عدة مفاهيم رئيسية من أبرزها:

أ- **الإثابة** reward: وهي أي نشاط يقوم به أحد أطراف العلاقة لإشباع حاجة للطرف الآخر، وتتحدد قدرة الفرد على الإثابة من خلال قدرته على توصيل الإثابات للطرف الآخر مباشرة، أو من خلال إتاحته الفرصة لوصول تلك الإثابات من الآخرين، وتشمل الإثابات أيضا الأفعال التي تقلل من التأثيرات السلبية التي يخشاها الطرف الآخر أو ينفر منها.

ب- **التكلفة** Cost: تشمل التكلفة الآثار المادية والنفسية التي يتحملها كل طرف من جراء دخوله في علاقة اجتماعية، ومن بينها الإجهاد الذهني، أو العقاب أو الحرمان من إثابات كان بمقدور الفرد أن يحصل عليها لو لم يدخل في تلك العلاقة.

جـ- **الموارد** Resources: يستخدم هذا المفهوم كمرادف للإثابة لدى بعض

الباحثين، ويشير إلى الخصائص التي يمتلكها أو يتصف بها أحد الأشخاص والتي تمكنه من التحكم في الإثابات أو العقاب لطرف آخر، وتشمل الممتلكات المادية، والمهارات والخبرات والسمات الشخصية التي يقيمها الطرف الآخر ويطلق عليها الاستثمارات.

د- القيمة value: لا يحمل المورد أو المصدر نفس القيمة لكل الأشخاص، وفي معظم الأحيان يتوقف تقييم المورد على عنصري الزمن والموقف.

هـ- الربح profit: وهو الناتج المتبقي من طرح التكلفة من الإثابة، ويتحقق الربح عندما تزيد الإثابة على التكلفة ويقابل الربح الخسارة Ioss.

و- المصادر البديلة للإثابة: تعتمد قدرة أحد طرفي العلاقة على التأثير في الطرف الآخر على الموارد التي يتمتع بها الطرف الأول، وأيضا على مدى المصادر البديلة للشخص الآخر.

وتركز نظريات التبادل على مفهوم أو أكثر من المفاهيم السابقة (153: ص211- 212). وتفسر نظريات التبادل الاجتماعي التجاذب بين الأشخاص في ضؤ مبادئ التدعيم الاجتماعي، وفي هذا الإطار يتحقق التجاذب عندما تزيد نواتج التفاعل بين الأشخاص على حد أدنى من التوقعات يسمى «مستوى المقارنة» comparison level ويتأثر مستوى المقارنة لدى شخص معين بخبراته السابقة في تلك العلاقة، وبخبراته الماضية أيضا في علاقات مقارنة، ويرتفع مستوى المقارنة عندما تزيد النواتج وينخفض عندما تقل، وهنا يشير تيبكوت Thibaut وكيللي Kelley إلى أن العلاقة تستمر بين شخصين مادام الناتج منها يرتفع على «مستوى مقارنة البدائل» alternative comparison level حتى لو كان هذا الناتج أقل من مستوى المقارنة المطلقة(229: ص 83).

2- تصنيف المدعمات الاجتماعية:

قدم فوا Foa وفوا Foa عام 1974 نظرية أطلقا عليها «بناء العقل» Structure of mind، ويتعلق الجزء الأساسي منها بتصنيف المدعمات الاجتماعية، ويعني مفهوم البناء في هذا الإطار التمييز بين المصادر المختلفة للتدعيم وبتأمل العلاقات المتبادلة بينها، ويصنف فوا وفوا المدعمات الاجتماعية في ست فئات على النحو التالي (انظر 153: ص 238).

أ- الحب love: أو الوجدان الإيجابي: ويتضمن التعبير عن الاهتمام الوجداني والدفء والحب والارتياح.

ب- **المكانة** Status: وتشمل التقويمات التي تشعر الطرف الآخر بالنفوذ والاحترام والتقدير.

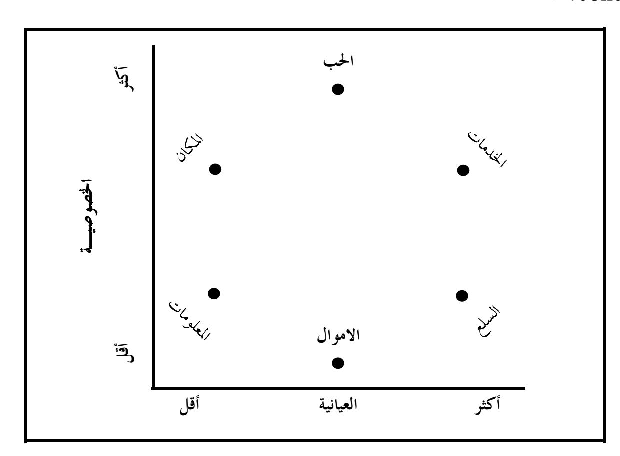
جـ- **المعلومات** Information: وتتضمن الآراء والنصائح والمعارف العامة.

د- **البضائع** goods: وتشير إلى الموضوعات الملموسة.

هـ- **الخدمات** Services: وتعني النشاطات المؤثرة في الشخص الآخر من قبيل إسداء جميل أو عمل معروف.

و- **المال** Money :

ويشير فوا وفوا إلى أبرز خصائص ارتقاء المدعمات الاجتماعية خلال مرحلة الطفولة وهي اتجاه المدعمات في ارتقائها نحو التمايز، فالطفل على سبيل المثال يتلقى من والديه مزيجا من الحب والخدمات، ولا يستطيع الطفل أن يميز بينهما حتى يتمكن من خدمة نفسه، وعندئذ تتهيأ للأم فرص تقديم الحب وحده أو الخدمة بمعزل عن الحب، كما يتمايز المال عن السلع عندما يتمكن الطفل من تعديل أفكاره عن الأموال بوصفها موضوعات فيزيقية، ويدرك إمكان تحويلها إلى صور أخرى (المرجع السابق، ص ص 239- 240). ويزيد فوا وفوا في تجلية خصائص المدعمات الاجتماعية فيصنفانها عبر محورين متعامدين وهما: الخصوصية particularism والعيانية concretenes، .



شكل رقم (4) تصنيف المدعمات الاجتماعية عبر محوري الخصوصية والعيانية كما يتصورها فواوفوا

ويكشف الشكل درجات التماثل والاختلاف بين المدعمات إذ يشير بعد الخصوصية إلى درجات متفاوتة من الارتباط بين التدعيم والمصدر الموصل لهذا التدعيم، وتزيد خصوصية الدعم الاجتماعي كلما تزايدت علاقته بالمصدر المقدم له، فالحب على سبيل المثال لا ينفصل عن شخصية المحبوب، ولذا يعد الحب أكثر المدعمات خصوصية، بينما يعتبر المال أقلها خصوصية لأن قيمته تتحدد بصرف النظر عن مصدره. وفيما يتعلق ببعد العيانية، تمثل السلع والخدمات أكثر المصادر عيانية باعتبارها موضوعات ملموسة وتتميز المعلومات والمكانة بأنها أقلها عيانية، وتحتل الأموال والحب موضعين متوسطين، إذ يمكن التعبير عنهما بشكل رمزي. ويلاحظ أن التماثل يزداد بين المدعمات المتقاربة مثل الحب والمكانة على سبيل المثال. ويقل بين المدعمات المتقابلة مثل الحب والمال (المرجع السابق، ص 241). ويضيف فوا وفوا خصائص أخرى تكشف عن التباين بين مصادر التدعيم الاجتماعي، ولا مجال هنا للإفاضة في تلك الخصائص، ويعنينا في سياق الاهتمام بارتقاء علاقة الصداقة الإشارة إلى العلاقة الدينامية بين مصادر التدعيم في إطار العلاقات الشخصية كما يتصورها فوا وفوا على النحو التالي:

أ- يناسب المال-كمصدر من مصادر التدعيم-التعبير اللفظي، في حين يناسب الحب التعبيرات غير اللفظية.

ب- كلما زادت خصوصية المصدر، تزايدت احتمالات قيام التبادل في إطار نفس المصدر، حيث يقابل الحب بالحب، بينما قد يبادل المال بالسلع.

جـ- كلما ارتفعت خصوصية المصدر اقتضى تبادلا مباشرا من خلال التفاعل وجها لوجه.

د- تستغرق المصادر الأقل خصوصية زمنا أقل بين تلقيها ومبادلتها مقارنة بالمصادر الأكثر خصوصية.

هـ- يفضل أعضاء الجماعات الصغيرة المصادر مرتفعة الخصوصية على المصادر منخفضة الخصوصية. (المرجع السابق، ص 245).

3- الرضا عن المدعمات الاجتماعية المتبادلة واستمرار الصداقة وتعمقها:

قدم هومانز Homans نظرية «العدالة التوزيعية» Distributive justice عام 1960، وتفترض هذه النظرية أن لدى الأفراد دافعا للمحافظة على العدالة

في توزيع الإثابات والتكاليف بينهم، ويكتسب هذا الدافع من خلال التعليم والتنشئة والمعايير الاجتماعية المكتسبة (189: ص 331).

وقد طرح هومانز من خلالها مفهوم العدالة التوزيعية، ووفقا له يتوقع الفرد أن يحصل على الإثابات التي تتناسب مع التكلفة التي بذلها أو الاستثمار الذي أسهم به، ومن أكثر مظاهر الاستثمار شيوعا في تصور هومانز: الخبرة والذكورة والجمال والمهارات المكتسبة.

ويميل الأفراد إلى تقدير تناسب الإثابات التي يحصلون عليها مع التكلفة التي يدفعونها من خلال مقارنتها بالتكاليف التي يتحملها الآخرون والإثابات التي يحصلون عليها في ظروف مماثلة. ويؤكد هومانز أن المقارنة لا تنصب على القيمة المطلقة للتكلفة أو الإثابة، وإنما تستهدف في المقام الأولى التحقق من تناسب الجهد والعائد لكل فرد من أفراد الجماعة (153: ص ص 212-213)، ويصوغ هومانز قانون العدالة التوزيعية رياضيا على النحو الآتي:

$$\frac{\text{إثابات «أ»–تكاليف «أ»}}{\text{استثمارات «أ»}} = \frac{\text{إثابات «ب»–تكاليف «ب»}}{\text{استثمارات «ب»}}$$

وبمقتضى هذا القانون تتحقق العدالة للطرفين «أ» و «ب» عندما تتناسب نواتج كل منهما مع حجم استثماراته (149: ص 185).

وتتشابه نظرية «المساواة» التي قدمها آدمز Adams عام 1965 في جوانب كثيرة مع نظرية هومانز، فهي تركز أيضا على مفهوم التناسب بين الإثابة والتكلفة، ويفترض آدمز أنه عندما لا تتحقق المساواة بين أطراف العلاقة أو عندما لا تتناسب إثاباتهم مع التكاليف التي يتجشمونها تغلب عليهم مشاعر عدم الارتياح، والرغبة في استعادة المساواة، وقد انحصرت التطبيقات المبكرة لهذه النظرية في إطار علاقات العمل ثم اتسع نطاقها، فقدمت تفسيرات لكثير من مواقف التفاعل الاجتماعي محتملة الحدوث في سياق العلاقات الشخصية الحميمة(153: ص 218, 145: ص 100)وهي تشير في مجملها إلى أن علاقة الصداقة تستمر وتعمق عندما يشعر الأشخاص أن أصدقاءهم يبادلونهم الحب بالحب والإثابة بالإثابة بعيدا عن الاستغلال المسرف.

ثانيا: مراحل نمو علاقة الصداقة بين الأشخاص وما يصاحبها من تغيرات نفسية

1- نظرية مستوى الارتباط Level of relatedness

قدم ليفنجر Levinger وسنوك Sneok نظرية مستوى الارتباط في أوائل السبعينات، وحاولا من خلالها الإجابة عن سؤالين هما:

أ- كيف يمكن التمييز بين علاقات اجتماعية تتفاوت في درجة قوتها وتوثقها؟

ب- كيف تتغير خصائص العلاقات على المدى القريب أو البعيد؟ (190: ص 101)

أ- مراحل ارتقاء العلاقة الاجتماعية:

تمر العلاقة الاجتماعية بين شخصين عبر ثلاث مراحل ارتقائية متدرجة، وهي:

1- الوعي awareness، ولا يحدث في تلك المرحلة المبدئية تفاعلات متبادلة، وتقتصر على تعبير أحد الأشخاص عن اتجاهاته الإيجابية نحو الشخص الآخر.

2- الاتصال السطحي surface contact وتشهد تلك المرحلة بزوغ تفاعلات غير متعمقة وفي الغالب يتجه التخاطب نحو مهمة معينة وتكون معلومات كل طرف عن الطرف الآخر محدودة، وغير دقيقة.

3- التبادل mutuality، وفيها يتميز التفاعل بالتفرد بين الشخصين، مع زيادة رصيد الخبرات المتبادلة، وصياغة توقعات حول المستقبل.

ويشير ليفنجر وسنوك إلى تفاوت المحددات التي تيسر ارتقاء العلاقة من مرحلة إلى أخرى، فمن المتغيرات المؤثرة في انتقال العلاقة من المستوى الأول إلى المستوى الثاني القرب المكاني، والمناخ المعتدل، وتماثل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية وخصائص الشخصية وتقارب العمر، أما الانتقال من المستوى الثاني إلى الثالث فيتأثر بكل المتغيرات السابقة إضافة إلى مشاعر الحب بين الشخصين ودرجة الرضا عن العلاقة والصراحة والثقة وتوافق الحاجات والقيم والاتجاهات (149: ص ص 163- 166).

وقد أضاف ليفنجر ثلاث خصائص رئيسية تكشف عن درجة ارتقاء العلاقة الاجتماعية (المرجع السابق) وهي:

1-**الاستغراق** involvement ويشير إلى درجة التداخل بين الشخصين أو المشاركة في الاهتمامات.

2- **الالتزام** commitment، ويعني تميز حدود العلاقة الداخلية والخارجية بالصلابة.

3- **التناسب** symmetry بين مقدار الاستثمارات والإثابات لطرفي العلاقة.

ب) علاقة ارتقاء مراحل العلاقة بالمدعمات الاجتماعية:

يشير ليفنجر إلى العلاقة الوثيقة بين التدعيم وارتقاء العلاقة الاجتماعية وهو يتفق على أن المبدأ الأساسي في التدعيم ينطبق تماما في مجال التجاذب بين الأشخاص، وهو المبدأ الذي يذهب إلى أن الأشخاص يحبون من يثيبهم ويكرهون من يعاقبهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويصنف ليفنجر المدعمات الاجتماعية في ثلاث فئات تنهض كل فئة منها بوظيفة خاصة وهي:

1- الظروف التي تيسر تكوين أو مواصلة العلاقة بين الشخصين وتشمل القرب والألفة.

2- الخصائص النفسية التي تسهم في تحقيق الانسجام بين الشخصين وتشمل التماثل في الخلفية الاقتصادية والاتجاهات والقيم.

3- الإفصاح عن المشاعر المتبادلة والمساندة والحب (190: ص 116).

ولا يعتقد ليفنجر في جدوى استخدام مصطلح «المدعمات» بصورة مطلقة، ولكنه يرى من الضروري أن ندرك العوامل التي تشكل الإثابة ومتى ولمن من الأشخاص. وهنا يذكر أن نظرية فوا وفوا-التي عرضنا لها في هذا الفصل-وثيقة الصلة بمستويات ارتقاء العلاقات الاجتماعية، فالهدية على سبيل المثال تحمل قيمة تدعيمية مرتفعة في علاقة تتسم بالخصوصية في حين لا تؤدي هذه الوظيفة في علاقة غير شخصية، وبالعكس قد تسيء المصادر غير الشخصية مثل المال للعلاقة الوثيقة إذا فكر أحد الأشخاص في الرد بها على مصادر شخصية جدا مثل الحب (المرجع السابق، ص 118).

2- **نظرية النفاذ الاجتماعي** Social penetration

قدم ألتمان Altman وتايلور Taylor أهم النظريات المفسرة لنمو وارتقاء العلاقات الاجتماعية، وتسمى نظرية «النفاذ الاجتماعي».

وتكتسب نظرية النفاذ الاجتماعي أهميتها لاعتبارات عديدة من أبرزها:

1- التأثير الواضح في دراسات الإفصاح عن الذات.

2- التناول المفصل لارتقاء العلاقات الاجتماعية وعمليات التبادل بين الأشخاص والقائمة على المقارنة بين الإثابات والتكاليف.

3- الاستناد إلى إطار نظري متكامل يتناول العلاقات المحتملة بين العديد من المتغيرات، منها محكات تقويم الرضا عن العلاقة، ومظاهر التخاطب اللفظي وغير اللفظي، وتغيرها مع الوقت (204: ص 19).

وتنهض النظرية بتحليل الوقائع والعمليات التي تصاحب تقدم وتعمق العلاقة، ويطلق عليها التمان وتايلور «عمليات النفاذ الاجتماعي»، وفي هذا الصدد يشيران إلى أن هناك متغيرات عديدة تؤثر في ارتقاء العلاقة، يتمثل أهمها فيما يلي:

1-الخصال الشخصية للمشاركين في العلاقة: وتتضمن المتغيرات الديموجرافية والاجتماعية وسمات الشخصية والدوافع الشخصية لكل منهم.

2- نواتج التبادل: حيث يزداد احتمال تعمق العلاقة في ظل وجود عائد مرض ينتج عن استمرار العلاقة.

3- الإطار الموقفي أو البيئي: ويختص بالمتغيرات الاجتماعية التي تحدد درجة الحرية المتاحة للأفراد في الدخول أو الخروج من علاقات معينة، ومدى القيود الاجتماعية المفروضة للإبقاء على علاقة معينة (56: ص ص 3- 8).

أ- الفروض الأساسية لنظرية «النفاذ الاجتماعي»:

تمثل الفروض التالية جوهر نظرية ألتمان وتايلور:

1- عملية النفاذ الاجتماعي مرتبة، وتتقدم في مراحل متدرجة عبر الوقت، وتمضي من المناطق السطحية إلى المناطق الحميمة.

2- يقيم الأفراد الإثابات والتكلفة المترتبة على الدخول في علاقة معينة، وتزيد احتمالات تقدم العلاقة عندما تزيد الإثابات المقدرة في الماضي أو المتوقعة في المستقبل عن التكلفة.

3- تؤثر الخصال الشخصية في معدلات ارتقاء العلاقة الاجتماعية حيث يتميز بعض الأفراد بالاستعداد المرتفع للإفصاح عن الذات، كما تؤثر

المواقف الاجتماعية أيضا في تحديد مسار التفاعل، ولذا قد تتميز العلاقة المؤقتة بدرجة أكبر من الإفصاح عن الذات، بينما يبدي الأشخاص تحفظا أكبر عندما يدخلون مع آخرين في علاقة مستمرة.

4- تنطبق مبادئ ارتقاء العلاقة على ديناميات تحلل العلاقة، ولكن بطريقة عكسية، حيث تتقهقر العلاقات المتدهورة من الإفصاح عن المناطق الأكثر خصوصية إلى المناطق السطحية، وبطريقة متدرجة، ومن مقدار كبير من التفاعلات الحد مقدار أقل، كما يتوقف معدل تدهور العلاقة أيضا على مقدار التفاوت بين الإثابة والتكلفة (المرجع السابق، ص 6-8)

ب- مراحل النفاذ الاجتماعي:

افترض ألتمان وتايلور أن عملية النفاذ الاجتماعي ترتقي عبر أربع مراحل رئيسية، وهي:

ا-التوج :orientation

تظهر في هذه المرحلة الاستجابات الاجتماعية المنمطة، مع تفاعل لفظي مقيد في حدود المناطق السطحية من الشخصية، كما يتسم الأشخاص في هذه المرحلة بالحذر والحرص وتجنب تقويم الآخرين أو انتقادهم أو الإفصاح عن المناطق المركزية أو الحميمة في الشخصية.

2- التبادل الوجداني الاستطلاعي :exploratory exchange

تتضمن تلك المرحلة محاولات للكشف عن الذات وتبادل الإفصاح عن مناطق أكثر تفردا، وفيها يتسع التواصل في المناطق الخارجية للشخصية مع مزيد من التفاصيل، وتتسم التفاعلات بالسلاسة، وفيها يزداد التسامح بين الأفراد كما يتضح من تقبل آرائهم، ويتميز التفاعل أيضا بالمودة والارتياح، مع التجنب التام للتفاعلات التي تستهدف المناطق المركزية للشخصية. وتقف نسبة كبيرة من العلاقات عند هذا المستوى.

3- التبادل الوجداني affective exchange

تميز هذه المرحلة علاقات الصداقة الوثيقة، وفيها يتوافر للأفراد تاريخ «سابق» عن المعرفة الجيدة ببعضهم البعض، وتتسم التفاعلات بالارتياح والصراحة والاتساع في المناطق الخارجية، ويبدأ الأفراد في الإفصاح عن المناطق المركزية في الشخصية، رغم بقاء بعض الحرص. وترسي تلك المرحلة قواعد العلاقة الحميمة طويلة الأجل.

4- التبادل المستقر stable exchange

يصل القليل من العلاقات الاجتماعية إلى هذه المرحلة، وتعكس التفاعلات عندئذ الصراحة والثراء والتلقائية في المناطق العامة والمركزية، ويقل سؤ الفهم بين الأشخاص وتستخدم التعبيرات غير اللفظية بحرية أكبر.

ويؤكد ألتمان وتايلور تفاوت العلاقات في مسار ارتقائها، فليس من الضروري أن تمر كل علاقة بالمراحل السابقة، كما تتباين العلاقات أيضا في سرعة المرور عبرها (المرجع نفسه، ص ص 136- 141).

7 الدراسات النفسية للصداقة عبر ثقافات مختلفة

نعرض في هذا الفصل أهم الدراسات والبحوث النفسية التي تناولت علاقة الصداقة بين أبناء الجنس الواحد في مجتمعات تنتمي إلى ثقافات مختلفة. وتجدر الإشارة إلى أن معظم تلك الدراسات قد أجريت على عينات من الأطفال والمراهقين نظرا للصلة الوثيقة بين التفاعل مع الأقران والتوافق النفسي والاجتماعي في مرحلتي الطفولة والمراهقة. وقد راعينا أن تمثل الدراسات التي يشملها هذا العرض أهم مجالات الاهتمام الحديثة التي تشغل فكر المتخصصين في مجال بحوث العلاقات بين الأشخاص باستثناء مجال وظائف الصداقة، وقد خصصنا له الفصل الثالث، وعلى هذا نتناول في الفصل الحالي الدراسات التي تتعلق بمجالات الاهتمام الآتية:

1- ارتقاء أسس التجاذب وشروط الصداقة بين الأشخاص.

2- مهارات بدء الصداقة ومواصلتها.

3- طبيعة الخلافات التي قد تقع بين الأصدقاء.

4- أساليب حل الخلاف بين الأصدقاء.
5- الدراسات السوسيومترية لخصائص الصداقة.
6- علاقة خصائص الصداقة بالظروف الاجتماعية والأسرية.
وذلك على النحو التالي:

أولا: ارتقاء أسس التجاذب وشروط الصداقة بين الأشخاص:

نعرض أولا بحوث ارتقاء أسس الصداقة لدى الأطفال ثم ننتقل بعد ذلك إلى مرحلتي المراهقة المبكرة (من 12- 15 سنة)، والمراهقة المتأخرة (من 16- 22 سنة):

أ- دراسات ارتقاء أسس التجاذب وشروط الصداقة في مرحلة الطفولة:

1- بحوث سلمان وزملائه عن تصورات الأطفال حول الصداقة:

اهتم سلمان selman بدراسة المراحل التي يمر بها تكوين تصورات الأطفال حول الصداقة، وتتصل بحوثه اتصالا وثيقا بنظريات الارتقاء المعرفي، وقد اعتمد سلمان في بحثه لهذا الموضوع على عدة طرق منهجية، من بينها المنهج العرضي cross-sectional method، حيث أجرى مقابلات مقننة مع 225 مبحوثا أمريكيا من الجنسين، تتراوح أعمارهم ما بين 5 ,4-32 سنة، كما دعم بحثه بالمنهج الطولي أو التتبعي 55 longitudinal method، إذ قام بإجراء مقابلات مقننة مع 48 مبحوثا ذكرا في المدى العمري من 6- 12 سنة، ثم قابلهم مرة ثانية بعد مرور عامين (197: ص 8 5, 107: ص 95).

وكشفت بحوثه عن وجود تغيرات ارتقائية واضحة في تصورات. الأطفال والمراهقين حول الصداقة عبر المراحل العمرية بدءا من السنة السادسة وحتى الخامسة عشرة، وقد أشار سلمان إلى أن ارتقاء التصورات حول الصداقة يمر بخمس مراحل ارتقائية متوازية مع ارتقاء قدرات الأطفال على فهم منظور الشخص الآخر Perrpective taking أي قدرتهم على وضع أنفسهم موضع الشخص الآخر والتفكير في الأمور كما يراها هذا الشخص.

ويكشف الجدول عجز الطفل في طفولته المبكرة عن فهم منظور الآخرين، ولذا تتسم الصداقة في المرحلة الأولى (3-7 سنوات) بأنها صداقة مؤقتة

وفيها يتم اختيار الأصدقاء على أساس القرب المكاني، ويقيم الأقران في ضوء ممتلكاتهم المادية وخصائصهم الجسمية، وتتسم ألعاب الأطفال في

المرحلة	المدى العمر	خصائص الصداقة كما يراها الأطفال	مستوى فهم منظور الآخرين
صفر	3 _ 7 سنوات	الرفيق المؤقت	متمركز حول الذات
1	4 _ 9 سنوات	المساعدة في إتجاه واحد	ذاتي / متمايز
2	6 _ 12 سنة	التعاون في سبيل المصلحة الذاتية	متبادل / يعكس الذات
3	9 _ 15 سنة	الفهم الحميم المتبادل	متبادل
4	12 سنة فأكثر	الاستقلال / الاعتمادية المتبادلة	عميق / اجتماعي

الجدول رقم (1) مراحل ارتقاء تصورات الأطفال حول الصداقة كما تبرزها بحوث سلمان وزملائه

هذه المرحلة بأنها ألعاب متوازية Parallel حيث يلعب كل طفل بمفرده بجوار طفل آخر يقوم باللعبة نفسها بدون مشاركة متبادلة أو تعاون في اللعب، أما المرحلة الثانية (من 4- 9 سنوات) وهي مرحلة المساعدة في اتجاه واحد فتتسم بنمو قدرة الأطفال على فهم منظور الآخرين بالمقارنة بالمرحلة السابقة، وفيها يقيم الأقران في ضوء ما يمكن أن يقدموه للطفل دون إدراك لأهمية الأخذ والعطاء في علاقاتهم مع أصدقائهم، ويبدأ الأطفال في إدراك أهمية التعاون في المرحلة الثالثة (6- 12 سنة)، ولكنهم يتصورون أن هدف التعاون هو إشباع الاهتمامات الشخصية فحسب. وفي هذه المرحلة يبدأ الأطفال في فهم مشاعر الآخرين وتفسير سلوكهم وعزل السلوك عن عواقبه، وتبدأ الصداقات الثنائية في التكون بين الأطفال بهدف الاستمتاع بنشاطات متبادلة.

أما المرحلة الرابعة (9- 15 سنة) فهي مرحلة العلاقات الشخصية الحميمة والمتبادلة، وخلالها يدرك الأطفال أهمية التعاون كوسيلة لإشباع الاهتمامات المشتركة، ولكن تتسم صداقات هذه المرحلة بالرغبة في الاستحواذ على الصديق، حيث يشعر الطفل وكأنه تملك صديقه إلى الدرجة التي تشعره بالخوف من فقده والغيرة عليه، مع الحساسية المفرطة تجاه وجهات نظر أقرانه نحوه، أما المرحلة الخامسة (12 سنة فأكثر) فتبلغ صداقات الأطفال

فيها أعلى درجات النضج، وهي مرحلة تجمع بين الاعتماد المتبادل والاستقلال عن الآخرين، وفيها يرتبط الطفل أو المراهق بأكثر من صديق يشبع كل منهم رغبة أو اهتماما خاصا (107: ص 95, 137).

2- بحوث بيجلو ولاجيبا عن الخصال المتوقعة في الصديق:

تعد بحوث بيجلو Biglow ولاجيبا La gaipa من البحوث المتأثرة بنظريات الارتقاء المعرفي، وتنصب بحوثهما بصفة خاصة على دراسة ارتقاء تصورات الأطفال والمراهقين حول الصداقة، وبالتحديد حول طبيعة الخصال التي يتوقعونها في أصدقائهم، ومظاهر ارتقائها عبر العمر، وتأثيراتها على الصداقة المتبادلة في مرحلتي الطفولة والمراهقة (74: ص 15).

وقد اعتمد الباحثان في دراساتهما لارتقاء توقعات الأطفال من الأصدقاء على تحليل مضمون إجابات أدلت بها عينة من 480 طفلا ومراهقا كنديا في المدى العمري من 6- 14 سنة (في الصفوف الدراسية من الأول وحتى الثامن). وتضمنت العينة 30 تلميذا، و30 تلميذة في كل صف دراسي، طلب منهم كتابة مقالات عن الخصال التي يتوقعونها في أفضل صديق لهم. وأفصح تحليل المضمون عن مجموعة من التوقعات بلغ عددها 21 توقعا، تتباين من حيث الثبات أو التغير بالنقص أو الزيادة عبر المراحل الارتقائية. فمن بين التوقعات التي تحتفظ بالنسب المئوية الدالة على شيوعها المستقر عبر المراحل العمرية يأتي: دعم الذات self reinforcement والمحبة المتبادلة، ويفسر بيجلو ثبات هذين التوقعين بالرجوع إلى افتراض دك، الذي يرمي إلى أن وظيفة الصداقة الرئيسية في كل الأعمار هي المساندة النفسية ويضيف بيجلو أن الوظائف المعرفية قد تتغير عبر الزمن، أما الوظيفة الوجدانية للصداقة فتظل مستقرة في كل الأعمار، وزيادة على هذا وضح أن الأبعاد الوجدانية تظهر في مراحل مبكرة في حين يتأخر ظهور الأبعاد المعرفية، والتي ترتبط بالارتقاء المعرفي للفرد. أما اللعب فهو من بين التوقعات expectation التي ينخفض شيوعها مع العمر. وزيادة على هذا كشفت بحوث بيجلو ولاجيبا أن هناك تسعة توقعات تظهر نموا مطردا عبر المراحل الارتقائية. وقد صنف الباحثان التوقعات التسعة في ثلاث مراحل ارتقائية متدرجة حسب الصف الدراسي الذي تبزغ فيه.

ويقدم جدول رقم (2) المراحل الارتقائية الثلاث والتوقعات المتضمنة في كل منها (107 : ص96).

المرحـــــلة	أبعـــــاد التوقعـــــات	الصف الذي تبزغ فيه
الأولى : الموقفية	1 ـ النشاطات المشتركة	2
	2 ـ التقويم	3
	3 ـ القرب المكاني	3
الثانية : التعاقدية	4 ـ الإعجاب	4
الثالثة : النفسية ـ الداخلية	5 ـ التقبل	4
	6 ـ الاخلاص والالتزام	5
	7 ـ الصدق	6
	8 ـ الاهتمامات المشتركة	7
	9 ـ الصداقة	**7**

الجدول رقم (2) مراحل ارتقاء توقعات الأطفال والمراهقين للخصال المرغوب فيها في الصديق كما توضحها بحوث بيجلو ولاجيبا

ويبرز الجدول بوضوح اتجاه ارتقاء توقعات الصداقة من العيانية إلى التجريد، ففي المرحلة الأولى وهي المرحلة الموقفية يقيم الأطفال أصدقاءهم بطريقة عيانية وسطحية فيكون التركيز على قرب المسكن أو المشاركة في نشاطات معينة، أما في المرحلة الثانية وهي المرحلة التعاقدية فيقيم الصديق على أساس مدى التزامه بالمعايير والقواعد الأخلاقية. وتظهر في المرحلة الثالثة المتغيرات الشخصية، وترتقي الخصال المتوقعة من الصديق لتشمل التقبل والإخلاص والصدق والاهتمامات المشتركة والعلاقة الشخصية الحميمة.

ويضيف بيجلو إلى خصائص تلك المراحل، أن المرحلة الأولى يمكن أن توصف في ضوء الإثابة والتكلفة، حيث يتصور الأطفال الصداقة خلالها في ضوء المشاركة في الأنشطة السارة، وتلقي التدعيم من الصديق، أما

المرحلة الثانية فهي مرحلة التمركز حول المجتمع حيث تبرز المعايير الاجتماعية، وهي مرحلة وسيطة بين العيانية والتجريد، وتتصف المرحلة الثالثة بأنها أعلى المراحل من حيث التجريد ولا تظهر قبل مرحلة الطفولة المتأخرة وفيها يركز الأطفال على الاندماج الوجداني (179: ص 171).

ويشير لاجيبا إلى أن التوقعات المستخلصة تنهض بوظائف مختلفة تقوى من خلالها علاقة الصداقة، حيث تقوم المرحلة الثانية (والمتمركزة حول المعايير الأخلاقية) بوظيفة الترشيح filtration أو التصفية واستبعاد الأطفال الشاذين عن المعايير الأخلاقية من جماعة الأقران، وتؤدي المرحلة الأولى (من خلال النشاطات المشتركة) وظيفة التدعيم، بينما تقوم المرحلة الثالثة بوظيفتي اختبار عمق الصداقة من خلال الإخلاص والالتزام، وتعميق الصداقة وتوثيقها من خلال الفهم والتعاطف والاهتمامات المشتركة (179: ص 173).

3- بحث فورمان وبييرمان عن التغيرات الارتقائية في تصورات الأطفال حول الصداقة:

يقترب موضوع بحث فورمان Furman æBierman من اهتمامات بيجلو ولاجيبا، حيث يتركز الاهتمام في المقام الأول على دراسة ارتقاء تصورات الأطفال حول الصداقة عبر مراحل عمرية مختلفة، ولكن يميز بحث فورمان وبييرمان توسيع مجال الدراسة ليشمل علاقات أخرى بخلاف علاقة الصداقة، مثل العلاقات العابرة أو المعارف، وأيضا عدم الاقتصار على أسلوب واحد في جمع البيانات (وهو الأسئلة مفتوحة النهايات) حيث اعتمدا على طرق أخرى بالإضافة إليه، وهي اختبار للتعرف على الصور يقيس توقعات الصداقة ومقياس تقدير مقيد الاختيارات [129].

وتم تنفيذ البحث عام 1983 لدراسة ارتقاء تصورات عينة من الأطفال الأمريكيين حول الصداقة، وقد تكونت العينة من 32 تلميذا، و 32 تلميذة، موزعين عبر مستويين عمريين، يمتد المستوى الأول من 4- 5 سنوات، ويتراوح الثاني ما بين 6- 7 سنوات، وشمل البحث ثلاثة ظروف تجريبية، ويروفق ترتيبها في الإجراءات:

1- المقابلة المفتوحة وفيها سئل الأطفال عن معنى «الصديق» وأسباب

الاحتياج إليه، وأهم خصائص الصداقة.

2- اختبار التعرف على الصور حيث يعرض على كل طفل عشر مجموعات من الصور، تتكون كل مجموعة من ثلاث صور، وتوضح كل صورة نشاطا يقوم به مجموعة من الأطفال مثل المشاركة المتبادلة أو الجلوس عن قرب، ويطلب من الطفل اختيار الصورة التي تتضمن نشاطا ييسر الصداقة من وجهة نظره، وسمح للطفل باختيار نشاط واحد أو أكثر، وكان القصد من هذا الأسلوب هو التغلب على الصعوبات اللغوية التي يمكن أن تعوق الأطفال عن التعبير عن خصائص الصداقة.

3- مقياس التقدير مقيد الاختيارات وهو يتضمن 45 زوجا من الصور تم تقديمها بنفس الأسلوب السابق شرحه، وطلب من الطفل اختيار نشاط واحد فقط ييسر الصداقة من بين النشاطين المعروضين عليه في كل زوج، وأريد بهذا الجزء إبراز أهم ملامح الصداقة بينما يقيس الظرف الثاني ملامح الصداقة بشكل عام.

وقد تعرض كل طفل للظروف التجريبية الثلاثة، ثم صنفت إجاباته في كل ظرف منها في فئة من بين خمس فئات وهي:

1- الوجدان: ويحوي العبارات الدالة على الحب، والعناية والإعجاب.

2- المساندة: وتشير إلى المشاركة والمساعدة وتقديم المساندة.

3- النشاطات المشتركة: وتستوعب نشاطات العمل أو اللعب أو الاستمتاع معا، أو الاستغراق في نشاطات خاصة.

4- القرب الفيزيقي بكافة مظاهره سواء في المسكن أو المدرسة.

5- الخصائص الجسمية والمظهر العام.

ونكتفي هنا بتقديم النسب المئوية المعبرة عن عدد التلاميذ الذين ذكروا إجابات تتصل بكل فئة من الفئات الخمس في الظرف التجريبي الأول، بهدف الوقوف على التغيرات الارتقائية في خصائص الصداقة عبر المجموعتين العمريتين، وهي النتائج التي يقدمها الجدول رقم (3).

ويوضح الجدول أن النشاطات المشتركة كانت أكثر التوقعات شيوعا لدى المجموعتين، وفي المقابل كان القرب أقلها شيوعا، ويلاحظ وجود ارتفاع واضح في نسبتي الوجدان والمساندة لدى المجموعة الأكبر

م	التوقيعـــــــات	المجموعـــة العمـــرية	
		الأولى (4 _ 5 سنوات)	الثانية (6 _ 7 سنوات)
1	النشاطات المشتركة	%94	%97
2	الوجدان	63	84
3	المساندة	53	72
4	القرب	50	31
5	الخصائص الجسيمة	69	38

الجدول رقم (3) النسب المئوية لتكرار توقعات الصداقة لدى مجموعتين
عمريتين من الأطفال كما توصل إليها فورمان وبييرمان

عمرا، بـينما تنخفض نسبـتا تـوقـع القـرب والخصـائـص الجـسـمـيـة لـدى المجموعة الأكبر عمرا بالـمقـارنة بالمجـموعة التي دونـها فـي العـمـر، أمـا النشـاطات المـشتركة فتحتـل موضـعا بـارزا ومسـتقـرا إلـى حد مـا لـدى المجموعتين.

4- بحث إيرفين عن تماثل الاتجاهات وسمات الشخصية في صداقات الأطفال:

أجري إيرفـين Erwin بحثه لاختبار عدد من الفروض في مقدمتـهـا أن الأطفال يشبهون أصدقاءهم في الاتجاهات ومكونات الشخصية أكثر مما يشبهون غيـر الأصـدقـاء[123]. وقد تكونت عينة البـحـث مـن 58 تلميذا مـن الصفين الدراسيين الأول والثالث في مدرسة ابتدائية إنجليـزية، وتـألـفت عينة الصف الأول من 17 تلميذا و 12 تلميذة تراوحت أعمارهم ما بين 7- 8 سنوات، وتكونت عينة الصف الثـالـث مـن 14 تلمـيذا و15 تلميذة فـي المدى العمري من 9- 10 سنوات، وقدم لكل تلميذ مقياس يتضمن عددا من مكونات الشخصية، وطلب منه تقدير أهمية توافرها أو عدم توافرها في زميله لكي يعقد صداقة معه، ومن هذه المكونات: الطيبـة، والمـرح، والـرقـة، والـهـدوء. وجدير بالذكر أنه لم يطبق مقياس مكونات الشخصية نفسه على تلاميذ الصفين الأول والثالث، ولكن طبق مقياس خاص على كل مجموعة عمرية

منهما، وقد تكون مقياس المجموعة الأولى من عشرة بنود.. وشمل مقياس المجموعة الثانية ثلاثة عشر بندا. ثم طبق على كل التلاميذ استخبار يقيس اتجاهات كل منهم نحو نشاطات وموضوعات اجتماعية من بينها القراءة، وممارسة الرياضة، ومشاهدة التليفزيون والاستذكار. وأخيرا طلب من كل تلميذ كتابة قائمة بأسماء أحب أصدقائه إلى نفسه، وسمح له بكتابة أي عدد من الأصدقاء. وبناء على تلك القوائم تم تحديد الصداقات المتبادلة، ثم حسبت متوسطات معاملات الارتباط بين إجابات التلميذ وإجابات كل من الأصدقاء وغير الأصدقاء على مقاييس الاتجاهات ومكونات الشخصية لكل جنس ولكل صف على حدة (بعد تحويل معاملات الارتباط إلى ارتباطات معيارية ZR)، واعتبرت تلك المتوسطات بمثابة مؤشرات لدرجات التماثل في الاتجاهات ومكونات الشخصية بين الأصدقاء وغير الأصدقاء، ويقدم الجدول رقم (4) متوسطات درجات التماثل المشار إليها.

المتغيرات / العينات	مكونات الشخصية		الاتجاهات الأصدقاء	
	الاصدقاء	غير الأصدقاء	الاصدقاء	غير الأصدقاء
الصف الأول	0.581	0.219	1.304	0.675
الصف الثاني	0.190	0.067	0.770	0.813
الذكور	0.206	0.092	1.255	0.838
الإناث	0.565	0.194	0.819	0.650

جدول رقم (4) متوسطات درجات التماثل بين الأصدقاء
وغير الأصدقاء في مكونات الشخصية والاتجاهات

ويوضح الجدول المشار إليه صدق فرض إيرفين حيث ظهر أن الأصدقاء (سواء من الذكور أو الإناث) أكثر تماثلا في مكونات الشخصية والاتجاهات مقارنين بغير الأصدقاء، وتشير النتائج أيضا إلى أن التماثل أقوى لدى الأصدقاء الأصغر عمرا، مما يوضح أهمية التماثل في الصداقات المبكرة، وأخيرا وضح أن الأصدقاء الذكور أكثر تشابها في اتجاهاتهم مقارنين بالإناث، أما الصديقات فكن أكثر تشابها في مكونات الشخصية مقارنات بالذكور.

(ب) دراسات ارتقاء أسس التجاذب وشروط الصداقة في مرحلة المراهقة المبكرة:

1 - دراسة أوبرين O'Brien وبييرمان Bierman عن تصورات التلاميذ حول تأثير جماعات الأقران:

استهدفت تلك الدراسة الوقوف على انطباعات التلاميذ في مرحلتي ما قبل المراهقة والمراهقة حول تأثير جماعات الأقران عليهم، ومظاهر التغير في هذه الانطباعات عبر هاتين المرحلتين، وأجريت الدراسة على عينات مختارة عشوائيا من تلاميذ المدارس الابتدائية الأمريكية في الصفوف الدراسية: الخامس والثامن والحادي عشر (واختير 12 تلميذا و 12 تلميذة من كل صف)، وبلغت متوسطات أعمار التلاميذ: 9، 10، 8، 13، 5، 16 سنة على التوالي. وأجريت مقابلات فردية مع كل تلميذ سئل فيها عن انطباعاته عن جماعات الأقران وتأثير الأقران عليه، ومشاعره إزاء قبول الجماعة أو رفضها له [207].

وقد أظهرت النتائج أن التلاميذ في مرحلة ما قبل المراهقة يركزون في تصوراتهم حول تأثير الصداقة على جانبي النشاطات المشتركة والتفاعل الاجتماعي، ووضح أنهم ينسبون تأثيرا محدودا للأقران بالمقارنة بالمراهقين الذين عبروا عن احتياجهم العميق للصداقة وتقديرهم لتأثيراتها الواضحة في حياتهم الشخصية، وقد ركزوا بصفة خاصة على تأثيرات الصداقة التي تمس الجوانب التالية: التصرفات الأخلاقية والمظهر الشخصي، والاتجاهات، والمعايير الاجتماعية. وزيادة على هذا كشفت النتائج أن التلاميذ في كل الأعمار يدركون أهمية الصداقة في تقديم المساندة الاجتماعية، بينما يزيد إدراكهم مع التقدم في العمر لأثر الصداقة في تنمية الشعور بالرضا عن الذات.

2- بحث مانارينو عن أثر علاقات الصداقة الوثيقة:

أجريت بحوث عديدة لاختبار فروض سوليفان Sullivan وتصوراته للارتقاء الاجتماعي، وكان التركيز بصفة خاصة على آثار علاقات الصداقة الوثيقة في خصائص التفاعل الاجتماعي بين الأقران في مرحلتي ما قبل

المراهقة والمراهقة المبكرة، ونكتفي هنا بتقديم نماذج نكشف عن طبيعتها من خلال بحوث مانارينو، وماكجوير وويسز (196 , 199).

ونفذ مانارينو عددا من البحوث في هذا الصدد، استهدف أحدها التحقق من فرض سوليفان والذي يذهب إلى أن علاقات الصداقة الوثيقة في مرحلة ما قبل المراهقة تنمي السلوك الغيري atriuistic behavior وتكونت عينة البحث من 92 تلميذا أمريكيا من الذكور في الصف السادس الابتدائي، وتم تقدير علاقة الصداقة الوثيقة اعتمادا على ثلاثة محكات وهي:

1- الاختبار السوسيومتري، حيث طلب من كل تلميذ كتابة أسماء أقرب ثلاثة أصدقاء إلى نفسه مرتبين حسب درجة تفضيله لهم، وبعد أسبوعين أعيد عليهم السؤال نفسه وكان مؤشر علاقة الصداقة الوثيقة المستقرة وقوع الاختيار على الصديق نفسه في المرتين الأولى والثانية.

2- إجابة كل تلميذ عن قائمة صممها الباحث لتقدير الصداقة الوثيقة وتحوي 17 بندا تقيس التخاطب الصريح مع الصديق، ودرجة الحساسية نحو حاجاته واهتماماته.

3- سؤال الصديق عن تفضيله قضاء الوقت مع صديقه المقرب أو مع جماعة من الأقران أو الأصدقاء، وكان محك الصداقة الوثيقة هو تفضيل قضاء الوقت مع الصديق المقرب.

وقد أوضحت المؤشرات الثلاثة مجتمعة أن هناك 30 تلميذا يتمتعون بعلاقة صداقة وثيقة من بين عينة قوامها 92 تلميذا، ثم اختير 30 تلميذا لا تتوافر لهم تلك العلاقة وفق المحكات المشار إليها، وروعي التكافؤ بين المجموعتين في مستوى التقبل الاجتماعي والذكاء، وطبق على المجموعتين اختباران للسلوك الغيري أحدهما لفظي والآخر أدائي. وجاءت النتائج في الاتجاه الذي يحقق فرض مانارينو حيث تبين أن الصداقة الشخصية الوثيقة تشجع الفرد على إدراك التماثل بينه وبين الآخرين وتنمي لديه المشاعر الإنسانية من خلال التفاعل الصريح مع الآخرين مما يرغبه في البذل لهم والتضحية في سبيلهم [196].

3- بحث ماكجوير وويسز عن مصاحبات الصداقة الوثيقة:

أما بحث ماكجوير Mcguire وويسز Weisz فقد أجري في إحدى الولايات

الأمريكية بهدف التمييز بين المصاحبات السلوكية للصداقة الوثيقة (كما يعرفها سوليفان) والشعبية (كما تتحدد من خلال المكانة السوسيومترية المرتفعة بين الزملاء)، وقد اعتمدا على منهج مشابه للمنهج الذي اتبعه مانارينو حيث اشترط في تعريف الصديق توافر خاصيتي تبادل الاختيار واستقراره، وتكونت عينة البحث من 80 تلميذا وتلميذة تم توزيعهم في تصميم تجريبي يتضمن ثماني خلايا مقسمة على أساس الجنس (ذكور، إناث)، والصداقة الوثيقة (متبادلة، غير متبادلة)، ودرجة الشعبية (مرتفعة، منخفضة)، وحوت كل خلية 10 تلاميذ. ثم طبق على كل التلاميذ اختبار يقيس القدرة على فهم منظور الآخرين، كما اعتمدا على أسلوب المشاهدة لتقدير ميل التلميذ إلى إصدار السلوك الغيري. وأوضحت النتائج صدق فروض سوليفان، حيث تميز الأطفال الذين تربطهم صداقة متبادلة مستقرة مع زملائهم بقدرات أكفأ على فهم منظور الآخرين وأصدروا معدلات أعلى من السلوك الغيري مقارنين بمفتقدي تلك العلاقات. أما التلاميذ مرتفعو الشعبية فلم يظهروا نفس التغيرات المقترنة بعلاقات الصداقة المتبادلة، مما يدعو إلى التفرقة بين خصائص الصداقة والشعبية [199].

(ج) دراسات ارتقاء أسس التجاذب وشروط الصداقة في مرحلة المراهقة المتأخرة:

1- دراسة سويف عن خصائص صداقات المراهقين في المجتمع المصري:

استهدف هذا البحث الكشف عن العوامل التي تسهم في اختيار صداقات المراهقين والراشدين من الجنسين بين أبناء الطبقة المتوسطة في المجتمع المصري. وشملت عينة البحث 1106 مبحوثين، منهم 798 مبحوثا في مرحلة المراهقة، واختيروا من طلاب المدارس الثانوية والمعاهد المصرية و358 مبحوثين في مرحلة الرشد، ومعظمهم من موظفي الحكومة وبعضهم من طلبة الكليات والمعاهد.

وتراوحت أعمار المبحوثين في عينة المراهقة ما بين 12- 19 سنة، أما الراشدون فوقعت أعمارهم في المدى من 20- 46 سنة (24: ص ص 247- 275)

وتضمنت أدوات الدراسة استخبارين: أولهما استخبار مكون من عدد من الأسئلة مفتوحة النهايات أريد به الكشف عن بعض جوانب الصداقة بعد تحليل إجابات المبحوثين، ولم يطبق هذا الاستخبار إلا على 41 مبحوثا فقط نظرا لطوله. أما الاستخبار الثاني وهو استخبار الصداقة فكان الهدف منه تقدير درجة التصلب الاجتماعي للمراهقين والراشدين، وقد تضمن قائمة من سبعين صفة شخصية وطلب من المبحوثين تقدير أهمية كل منها عند عقد صداقة وثيقة مع شخص آخر من نفس الجنس، وذلك باختيار بديل من بين خمسة بدائل وهي على الترتيب:

+2 الصفات التي لابد من توافرها لقيام صداقة.

+1 الصفات المرغوب في توافرها لقيام صداقة.

صفر الصفات غير المهمة في الحكم على الصديق.

- 1 الصفات التي يحسن ألا توجد ولكنها على كل حال محتملة.

- 2 الصفات التي يجب ألا توجد، وإذا وجدت فلا يمكن قيام صداقة .

وبالإضافة إلى هذين الاستخبار ين طبق مقياس سوسيومتري على أعداد من طلبة وطالبات كلية الآداب في العام الجامعي 1951- 1952، كان معظمهم من الراشدين. بهدف دراسة علاقة درجة التصلب الاجتماعي بعدد من المؤشرات السوسيومترية التي تتعلق بالاختيارات المتبادلة فيما بينهم. وفيما يلي نلخص أهم النتائج المتصلة بصداقات المراهقين:-

تقوم الصداقة في مرحلة المراهقة لإشباع رغبات المراهقين في التجمع والتحدث معا، وليس لها هدف محدد ولا خطة منظمة.

- هناك قدر كبير من التماثل في موضوعات الحديث بين الأصدقاء، والتي تتطرق في معظم الأحيان إلى الموضوعات الآتية: الشكوى المتبادلة، الموضوعات الدراسية، الحب والزواج، الأفلام، تبادل النكت والنوادر، وتبرز الألعاب الرياضية في أحاديث الذكور بصفة خاصة.

- يعلل المراهقون صداقاتهم باتفاق الآراء والأذواق والعادات والأخلاق. وتنعقد العلاقات بسهولة، وييسرها التجاور المكاني في المدرسة والمسكن، وتتفرق بسهولة أيضا نتيجة البعد المكاني.-

- يتماثل الأصدقاء في الجنس والسن والدين والمستوى الاقتصادي والاجتماعي وتتميز الصداقة في مرحلة المراهقة بدرجة مرتفعة من الإغلاق

closure وتتمثل في الغيرة من أي صديق جديد ينضم إلى جماعة الأقران، مع تأكيد أهمية حفظ الأسرار، واشتراط أن يتصف الصديق بالخصال الأخلاقية الرفيعة.

وفيما يختص بالدراسة السوسيومترية التي اعتبرها سويف بمثابة محاولة أولية من هذا الطراز في المجتمع المصري، فقد تمخضت عن ثلاث نتائج وهي:-

- وجود ارتباط سلبي بين درجة التصلب الاجتماعي social rigidity للشخص (محسوبا بعدد مرات القطع المتمثل في الإجابة بأي من + 2 أو-2) وقوة المركز الاجتماعي (أي درجة الشعبية والتقبل الاجتماعي بين الزملاء)، بمعنى أنه كلما ارتفعت درجة التصلب الاجتماعي انخفضت المكانة الاجتماعية بين الزملاء.

- يتجه الأفراد ذوو المركز الاجتماعي القوي اتجاها تقريريا يبدو في اختيار أصدقائهم من ذوي المركز الاجتماعي القوي، بينما يتجه الأفراد ذوو المركز الاجتماعي الضعيف اتجاها تعويضيا، فيختارون أصدقاءهم من مرتفعي المكانة والشعبية.

- نادرا ما تتكون الصداقة بين شخصين يتسم كل منهما بدرجة مرتفعة من التصلب الاجتماعي، فهي تقع في الغالب بين شخصين أقل من المتوسط في التصلب الاجتماعي، أو بين شخصين أحدهما فوق المتوسط والآخر أقل من المتوسط، ويشير سويف إلى أن الاختيار على هذا النحو يضمن قدرا أكبر من الاستقرار للعلاقة، وهو شرط نادر الحدوث في صداقات المراهقين (المرجع السابق، ص ص 265- 268).

2- دراسة دوقان وأديلسون عن التغيرات العمرية في خصائص صداقات المراهقين:

يعد بحث دوفان Douvan وأديلسون Adelson من البحوث الكلاسيكية التي تناولت ارتقاء الصداقة عبر مرحلة المراهقة، وشمل البحث عينتين كبيرتين إحداهما للمراهقين الذكور في المدى العمري من 14- 16 سنة والثانية للإناث اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين 11- 18 سنة، واختيرت العينتان من عدد كبير من المدارس التي تنتمي إلى مناطق مختلفة في

الولايات المتحدة الأمريكية لتمثيل المستويات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة.

وقد أبرزت النتائج تميز صداقات المراهقين في المرحلة العمرية من 14-16 سنة بعدد من الخصائص من بينها اشتراط المراهقين ضرورة توافر عدد من الخصال في الصديق في مقدمتها التعاون وإمكان الاعتماد عليه، وقدرته على ضبط الاندفاع والسلوك العدواني، والمشاركة في النشاطات. أما الالتزامات الواجبة على الصديق فقد شملت تقديم المساندة وقت الشدة، والمساعدة وإسداء الخدمات وبالمقارنة بالفتيات في نفس المدى العمري كان الذكور أقل اهتماما بالعلاقة الحميمة والمساندة الوجدانية، إذ يركز المراهقون الذكور في تصورهم لوظيفة الصداقة على تلقي المساندة من جماعة الأقران في مواجهة السلطة، أما المراهقات فيؤكدون أهمية المساندة الوجدانية في الأزمات الشخصية من خلال صداقة حميمة محدودة الاتساع. وبصفة عامة يمضي الارتقاء في صداقات المراهقين من التركيز على الجوانب العيانية إلى الوعي بالخصائص الشخصية والنفسية المميزة للصديق (93: ص ص 410- 413، 107: ص ص 105- 106).

نكتفي بهذا القدر من البحوث التي أجريت في إطار الاهتمام ببعد ارتقاء أسس التجاذب وخصائص الصداقة عبر مراحل الطفولة والمراهقة المبكرة والمراهقة المتأخرة.

ثانيا: مهارات بدء الصداقة ومواصلتها:

يلاحظ ندرة واضحة في البحوث الأساسية التي ركزت على تحليل مهارات بدء الصداقة، رغم الوفرة الزائدة في برامج تدريب المهارات الاجتماعية social skills والتي يستهدف بعضها تحسين مهارات التفاعل الاجتماعي مع الأقران، مما يعني أن الكثير من تلك البرامج لا يستند إلى معرفة واضحة بالفروق الدقيقة في نوعية المهارات اللازمة لبدء علاقة صداقة عبر مختلف المراحل الارتقائية-ونعرض هنا بعض الدراسات التي تتصل مباشرة بضروب السلوك الاجتماعي الميسرة لاكتساب الأصدقاء، ثم نقدم نموذجا لبرامج تدريب الصداقة نضيف من خلاله مزيدا من المعلومات حول المهارات المعينة على تكوين صداقة شخصية في مرحلتي الطفولة

والمراهقة. وتجدر الإشارة إلى أن كل الدراسات التي سنعرضها في هذا المجال قد أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية.

1 - بحث بورك عن الإدراك الاجتماعي للأطفال:

يركز هذا البحث والبحوث التالية التي نعرضها في هذا السياق على الجانب المعرفي المتصل بمهارات الصداقة والمتمثل في القدرة على الاندماج empathy أو فهم مشاعر وأفكار الآخرين باعتباره أحد الشروط الأساسية اللازمة لإقامة علاقة اجتماعية ناجحة تتسم بالمودة والتدعيم المتبادل الناتج عن الإدراك الصحيح لحاجات ورغبات الآخرين ثم إشباعها إشباعا مناسبا.

وقد أشارت بورك Borke في بحثها إلى أن الاندماج مع الآخرين يمثل لب عمليات التفاعل بين الأشخاص، وأن صلته بالارتقاء الاجتماعي تناظر صلة الذكاء بالارتقاء العقلي. وقد أجرت بحثها لاختبار فرض أساسي مؤداه: أن الأطفال الصغار، الذين تجاوزت أعمارهم الثالثة، قادرون على فهم منظور الشخص الآخر. وتختلف بورك بصياغتها لهذا الفرض مع آراء بياجيه، الذي يرى أن الأطفال لا يكتسبون هذه القدرة إلا في طفولتهم المتأخرة (في المدى العمري من 7- 12 سنة). وقد تكونت عينة بورك من 98 طفلا و 102 طفلة، اختيروا من رياض الأطفال ومن المدارس الابتدائية، وتراوحت أعمارهم ما بين 3-8 سنوات. وطبق عليهم مقياس لتقدير الوعي الاجتماعي social awareness، مكون من جزأين، اعتمد الجزء الأول على حكاية مجموعة من القصص القصيرة، تتضمن طفلا آخر يشعر بالسعادة أو الحزن أو الخوف أو الغضب، ثم يعرض على الطفل الذي يجري اختباره مجموعة من الصور تتضمن الانفعالات المختلفة، على أن يختار منها الصورة المعبرة عن حالة الطفل الذي سمع قصته. ويتضمن الجزء الثاني عددا آخر من القصص عن التصرفات التي يمكن أن يصدرها الطفل نحو أحد زملائه، ويطلب منه أن يختار صورة تعبر عن مشاعر زميله تجاه كل تصرف.

وأيدت النتائج آراء بياجيه، إذ كشفت عن زيادة مطردة في حساسية الأطفال الاجتماعية مع التقدم في العمر، غير أنها أبرزت أيضا وعي الأطفال الصغار في سن الثالثة بمشاعر الآخرين، حيث تمكنوا من التمييز بين المواقف النوعية التي تستثير استجابات وجدانية متباينة[76].

2- دراسة أوبنهايمر وتايجسن عن أفكار الأطفال حول مهارات الصداقة:

تناولت دراسة أوبنهايمر Oppenhiemer وتايجسن Thijessen أفكار الأطفال حول العمليات التي تؤدي إلى الصداقة وعلاقاتها بقدراتهم على فهم منظور الآخرين، ومراكزهم السوسيومترية بين أقرانهم، وقد أجري البحث على عينة مكونة من 48 طفلا، اختيروا من بين أربع مجموعات عمرية، بناء على بعض المؤشرات السوسيومترية، بحيث يمثل كل مرحلة 12 طفلا مقسمين بالتساوي بين مرتفعي ومنخفضي المكانة السوسيومترية، وبلغت متوسطات الأعمار في كل مجموعة عمرية: 9، 5، 11، 7، 3، 10، 2، 12 سنة على التوالي. وطبق على كل تلميذ مقياس لاختبار قدرته على فهم أفكار ومشاعر الآخرين، ثم استخبار يتضمن عددا محدودا من الأسئلة عن تصورات الأطفال لأسباب احتياجهم إلى الأصدقاء والعمليات التي تؤدي إلى اكتساب الأصدقاء، ومن بينها سؤال نصه: كيف تعرفت على صديقك المقرب ؟

وأظهرت النتائج ارتقاء واضحا في إجابات التلاميذ عن الجزء الخاص بعمليات الصداقة عبر المجموعات العمرية. واستنتج الباحثان إمكان تصنيف مهارات الصداقة في أنماط تقابل مستويات الارتقاء المعرفي في توقعات الأطفال حول الصداقة كما أظهرتها بحوث سلمان بدءا من مستوى المنفعة المادية من خلال إجابات تسمح للطفل الآخر باستعمال الألعاب الشخصية حتى يكتسب صداقته، وحتى أرقى المستويات المؤكدة لأهمية المعرفة المتبادلة بين الصديقين. كما أظهرت النتائج وجود علاقة بين القدرة على فهم منظور الآخرين وارتقاء التصورات حول الصداقة، وإن لم ترتبط القدرة على فهم المنظور بالشعبية بين الزملاء [211].

3- بحث دياز وبرندت عن فهم خصال الصديق:

أجرى دياز Diaz وبرندت Berndt بحثهما للوقوف على التغيرات الارتقائية في فهم الأطفال للجوانب الشخصية وغير الشخصية في أصدقائهم المقربين، وقد تكونت العينة من 40 زوجا من الأصدقاء، الذين تربطهم علاقة صداقة ثنائية متبادلة، منهم 20 زوجا في الصف الرابع الابتدائي، و20 زوجا في الصف الثامن، وفي كل صف كان نصف الأزواج من الذكور

والنصف الآخر من الإناث، وطرح على كل طفل مجموعة من الأسئلة عن معدل الاتصال بينه وبين صديقه، ومدة دوام الصداقة بينهما، ودرجة الشعور بالجاذبية نحوه، كما أجاب كل تلميذ عن استخبار يقيس درجة المعرفة الدقيقة لعدد من المعلومات الخارجية عن الصديق المقرب (ومنها رقم تليفونه ويوم ميلاده، وأسماء إخوته)، وتفضيلاته، (مثل هواياته والمواد الدراسية المحببة إليه)، وخصاله الشخصية (من بينها الأمور التي تسعده، أو تضايقه والأشياء التي يعتز بها).

وقد اختبرت دقة معلومات الطفل عن صديقه بمضاهاتها بإجابات الصديق عن نفسه، ثم أجري تحليل عاملي بطريقة المكونات الأساسية لبنود مقياس المعرفة وأسفر عن تميز المعلومات الخارجية عن الخصال الداخلية والتي تجمع بين التفضيلات، والخصال الشخصية. ثم قورن بين تلاميذ الصفين الرابع والثامن في المتغيرات التي تم قياسها، ولم تكشف المقارنة عن فروق عمرية فيما يتعلق بدقة المعرفة بالخصال الخارجية للصديق، بينما أشارت المقارنة إلى تحسن معرفة الأطفال عن الخصال الداخلية مع تقدم العمر، وزيادة على هذا أوضحت النتائج إمكان التنبؤ بدقة المعلومات الخارجية من خلال متغيري معدل تكرار الاتصال بالصديق ومدة دوام الصداقة معه، بينما اتضح أن متغير تكرار الاتصال هو المتغير الوحيد القادر على التنبؤ بدقة المعلومات الداخلية عن الصديق [106].

4- بحث أودين Oden وأشر Asher في تدريب مهارات الصداقة:

يمثل هذا البحث نموذجا لبرامج تدريب مهارات الصداقة لدى مجموعة من الأطفال المنسجمين اجتماعيا في مرحلة الدراسة الابتدائية. وقد افترض الباحثان عددا من المهارات اللازمة لتحقيق هذا الهدف بعد مراجعة عدد من الدراسات السابقة في مجال المهارات الاجتماعية وشملت المهارات الآتية:

أ- المشاركة الاجتماعية social participation مع الطفل الآخر سواء في لعبة أو نشاط.

ب- التعاون Cooperation وهو يستلزم قدرا من فهم منظور الشخص الآخر، والسماح له باستعمال المتعلقات الشخصية.

جـ- التخاطب Communication ويتضمن مهارتي الحديث، والاستماع.

د- التصديق validation أو المساندة الاجتماعية وينطوي على جانبي إظهار الاهتمام وتقديم المساعدة.

وقد تألفت إجراءات التدريب من شرح مبسط لمهارات الصداقة المذكورة ثم السماح للأطفال باللعب مع الأقران مع تشجيعهم على ممارسة المهارات التي شرحت لهم، ثم تلقى الأطفال تعليقا على أدائهم بعد مشاهدتهم مشاهدة واقعية وهم يلعبون، ثم سمح لهم باللعب مع الأقران مرة أخرى على أن يراعوا الملاحظات التي وجهت لهم.

وقد استغرق التدريب أربعة أسابيع، وكشف التقدير السوسيومتري عن تحسن محدود في مهارات الأطفال الذين تلقوا هذا التدريب، إذ ارتفعت نسب الأقران الذين فضلوا اللعب معهم بالمقارنة بالتلاميذ الذين لم يتعرضوا لتلك التدريبات، ولم تظهر فروق دالة بين الأطفال فيما يتعلق بالأداء على بعض المقاييس السلوكية أو في تفضيل زملاء الفصل لهم كأصدقاء أو كرفاق يشاركونهم في أداء الأعمال [208]. وفي الفصل الأخير سنتناول تلك الدراسة بمزيد من التفصيل.

ثالثا: طبيعة الخلافات التي قد تقع بين الأصدقاء:

تتناول الدراسات التي نعرضها هنا خصائص التفاعل الاجتماعي بين الأصدقاء، وكذلك أنماط الخلافات التي قد تنشب بينهم، ويلاحظ أنها كلها دراسات أمريكية.

١- بحوث برندت عن التغير أو الاستقرار في خصائص السلوك المحبذ اجتماعيا بين الأصدقاء:

تركز بحوث برندت 68(Berndt، 70 , 71) على طبيعة التغيرات العمرية في خصائص التفاعل الاجتماعي بين الأصدقاء، وتأثيراتها في مشاعر الرضا عن علاقة الصداقة مع شخص بعينه. وقد أجرى برندت سلسلة بحوث في هذا الموضوع، من بينها بحثه الذي أجراه عن التغيرات العمرية في السلوك المحبذ اجتماعيا بين الأصدقاء [68]. وقد تكونت عينة البحث من 38 تلميذا من الصف الأول الابتدائي (متوسط أعمارهم 7 سنوات)، و

48 تلميذا في الصف الرابع (بمتوسط عمري يبلغ 10 سنوات). وروعي التكافؤ بين أعداد الذكور والإناث في كل صف دراسي، واعتمد الباحث على المنهج التتبعي، حيث طلب من التلاميذ في فصل الخريف أثناء العام الدراسي كتابة أسماء أفضل أصدقائهم مع تقدير درجة حبهم لكل زميل، وبناء على هذين المؤشرين كون الباحث أزواجا من الأصدقاء المقربين، ثم أجرى مقابلة مع كل منهم حيث سأل كل تلميذ عن مدى رغبته في مشاركة صديقه في بعض المواقف النوعية، وعن استعداده لتقديم العون له في بعض المواقف المفترضة، وفي جلسة ثانية شوهد كل صديق، وهو يؤدي مهمة مع صديقه، تسمح بالمشاركة والمساعدة الفعلية المتبادلة. ثم أعيدت نفس الإجراءات بعد مرور خمسة شهور في العام الدراسي نفسه، وقارن الباحث بين الصفين الدراسيين فيما يتعلق بالتغير في نية المشاركة، والمساعدة، وأيضا على أساس المشاركة والمساعدة الفعلية، وبرهنت المقارنة على أن صداقات الأطفال الأصغر عمرا أقل استقرارا، إذ أفصحت عن فروق دالة إحصائيا على مستوى النية والسلوك الفعلي عبر التطبيقين الأول والثاني. حيث انخفض استعدادهم لمشاركة الصديق وإعانته. كما قل إقبالهم على مساعدة الصديق فعليا. وعلى النقيض تماما جاءت نتائج الأصدقاء الأكبر عمرا، إذ عبروا عن استعداد أعلى للمشابهة ومساعدة الصديق في المرة الثانية، وكشف سلوكهم الواقعي عن صدق نواياهم إذ أقدموا بحماس أشد على مشاركة الصديق وإعانته بعد مرور الشهور الخمسة، ولوحظ إضافة إلى هذا أن تقديراتهم كانت أعلى لحاجة الصديق إلى المساعدة من جانبهم، كما توقعوا أن سعادته ستكون أبلغ بتلك المساعدة بالمقارنة بتلاميذ الصف الأول.

وامتد برندت ببحثه بعد ذلك بسنوات ليشمل مرحلتي الطفولة المتوسطة والمراهقة المبكرة[70]، حيث أجري البحث على عينة مكونة من 16 تلميذا و 24 تلميذة في الصف الرابع الابتدائي (بمتوسط عمري 10 سنوات)، و10 تلاميذ و 22 تلميذة في الصف السادس (متوسط أعمارهم 12 سنة)، و 16 تلميذا و20 تلميذة في الصف الثامن (متوسط أعمارهم 14 سنة)، وطبقت عليهم بعض المقاييس السوسيومترية، وصنفوا بناء عليها في أزواج، إما مع صديق مقرب أو مع زميل محايد بالنسبة لهم من حيث الحب أو الكراهية،

ثم شوهد أزواج التلاميذ، وهم يؤدون مهتمين: تتيح المهمة الأولى إظهار الكرم مع الصديق، أو الزميل، من خلال توزيع الإثابات على أنفسهم وعلى الطرف الآخر في العلاقة، وتسمح المهمة الثانية بإمكانية المساعدة للصديق أو الزميل. ثم قورن بين سلوك التلاميذ مع أصدقائهم وزملائهم في المهمتين عبر الصفوف الدراسية الثلاثية، ويعرض جدول رقم(5) نتائج تلك المقارنات:

المهمة / الصف	الكرم		المساعدة	
	أصدقاء	زملاء	أصدقاء	زملاء
الرابع	3.02	3.17	2.04	1.20
السادس	3.35	3.44	3.84	3.22
الثامن	3.95	2.42	11.22	6.16

جدول رقم (5) متوسطات درجات سلوك الكرم والمساعدة التي أبداها التلاميذ مع الأصدقاء والزملاء في الصفوف الدراسية الثلاثة

ويتبين من الجدول اتساع الفرق في السلوك الصادر نحو الأصدقاء والزملاء عبر الصفوف الدراسية، حيث أظهر تلاميذ الصف الثامن قدرا أكبر من الكرم والمساعدة نحو الأصدقاء مقارنين بالزملاء، بينما لم يفرق تلاميذ الصفين الرابع والسادس في المعاملة بين الأصدقاء والزملاء، كما تشابهت تعليلات هذين الصفين لدوافع الأصدقاء والزملاء، بينما أدرك تلاميذ الصف الثامن أن أصدقاءهم أشد حرصا على إقرار المساواة في الإثابات، وأبعد عن المنافسة بالمقارنة بالزملاء.

2- دراسة هارتوب وزملائه عن أنماط الخلاف أو الصراع بين ا لأصدقاء:

تناول هارتوب Hartup وزملاؤه-تناولا مباشرا-الخلافات التي تحدث في صداقات الأطفال الصغار [144]، وكان هدف البحث الرئيسي هو المقارنة بين أنماط الخلافات التي تحدث أثناء تفاعل الأطفال مع أصدقائهم ومع غير أصدقائهم وتألفت عينة البحث من 53طفلا (منهم 26 ذكرا و 17 أنثى)،

بلغ متوسط أعمارهم 4 سنوات و 3 شهور، تم تصنيف علاقاتهم حسب الوقت الذي يقضونه مع زملائهم، وبعد مشاهدتهم في مواقف التفاعل الواقعية، إلى ثلاث فئات وهي: علاقات الصداقة المتبادلة، وعلاقات الصداقة من طرف واحد، والعلاقات المحايدة. ثم شوهد الأطفال وهم يتفاعلون مع أقرانهم أثناء نشاط اللعب الحر. واستمرت المشاهدة زهاء خمسة أشهر، أحصى المشاهدون المدربون خلالها 146 خلافا بين الأطفال، وكشفت المقارنات بين أنماط الخلاف في حالتي الصداقة المتبادلة والعلاقات المحايدة عن نتيجتين رئيسيتين هما:

إن الخلافات التي تقع بين الأصدقاء تشبه الخلافات بين غير الأصدقاء، من حيث: طبيعة المواقف التي تستثير الخلاف، وطول زمن الخلاف ومعدلات تكراره.

- تتصف الخلافات في حالة الصداقة المتبادلة بأنها أقل شدة، وتنفض في معظم الحالات بالانسحاب من الموقف، محدثة عواقب متساوية أو شبه متساوية لطرفي العلاقة، ويترتب على هذا الانسحاب المصحوب بالعواقب المتساوية تزايد احتمالات عودة العلاقة الاجتماعية بعد انتهاء الخلاف. أما الخلافات في حالة الصداقة من طرف واحد، فهي تماثل الخلافات التي تقع في حالات العلاقات المحايدة رغم أنها تشبه نظائرها بين الأصدقاء في خاصية المصالحة السريعة، واستئناف التفاعل عقب الخلاف.

رابعا: أساليب حل الخلاف بين الأصدقاء

من الملاحظ أن كل البحوث التي اهتمت بأساليب حل الخلافات الاجتماعية قد تأثرت بدرجة أو بأخرى بالبرنامج البحثي الذي قدمه سبيفاك Spivack وشور Shorr خلال السبعينات من هذا القرن، والذي تركز بصفة خاصة على كفاءة حل المشكلات بين الأشخاص interpersonal problem solving، وصلتها الوثيقة بالكفاءة الاجتماعية والصحة النفسية (231, 238) خاصة بعد أن أبرزت بحوثهما علاقة مهارات حل المشكلات الاجتماعية بالتوافق الاجتماعي للأطفال [232].

ونكتفي هنا بالإشارة إلى دراستين أمريكيتين تناولتا التغيرات الارتقائية في مهارات حل المشكلات الاجتماعية مع الأقران عبر مرحلتي الطفولة

والمراهقة، وقد بينا-من قبل-أن عنايتنا بهذا الجانب تستند إلى تصور مؤداه أن مهارة حل الخلافات الاجتماعية مع الزملاء عامة ومع الأصدقاء خاصة من أهم الأسس التي تكفل إقامة علاقات اجتماعية مستقرة، إذ تحمي الصداقة من التقطع أو الانهيار كلية.

1- دراسة ريزمان وشور عن مهارات حل المشكلات الاجتماعية:

استهدفت دراسة ريزمان Reisman وشور Shorr بحث التغيرات الارتقائية في مهارات التخاطب المتصلة بحل المشكلات الاجتماعية على عينة بلغت 330 مبحوثا (نصفهم من الذكور)، ومن بينهم أطفال (في الصفوف الدراسية الابتدائية من الثاني وحتى الثامن)، ومراهقون (في المدى العمري من 15-18 سنة)، وراشدون (تراوحت أعمارهم من 25- 65 سنة). وطلب من كل مبحوث أن يتخيل صديقا عزيزا يأتيه ليستشيره في مشكلة شخصية تخصه، وقد تعلقت تلك المشكلة بموضوعات متصلة بالمدرسة بالنسبة للأطفال والمراهقين، وقدمت نفس المشكلة وبنفس أبعادها للراشدين مع تحويرها لتدور حول العمل والرؤساء. وطلب من المبحوث أن يستجيب لعشر عبارات تصدر عن الصديق وهو يعرض مشكلته من بينها «أنا لا أحب مدرستي (أو عملي)»، «أستاذي أو رئيسي (في العمل) لا يحبني»، وتم تسجيل إجابات المبحوثين، ثم صنفت وفق نظام خاص للترميز يتضمن تسع فئات وحسبت النسبة المئوية لتكراراتها في كل مستوى من المستويات العمرية، وأظهرت المقارنة بين المراحل العمرية نتائج طريفة من بينها:

- هناك فئات تزيد باطراد مع العمر في الاستجابة للمشكلات التي يعاني منها الصديق مثل الاستفهام، وذلك بتوجيه أسئلة طلبا لمزيد من المعلومات، والتقويم، وهو يشير إلى التعليقات الإيجابية أو السلبية على الأفكار أو الحلول أو الأشخاص.

- تظهر بعض الفئات انخفاضا عبر المراحل العمرية مثل الاستجابات غير المتصلة بالمشكلة، والإفصاح عن الذات، ويعلل الباحثان هذا الانخفاض من خلال القدرة المتزايدة عبر العمر على التركيز على المشكلة وتجنب الإفصاح غير الملائم عن الخبرات الشخصية غير المتصلة مباشرة بموضوع المشكلة.

هناك فئات مستقرة عبر المراحل العمرية وتتسم بقدر مرتفع من الشيوع وتقترب من نصف العدد الإجمالي للاستجابات تشمل الشرح exposition والاقتراح وتتضمن تقديم النصائح والآراء التي يبرز المبحوث من خلالها خبرته أمام الصديق.

- هناك فئات لا تكشف عن فروق ارتقائية عبر المراحل العمرية إضافة إلى ضالة شيوعها ومنها التفسير interpretation والاندماج لempathy (أي القدرة على فهم أفكار ومشاعر الشخص الآخر والتعبير اللفظي عن هذا الفهم) [218].

2- دراسة مارش عن ارتقاء مهارات حل المشكلات الاجتماعية:

استهدفت دراسة مارش Marsh الكشف عن التغيرات الارتقائية في مهارات حل المشكلات بين الأشخاص لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، وتوزعت عينة الدراسة في أربعة مستويات عمرية، وتألفت عينة كل مستوى من أعداد محدودة من الذكور والإناث كانت حسب ترتيب المستويات العمرية: 20، 17، 23، 21 تلميذا وتلميذة، وبلغت متوسطات الأعمار في كل مستوى (بالتقريب): 6، 8، 10، 12 سنة. وقدم لكل طفل اختبار يقيس القدرة على حل المشكلات الاجتماعية، حيث ذكر الباحث وصفا مختصرا لمشكلتين اجتماعيتين، مع الاستعانة بالصور لمزيد من الإيضاح، وطرحت على الطفل أسئلة تقيس أربع قدرات عامة وهي:

1- القدرة على تحديد المشكلة problem definition من خلال عدد العناصر التي يضعها الطفل في اعتباره وهو يفكر في الحل.

2- القدرة على التفكير في البدائل alternative thinking.

3- القدرة على التفكير في المترتبات أو العواقب consequences الناتجة عن الحلول المقترحة.

4- كفاءة الحل solution adequacy وهي درجة تستخلص من تحليل إجابة الطفل عن سؤال يتعلق بأفضل حل للمشكلة من وجهة نظره.

وأوضحت المقارنات بين المستويات العمرية عددا من الفروق الارتقائية، نجملها في أن الأطفال الأكبر عمرا أظهروا أداء أفضل على الأسئلة الخاصة بالقدرات العامة الأربع مقارنين بمن هم دونهم في العمر. وأسهمت المقارنات

إضافة إلى هذا في تجلية بعض الملامح الارتقائية الدقيقة، إذ تبين أن القدرة على تحديد العناصر المتصلة بالمشكلة تظهر تغيرا مبكرا يبرز بين تلاميذ المجموعة العمرية الثالثة (بمتوسط عمري 10 سنوات) أما القدرات الثلاث الأخرى فتنمو نموا ملحوظا لدى تلاميذ المستوى العمري الرابع (وتقرب أعمارهم من 12 سنة). مما يعكس أهمية التحول الارتقائي السابق والمتصل بتعريف المشكلة في بروز قدرات التفكير في الحلول البديلة وإدراك مترتباتها والتوصل إلى حلول تتسم بالكفاءة [198].

خامسا: الدراسات السوسيومترية لخصائص الصداقة

قدم Moreno أسلوب القياس السوسيومتري Sociometric measurement عام 1934 وكان أول من استخدمه في قياس التقبل الاجتماعي بين جماعات الأقران، وقد استخدم منذ ذلك الحين في دراسة العديد من الظواهر الاجتماعية والنفسية في مقدمتها الصداقة، والتجاذب بين الأشخاص والقوة الاجتماعية social power والتغير الاجتماعي social change، وكان لهذا الأسلوب وقع متميز في بحوث الصداقة بين الأطفال في البيئة المدرسية بوجه خاص حيث يتجمع الأطفال في جماعات مستقرة مما ييسر إجراءات القياس[201].

ويمكن تقسيم الدراسات التي تناولت خصائص الصداقة من المنظور السوسيومتري إلى فئتين رئيسيتين: تشمل الفئة الأولى الدراسات التي اهتمت بوصف بعض المؤشرات السوسيومترية، والكشف عن ملامح تغيرها أو استقرارها عبر فترات زمنية متتابعة، ومن أمثلتها الدراسات التي تقارن بين جماعات الأطفال والمراهقين على أساس حجم شبكة الأصدقاء أو نسب الصداقات المتبادلة، ومنها أيضا الدراسات الخاصة بالفروق بين الجنسين في عدد من الخصائص في مقدمتها تفضيل الارتباط بأعداد محدودة أو كبيرة من الأصدقاء، ودرجة استقرار علاقة الصداقة، وفترات دوامها بين الصديقين. أما الفئة الثانية فهي الدراسات التي تبحث علاقة بعض المؤشرات السوسيومترية مثل عدد الأصدقاء، أو الشعبية، أو الصداقات المتبادلة ببعض سمات الشخصية، أو مظاهر التفاعل الاجتماعي، وهي دراسات يستهدف بعضها تحديد المتغيرات التي يمكن من خلالها

التنبؤ بالشعبية والتقبل بين الأقران، ويندرج تحتها أيضا الدراسات التي تناولت الفروق في سلوك الأطفال والمراهقين المقبولين وغير المقبولين اجتماعيا، وتقوم النوعية الأخيرة من الدراسات على تصور فحواه: «إنه بالضد تتميز الأشياء»، إذ تعكس الأضواء المسلطة على السلوك غير المرغوب فيه دلالات ثرية وثيقة الصلة بالسلوك الاجتماعي الكفء.

وإزاء ضخامة تراث الدراسات السوسيومترية نكتفي هنا بتقديم نماذج ممثلة لهاتين الفئتين:

1- دراسة هوروكس وتومسون عن تقلبات الصداقة لدى الأطفال والمراهقين:

أجرى هوروكس Harocks وتومسون Thomson بحثهما عام 1946 بهدف الكشف عن تقلبات الصداقة لدى الأطفال والمراهقين، وتكونت عينة البحث من 421 ذكرا و 484 أنثى في إحدى الضواحي الريفية الأمريكية، وتراوحت أعمارهم ما بين 10- 17 سنة. وطلب من كل مبحوث كتابة أسماء أفضل ثلاثة أصدقاء لديه، وأعيد عليهم نفس السؤال بعد أسبوعين، بعد أن أعطاهم الباحثان الحرية في تغيير الأسماء في المرة الثانية عما ذكروه في المرة الأولى.

وكشفت النتائج أن الصداقة تزداد استقرارا بتقدم العمر الزمني، حيث بلغت أقصى درجات الثبات في سن 17 سنة، سواء بالنسبة للمراهقين أو المراهقات. وأجرى الباحثان دراسة مشابهة على عينة من الأطفال والمراهقين، بلغ قوامها 969 تلميذا وتلميذة من أبناء المدن، تتراوح أعمارهم ما بين 11- 18 سنة، وتوصلا إلى نتائج مؤيدة لنتائج بحثهما الأول (انظر 24: ص ص 243- 244).

2- دراسة كلارك ودروري عن المتغيرات المنبئة بالصداقات المتبادلة:

أجري بحث كلارك clark ودروري Drewery على عينة إجمالية قوامها 64 تلميذا أمريكيا من الجنسين منهم 34 تلميذا في الصف الثالث الابتدائي (تتراوح أعمارهم ما بين 8- 11 سنة)، و30 تلميذا في الصف السادس من

نفس المرحلة (في المدى العمري من 11-14 سنة)، وروعي التكافؤ بين أعداد الذكور والإناث في كل صف. وطبق عليهم عدد من المقاييس السوسيومترية لتقدير الصداقات المتبادلة وغير المتبادلة في كل صف دراسي، إضافة إلى مجموعة من الاستخبارات النفسية تقيس الجوانب الآتية: مستوى الذكاء، ومفهوم الذات، والجاذبية البدنية واحتمالات النجاح في المستقبل (كما يقدرها الزملاء)، وتقدير الزملاء لاستمتاعهم برفقة التلميذ، ودرجة العناية بالنظافة الشخصية وأناقة الملبس، وأخيرا المستوى الاجتماعي والاقتصادي مقدرا على أساس مهنة الأب.

وأسفرت النتائج عن وجود قدر أكبر من التماثل بين الأصدقاء في الصف الثالث في متغيرات النظافة، ومفهوم الذات الشخصي مقارنين بالأصدقاء في الصف السادس، وفي المقابل أظهر أصدقاء الصف السادس قدرا أكبر من التماثل في متغيري مفهوم الذات الاجتماعي، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي.

كما أجرى الباحثان أسلوب تحليل الانحدار المتعدد لاستجلاء قدرة المتغيرات النفسية والاجتماعية على التنبؤ بالتبادل، واستخلص منه أن المتغيرات التي أثبتت فاعليتها في هذا الصدد تأتي حسب قدرتها على التنبؤ بالصداقات المتبادلة على النحو التالي: الشعبية، مفهوم الذات الشخصي، أناقة الملبس، استمتاع الزملاء برفقة التلميذ، الجاذبية البدنية، النظافة الشخصية، وتقدير الزملاء لاحتمالات نجاح التلميذ في المستقبل.

وقد استخلص كلارك ودروري من نتائجهما أن التماثل أحد محددات التجاذب القوية، وأن التلاميذ الذين لا يتمتعون بصداقات متبادلة أقل دقة في اختيار الأصدقاء، إذ يميلون إلى اختيار أصدقاء أكثر شعبية بدلا من اختيار أصدقاء يماثلونهم في المركز الاجتماعي، ويبرر الباحثان هذا التوجه بأنه محاولة من أولئك التلاميذ لتقوية مراكزهم الاجتماعية، فيبدو أن العلاقة المدركة مع زميل مرتفع المكانة تشعر الشخص الأقل مكانة بالتقبل الاجتماعي[90]

3- دراسة لاد عن الفروق بين الأطفال المقبولين والمرفوضين اجتماعيا:

أجرى بحث لاد Ladd بهدف المقارنة بين الأطفال المقبولين accepted والمرفوضين rejected من أقرانهم على أساس بعض خصائص التفاعل

الاجتماعي، وشملت عينة البحث 48 تلميذا وتلميذة اختيروا من مدرسة ابتدائية تقع في منطقة شبه ريفية في الولايات المتحدة الأمريكية، واعتمد الباحث على المشاهدة الطبيعية لسلوك الأطفال أثناء لعبهم بعد أن طبق عليهم اختبارا سوسيومتريا، صنفوا على أساسه حسب مراكزهم السوسيومترية بين زملائهم إلى ثلاث فئات وهي: مرتفعو الشعبية، متوسطو الشعبية، مرفوضون من الزملاء، وتم تمثيل كل فئة بعينة من ثمانية تلاميذ وثماني تلميذات. وقام بالمشاهدة باحث «مدرب» معتمدا على دليل يسجل من خلاله مشاهداته عن جانبين في سلوك كل طفل وهما الجانب التفاعلي (ويشمل التخاطب، واللعب التعاوني والجدال، والعنف البدني)، والجانب غير التفاعلي (ويتضمن عدم الانشغال بشيء محدد، ومشاهدة الآخرين، وهم يلعبون، واللعب منفردا، واللعب المتوازي دون تفاعل مباشر مع الزملاء).

وقد أظهرت النتائج أن الأطفال المرفوضين من أقرانهم قضوا وقتا أقصر في نشاطات التفاعل الإيجابي (مثل اللعب التعاوني والتخاطب الاجتماعي)، ووقتا أطول في نشاطات التفاعل السلبي (الجدال والعنف البدني) وأيضا في فترات عدم الانشغال بنشاط ما مقارنين بالأطفال مرتفعي ومتوسطي الشعبية. وفيما يتعلق بحجم وطبيعة شبكة التفاعل الاجتماعي، تبين أن تفاعلات الأطفال المرفوضين غالبا ما تتم في سياق جماعات أصغر، ومع رفاق إما أصغر عمرا أو ذوي شعبية محدودة، أما الأطفال مرتفعو ومتوسطو الشعبية فقد اتسمت شبكاتهم الاجتماعية بأنها أكثر تماسكا وحفلت بالعديد من الصداقات المتبادلة [176].

سادسا: علاقة خصائص الصداقة بالظروف الاجتماعية والأسرية

تتسم دراسات هذا المجال بندرة ملحوظة، وقد تناولت في الأساس علاقة أبعاد الصداقة ببعض المتغيرات الأسرية ومنها على سبيل المثال: ديناميات التفاعل بين أفراد الأسرة، وتأثير الخلافات الأسرية، والطلاق أو الانفصال بين الوالدين، وغياب أحد الوالدين سواء بسبب الوفاة أو الانفصال، وعمل الأم، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، وسمات شخصية الوالدين، وترتيب الميلاد، وعدد الاخوة.

وفيما يتعلق بديناميات التفاعل بين الطفل وأفراد أسرته كشفت بحوث

سروف Sroufe وزملائه أن شعور الطفل بالاطمئنان في علاقته بأمه خلال سنوات الرضاعة له تأثير واضح في تمكين الطفل من التفاعل الكفء مع أقرانه بعد انقضاء فترة الحضانة بسنوات طويلة (154: ص 267)، وقد توصل هوبزHops وفينش Finch في هذا الصدد إلى أن مقدار السلوك الصادر من الأم نحو طفلها يعد من أفضل المتغيرات المنبئة بالكفاءة الاجتماعية social competence للطفل، كما توصلا إلى أن عدد الاخوة يرتبط ارتباطا سالبا ودالا إحصائيا بكل من الكفاءة الاجتماعية، ومعدل الاهتمام الذي يحصل عليه الطفل من والديه (المرجع السابق).

وعن فقدان أحد الوالدين يشير بحث ماكورد McCord وزملائه عام 1962 إلى أنه على عكس ما يمكن أن نتوقعه لا يشيع الانحراف delinquency بين أبناء الأسر التي تفقد عائلها بسبب الوفاة، وإنما يرتبط الانحراف ارتباطا أقوى بالخلافات والصراعات الأسرية (93: ص 415).

ويذكر دوفان نتائج مشابهة مشيرا إلى أن فقدان أحد الوالدين قد يدفع الطفل إلى تكوين علاقات مستقرة خارج الأسرة تعوضه عما فقده من حنان أسري، أما الصراعات الأسرية فتشعره بفقدان الأمان مما يعوقه عن تكوين علاقات طبيعية مع أقرانه (110: ص 67)، وقد توصل دوفان Douvan وأديلسون Adelson من بحثهما عن صداقات المراهقين إلى أن من عواقب الطلاق التي تمس توافق المراهقين الذكور: انخفاض القدرة على الضبط الذاتي، والميل إلى ارتكاب تصرفات مخالفة للقواعد الاجتماعية (93: ص416).

وفي سياق الاهتمام بالمتغيرات الأسرية تعد دراسة جودو بالدي Guidubaldi وبيري Perry من ابرز الدراسات التي تناولت تأثير الطلاق، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي في الكفاءة المعرفية والاجتماعية لدى الأطفال وتمثل هدف البحث في تحديد قدرة عدد من المتغيرات الاجتماعية على التنبؤ بالكفاءة المعرفية والأكاديمية والاجتماعية، ومن بين المتغيرات الاجتماعية التي شملها البحث كمتغيرات منبئة: جنس الطفل، وحجم الأسرة، وترتيب الميلاد، وعمل الأم، والصحة الجسمية، والتاريخ الارتقائي للطفل، بالإضافة إلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، وافتقاد أحد الوالدين بسبب الطلاق.

وقد تكونت عينة الدراسة من 115 طفلا من المتقدمين للصف الأول الابتدائي في إحدى الولايات الأمريكية، وجاءت النتائج في الاتجاه المتوقع حيث أمكن التنبؤ بكفاءة الطفل من خلال مؤشرات المستوى الاجتماعي والاقتصادي، وهي مهنة الأب وتعليمه، ومستوى تعليم الأم، حيث ارتبط المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة ارتباطا إيجابيا بالكفاءة العقلية والمدرسية والاجتماعية للأطفال، وبخلاف متغير المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة كان الطلاق-مقارنا بالمتغيرات الاجتماعية الأخرى- من. أكثر المتغيرات قدرة على التنبؤ بالكفاءة المدرسية والاجتماعية للأطفال، وإن لم يرتبط بمقاييس القدرة العقلية، أما متغيرات عمل الأم، وحجم الأسرة، وترتيب الميلاد، والوزن عند الولادة، والتاريخ الارتقائي المبكر، فقد ارتبطت ارتباطا أقل بمتغيرات الكفاءة المختلفة [138].

وبالإضافة إلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، درس باحثون آخرون العلاقة بين مهارات الوالدين ومهارات الأبناء، ومنهم الأمريكي كرانتز Krantiz الذي أجرى بحثا مع زميليه «وب» Webb و«أندروز» Andrews، حاولوا من خلاله اختبار فرض يذهب إلى أن إقدام الوالدين على التفاعل الاجتماعي مع الأصدقاء وغيرهم يمثل مصدرا ثريا، ييسر التعلم بالمشاهدة لدى الأبناء، مما يساعدهم على اكتساب المهارات الاجتماعية الأساسية، وتكونت عينة الدراسة من 20 طفلا و 22 طفلة بلغ متوسط أعمارهم 5 سنوات و5 شهور، وشملت عينة الراشدين 42 أما و 29 والدا وافقوا على الاشتراك في الدراسة. وقيست المهارات الاجتماعية للأبناء بعدة أساليب من بينها تقديرات شعبية الطفل بين أقرانه، ثم مقابلة استهدفت تقدير حساسيته للمواقف الاجتماعية، مع مشاهدة الطفل أثناء اللعب الحر مع أقرانه لتقدير ميله إلى السلوك الغيري في تفاعلاته الاجتماعية، كما طلب من مدرس الفصل تقدير بعض المهارات الاجتماعية النوعية لكل طفل. أما الكفاءة الاجتماعية للوالدين فتم تقديرها بأسلوبين وهما: تقدير كل من الأب، والأم لعدد اللقاءات مع الأصدقاء خلال أسبوعين ماضيين مع تقدير درجة الرضا الناشئ عن كل لقاء منها، ثم حسب متوسط درجة الرضا عن اللقاءات مع الأصدقاء. أما الأسلوب الثاني، فاعتمد على تقدير كل من الوالدين لعدد مرات المشاركة في نشاطات اجتماعية خلال شهر قبل تاريخ المقابلة، وبنفس

الطريقة حسب متوسط درجة الرضا عن المشاركة في تلك ا لنشاطات[173].

وقد أظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية دالة إحصائيا بين رضا الأب عن لقاءاته مع أصدقائه والمهارة الاجتماعية للطفل سواء قدرت من خلال المؤشرات السوسيومترية أو السلوك الغيري أو تقديرات المدرسين. كما وضح إمكان الاعتماد على متغير رضا الأم عن المشاركة في نشاطات اجتماعية في التنبؤ بالكفاءة الاجتماعية لطفلها.

تعقيب على ما تم عرضه من دراسات:

لعل القارئ الكريم قد استشف القيمة النظرية والتطبيقية التي تبشر بها بحوث الصداقة، إلا أنه رغم خصوبة وثراء هذا المجال، فلا تزال هناك أسئلة كثيرة لم يجب عنها بعد، ولا يزال هناك العديد من أوجه القصور أو النقص تستلزم الالتفات إليها ومحاولة تداركها في البحوث التالية. وعلى هذا يمكن القول إن هناك مبررين يدفعان إلى مواصلة البحث في هذا الموضوع على النطاق العالمي بصفة عامة وفي إطار المجتمع العربي بصفة خاصة، وهما:

المبرر الأول: الحاجة إلى دراسات تغطي أوجه النقص في المجال وتجيب عن أسئلة أساسية ذات أهمية أكاديمية وتطبيقية:

ومن بين أوجه النقص البارزة التي تستوجب مزيدا من الاهتمام:

1- افتقاد التعريف الواضح للصداقة، نظرا لتعدد معانيها وتباين مستوياتها عن المقابلات العارضة وحتى العلاقات الشخصية الحميمة، ونتج عن ذلك عقبات عديدة حالت دون القياس الدقيق لجوانب الصداقة، مما يحد من إمكان المقارنة بين نتائج الدراسات نظرا لاعتمادها على تعريفات مختلفة، وتفرض تلك المشكلة تعريف الصداقة وتحديد أبعادها، وتصميم مقاييس جيدة لبعض أبعادها بعد تعريفها تعريفا إجرائيا (107: ص 122).

2- الحاجة إلى إجراء دراسات حول تصور الأشخاص لوظائف الصداقة وتقدير مشاعرهم نحوها، حيث كشفت البحوث الواقعية عن تباين آثار الصداقة، فبينما يشير أغلبها إلى آثار إيجابية للصداقة (انظر: 101)، أوضح بعضها وجود آثار سلبية في بعض الظروف (انظر: 156)، مما يفرض البحث في المتغيرات الوسيطة، أو المعدلة لتأثير الصداقة.

3- ندرة الدراسات الواقعية العربية والمصرية التي تركز على محددات التجاذب في صداقات الأطفال والمراهقين، حيث أجرى سويف الدراسة المصرية الوحيدة-في حدود علمنا-منذ فترة زمنية طويلة، واستهدفت دراسة المتغيرات التي تتدخل في اختيار المراهقين والراشدين لأصدقائهم، غير أن حدود تعميم نتائج هذا البحث تنحصر في نطاق أفراد الطبقة المتوسطة (24: ص 249).

4- هناك حاجة ملموسة إلى دراسة مهارات بدء علاقة الصداقة، نظرا لتركيز معظم الدراسات السابقة على محددات التجاذب بين الأشخاص، مما أدى إلى إغفال مهارات بدء الصداقة ومواصلتها، والتي تؤدي دورها في إطار التجاذب لإرساء علاقات شخصية تتمتع بحظ أوفر من الدوام والاستقرار(115: ص ص 43-44).

5- ندرة الدراسات التي تناولت تحليل مصادر الخلاف بين الأصدقاء في مرحلتي الطفولة والمراهقة في المجتمع المصري، إضافة إلى ندرة البحوث التي اهتمت بأساليب حل الخلاف على المستويين العالمي والمحلي.

6- تعارض نتائج الدراسات التي استهدفت تحديد المتغيرات التي يمكن من خلالها التنبؤ بالشعبية بين الزملاء (93: ص ص 419- 422). مما يفرض إجراء دراسة عربية تضع ضمن أهدافها الكشف عن أنماط الاختيارات السوسيومترية بين التلاميذ، ومظاهر تغيرها عبر المراحل الارتقائية، والوقوف على المتغيرات التي يمكن من خلالها التنبؤ بالمحبة والتقبل الاجتماعي من جانب الزملاء.

7- الحاجة إلى تكثيف الاهتمام بعلاقة بعض الظروف الأسرية بوجه خاص بأهم أبعاد الصداقة لدى الأطفال والمراهقين حيث لم تحظ تلك المتغيرات إلا بعناية ثانوية في إطار البحوث السابقة (المرجع السابق ص[415]).

المبرر الثاني: وجود عدد من أوجه القصور تكتنف الدراسات السابقة في المجال:

وقعت بعض الدراسات السابقة في عدة أخطاء منهجية ينبغي الالتفات إليها والحد منها في البحوث التالية، وتتمثل أهم أوجه القصور في الجوانب الآتية:

1- أجريت معظم الدراسات على عينات محدودة، مما يثير التشكك في

إمكان تعميم نتائجها، فعلى سبيل المثال أجرى لاد بحثه على عينة من ثمانية تلاميذ في كل فئة من فئات المكانة الاجتماعية (176) كما تم تمثيل كل صف دراسي بعينة من ستة تلاميذ وست تلميذات في بحث آخر (انظر:211).

2- أجريت معظم الدراسات الارتقائية لأبعاد الصداقة في نطاق عمري ضيق مع التركيز على بعد واحد من أبعاد الصداقة، ولذا فهي تفتقر إلى العمومية ولا تمكننا من فهم العلاقات المتبادلة بين أبعاد الصداقة ورصد التغيرات الارتقائية في اتجاه وحجم هذه العلاقات المتبادلة من مرحلة عمرية إلى أخرى (أنظر 129).

3- اتجهت بعض الدراسات الارتقائية إلى استخدام مقاييس مختلفة لبعد الصداقة موضع الاعتبار عبر مختلف المراحل العمرية، مما يضعف فرص المقارنة بين المراحل الارتقائية نظرا لعدم توحيد وحدة القياس والمقارنة، ويبدو هذا الخطأ في بحث أيرفين والذي لم يلتزم بتطبيق المقاييس نفسها عند تقديره لمكونات شخصية التلاميذ في المرحلة الابتدائية من الصفين الأول والثالث (123).

4- اعتمدت بعض الدراسات، إما على مقاييس ذات ثبات وصدق غير مرضيين، أو على المقاييس السوسيومترية بمفردها، وهي رغم ثباتها وصدقها، فإن هناك بعض الصعوبات التي تحد من قيمتها التطبيقية (182).

وفي ضوء هذا التصور النقدي للبحوث السابقة في موضوع الصداقة برزت الحاجة إلى إجراء دراسة ارتقائية تتناول الأبعاد الأساسية للصداقة في الثقافة المصرية، نحاول من خلالها استكمال بعض أوجه النقص، وتلافي العيوب المنهجية التي اكتنفت البحوث السابقة على قدر الإمكان.

8 الأبعاد الأساسية للصداقة: دراسة ميدانية في الثقافة المصرية

أولا: الأهداف الرئيسية للدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى استكشاف أهم أبعاد علاقة الصداقة بين الذكور، والوقوف على درجة التغير والثبات في هذه الأبعاد عبر مراحل عمرية مختلفة لدى عينات من تلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية.

ويقع موضوع الدراسة على الحدود بين مجالي علم النفس الاجتماعي، والذي يعنى في المقام الأول بالدراسة العلمية لسلوك الفرد في علاقته بالتنبيهات أو المواقف الاجتماعية (35: ص 69)، وعلم النفس الارتقائي وموضوعه الرئيسي هو دراسة التغيرات في السلوك عبر مختلف المراحل العمرية (34: ص 51, 249: ص 15).

وتسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف الرئيسية التالية:

1- طرح إطار نظري يمكن من خلاله تعريف الصداقة وتحديد أهم أبعادها الأساسية وفق دلالتها في الارتقاء الاجتماعي للأطفال والمراهقين،

ثم إعداد المقاييس الملائمة لهذه الأبعاد بعد تعريفها التعريف الإجرائي المناسب.

2- دراسة مظاهر ارتقاء بعض الأبعاد الأساسية للصداقة عبر ثلاث مراحل عمرية، وهي: الطفولة المتأخرة، والمراهقة المبكرة، والمراهقة المتأخرة، بهدف الكشف عن طبيعة البناء العاملي الذي تنتظم حوله تلك الأبعاد، وإبراز التغيرات الارتقائية المهمة التي تطرأ عليه من مرحلة عمرية إلى أخرى.

3- بحث الفروق الارتقائية في بعض الظروف الاجتماعية المتصلة بالصداقة، وهي:

أ- الظروف التي تيسر عقد الصداقة بين التلاميذ.

ب- طبيعة المجال الذي يختار منه التلميذ أقرب أصدقائه إليه.

جـ- نوعية النشاطات التي يشغل بها الصديق وقته مع صديقه.

د- أكثر أفراد الأسرة تدخلا في اختيار أصدقاء التلميذ.

4- الكشف عن الخصائص السوسيومترية للصداقة بين التلاميذ عبر المراحل الارتقائية، حيث تهدف الدراسة إلى الكشف عن الفروق العمرية في ثلاثة متغيرات سوسيومترية وهي:

أ- حجم شبكة العلاقات الاجتماعية مع الزملاء (كما تتحدد من خلال عدد زملاء الفصل الذين يختارهم التلميذ كأصدقاء مقربين له).

ب- عدد الصداقات المتبادلة مع زملاء الفصل.

جـ- درجة الشعبية بين الزملاء كما تتحدد من خلال عدد الزملاء الذين يختارون التلميذ كصديق مقرب لهم.

5- دراسة علاقة بعض جوانب الصداقة موضع الاعتبار بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، وذلك في محاولة للكشف عن الفروق في خصائص العلاقات الاجتماعية للتلاميذ الذين ينتمون إلى مستويات اقتصادية واجتماعية منخفضة أو متوسطة أو مرتفعة فيما يتعلق بالجوانب التالية:

أ- بعض الأبعاد الأساسية للصداقة التي سنخضعها للدراسة، والتي سنشرحها بالتفصيل في سياق وصف المقاييس التي اعتمدت عليها الدراسة.

ب- درجة تدخل الأسرة في اختيار أصدقاء التلميذ.

جـ- المتغيرات السوسيومترية التي تعنى بها الدراسة الحالية (وهي: عدد الأصدقاء المقربين، وعدد الصداقات المتبادلة، والشعبية بين الزملاء).

ثانيا- المنهج والإجراءات:

1 - إعداد مقاييس الصداقة:

أ- أهم الاعتبارات التي حاولنا مراعاتها عند تصميم مقاييس الصداقة:

تمثلت الخطوة الأولى في سبيل تحقيق الأهداف الرئيسية للدراسة في محاولة إعداد أداة ملائمة لقياس أبعاد الصداقة الأساسية لدى التلاميذ تعبر عن طبيعة الثقافة المصرية، وتستقي بنودها منها، وقد وضعنا في اعتبارنا النقاط التالية قبل أن نشرع في تصميم تلك الأداة:

1- تشمل الأداة عددا من المتغيرات والأبعاد الرئيسية للصداقة وفقا لتصور نظري يتناول الصداقة باعتبارها علاقة تفاعل دينامي متغير عبر الزمن يبدأ باللقاء والتجاذب ثم التعارف وتكوين علاقة سطحية إلى أعمق وأخص مستويات التفاعل الاجتماعي المميز لعلاقات الصداقة الشخصية الحميمة.

2- أن تكون صالحة للتطبيق على التلاميذ في المراحل الارتقائية الثلاث التي تعنى بها الدراسة الحالية وهي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمراهقة المتأخرة بهدف توحيد وحدة القياس وتيسير عقد المقارنات بين الذكور فيما يتصل بخصائص ارتقاء الصداقة عبر المراحل العمرية المتتابعة.

3- أن يتناسب مضمونها مع طبيعة أنماط الصداقة التي يمكن أن تنعقد بين شخصين في سياق البيئة المحلية المصرية، ولهذا فضلنا القيام بتصميم أدوات جديدة لأبعاد الصداقة بدلا من الاعتماد على المقاييس الأجنبية.

ب- أهم المصادر التي أفادتنا في تحديد أبعاد الصداقة التي تعنى بها الدراسة الحالية:

وقع اختيارنا على أبعاد الصداقة المتضمنة في تلك الدراسة بعد أن

راجعنا عددا من المصادر الأساسية، من أهمها:

1- كتب الصداقة في التراث الأدبي العربي: وقد استعرضنا في الفصل الأول بعض المضامين التي حوتها تلك الكتب عن خصائص الصداقة وخصال الأصدقاء. وقد أمدتنا بمادة قيمة عن بعض الأبعاد الجديرة بالبحث من بينها وظيفة الصداقة والأسس التي تقوم عليها، والخصال التي ينبغي أن يتصف بها الصديق وواجبات الصديق على صديقه وآداب التعامل مع ا لأصدقاء.

2- الدراسات المصرية التي تناولت موضوع الصداقة: أفدنا من الدراسة المصرية التي أجراها سويف عن خصائص صداقات المراهقين والراشدين[24] في تصور بعض أبعاد ومتغيرات الصداقة الجديرة بالبحث. ومن بينها أسس التجاذب الاجتماعي عبر مرحلتي الطفولة والمراهقة، وطبيعة الظروف التي تيسر عقد تلك الصداقات، والنشاطات التي تمارسها جماعات الأصدقاء، وخصائص التفاعل الاجتماعي المميزة لتلك الجماعات.

3- الدراسات الأجنبية التي اهتمت بعلاقة الصداقة: عرضنا في الفصول السابقة أهم تلك الدراسات ونكتفي هنا بالإشارة إلى الدراسات التي أفاد منها الباحث في تصميم مقاييس الصداقة. ومنها بحوث لاجيبا (177، 178) عن ارتقاء تصورات الأطفال والمراهقين حول الصداقة وما يتوقعونه من الصديق. بالإضافة إلى عدد من المقالات التي اهتمت بالنظريات الخاصة بارتقاء الصداقة في مرحلتي الطفولة والمراهقة (110، 120). كما أفدنا أيضا من بعض المقالات التي تناولت أصول الدراسة العلمية للعلاقات بين الأشخاص (أنظر 128).

جـ- تحديد أبعاد الصداقة الأساسية التي تشملها الدراسة:

في ضوء تصورنا لعلاقة الصداقة بوصفها علاقة متدرجة ومتعددة المراحل والزوايا أمكننا تحديد ستة أبعاد أساسية لتكون موضوعا للدراسة الحالية، ويلاحظ أنها تغطي علاقة الصداقة بدءا من الاقتناع بأهمية الصداقة ثم التجاذب بين الشخصين أو أكثر وصولا إلى أقص درجات العمق والخصوصية وذلك على النحو الآتي:

1- وظيفة الصداقة في الحياة الشخصية والاجتماعية: يتعلق بتصور

التلاميذ لأهمية الصداقة بالنسبة لهم وحاجاتهم إليها والمبررات التي يفسرون بها تلك الحاجة.

2- الخصال المرغوب فيها في الصديق: ويختص بالمتغيرات التي تحدد درجة التجاذب بين التلاميذ، ويعنى هذا البعد بتصورات التلاميذ للخصال التي إذا توافرت في أحد الزملاء فإنها تجذبهم إليه وترغبهم في عقد صداقة معه.

3- مهارات بدء الصداقة: يتناول هذا البعد تصور التلاميذ للتصرفات الملائمة لبدء صداقة مع أحد الزملاء الذين يشعرون بالجاذبية نحوه نظرا لتوافر الخصال المرغوب فيها فيه.

4- طبيعة الخلافات بين الأصدقاء: بعد أن تتكون علاقة صداقة يشترك الصديقان في ضروب من التفاعل الاجتماعي بعضها مدعم وميسر لاستمرار الصداقة، والبعض الآخر سلبي ومعوق لتلك العلاقة، ولذا يختص هذا البعد بتصورات التلاميذ حول التصرفات التي إذا صدرت عن أصدقائهم المقربين فإنها تسبب قدرا من الضيق يهدد استقرار الصداقة أو يعجل بنهايتها.

5- أساليب حل الخلافات مع الأصدقاء: يختص هذا البعد ببحث تصورات التلاميذ حول الأساليب التي يوافقون على القيام بها لحل خلاف وقع بينهم وبين أحد أصدقائهم المقربين لحماية الصداقة من التهديد وحفظ استقرارها والاتجاه بها نحو مزيد من التعمق والخصوصية.

6- الإفصاح عن الأسرار للصديق المقرب: إذا قدر لعلاقة الصداقة أن تستقر وتعمق يصبح الصديقان أكثر استعدادا للإفصاح عن خبرات ومشاعر شخصية لا يمكن الكشف عنها إلا للصديق المقرب. وعلى هذا يتناول البعد السادس طبيعة الموضوعات والأسرار التي يسمح الصديق لنفسه بالإفصاح عنها والحديث فيها مع صديقه المقرب.

وينبغي لنا أن نوضح أن تناولنا لهذه الأبعاد بهذا الترتيب لا يعني أن تتابعها حتمي في نفس الاتجاه، دائما وأبدا. بل على العكس هناك فرص كبيرة للتفاعل والتأثير المتبادل المنشط والمثبط فيما بينها. فيمكن أن نتصور على سبيل المثال أن التفاعل الإيجابي بين الصديقين واكتشاف صفات مرغوب فيها جديدة في الصديق قد يغذي وظيفة جديدة للصداقة لم تكن

في وعي الشخص من قبل، أضف إلى هذا مثالا آخر: وهو أن الإفصاح عن الأسرار الشخصية بعد مرحلة التغلب على الخلافات المهددة للصداقة لا يعني خلو العلاقة تماما من المنغصات، بل إن احتمالات الخلاف واردة مادام هناك تفاعل دائم بين الصديقين. والدليل على ذلك أن الأسرار نفسها يمكن أن تتسبب في وقوع تلك الخلافات عندما يفشي أحد الصديقين سر صديقه.

وتجدر الإشارة إلى أننا قد قمنا بإجراء دراسة ميدانية تمهيدية بهدف الإفادة منها في توفير مقاييس ملائمة لتلك الأبعاد، وفيما يلي نلخص خطوات ونتائج هذه الدراسة:

د- إجراء دراسة ميدانية تمهيدية:

الهدف من الدراسة والأسئلة التي اشتملت عليها:

أجرينا هذه الدراسة لإنجاز هدف رئيسي وهو الكشف عن أفكار التلاميذ حول أبعاد الصداقة الستة التي وقع الاختيار عليها، وتكوين تصور أولي حول طبيعة تلك الأفكار لدى التلاميذ في كل مرحلة عمرية. مع استكشاف حجم واتجاه التغير في تلك الأفكار عبر المراحل الارتقائية المتتابعة بدءا من الطفولة المتأخرة ثم المراهقة المبكرة وحتى المراهقة المتأخرة.

وتمثل الإجراء الأساسي الذي اتبع في هذه الدراسة في توجيه عدد من الأسئلة المفتوحة لعينات من التلاميذ في مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي (لتمثيل المراحل الارتقائية الثلاث التي تعنى بها الدراسة الحالية). وقمنا بعد ذلك بتحليل مضمون إجابات التلاميذ في كل مرحلة لاستخلاص أفكارهم واستكشاف الفئات التي يمكن أن تستوعب هذه الأفكار. أما عن الأسئلة المقدمة في تلك التجربة فيبلغ عددها 13 سؤالا، موزعة على أبعاد الصداقة الستة على النحو التالي:-

بعد وظيفة الصداقة في الحياة الشخصية والاجتماعية:

1- لماذا تعتبر الصداقة شيئا مهما في حياتنا؟

2- أيهما أفضل العزلة والانفراد بالنفس أو تكوين علاقات اجتماعية؟ ولماذا ؟

- **بعد الخصال المرغوب فيها في الصديق والمسؤولة عن التجاذب بين**

التلاميذ:

3- ما الصفات الحسنة التي يجب أن توافر في الصديق ؟

4- ما الصفات السيئة التي يجب ألا تتوافر في الصديق ؟

- بعد مهارات بدء الصداقة:

5- عندما تقابل شخصا لأول مرة وترغب في بدء صداقة معه، ما التصرفات التي تقوم بها لبدء تلك الصداقة؟

6- كيف تكسب أصدقاءك ؟ وما التصرفات التي تقوم بها لكي تكون محبوبا منهم ؟

- بعد طبيعة الخلافات بين الأصدقاء:

7- ما المشكلات التي يمكن أن تقع بين الأصدقاء؟

8- ما الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى قطع أو انتهاء صداقة؟

- بعد أساليب حل الخلاف مع الصديق:

9- كيف يمكنك التغلب على المشكلات التي تقع بينك وبين صديقك ؟

10- ما أفضل أساليب حل الخلاف بين الأصدقاء؟

- بعد الإفصاح عن الأسرار للصديق:

11- ما الموضوعات التي تتكلم فيها مع الزملاء عموما؟

12- وما الموضوعات التي تتكلم فيها مع صديقك المقرب فقط ؟

13- هل تكشف لصديقك عن كل أسرارك ؟ وما الموضوعات التي تتعلق بها هذه الأسرار؟

وقد طرحت الأسئلة نفسها على التلاميذ في المراحل الارتقائية الثلاث، مع مراعاة قدر من التبسيط عند طرحها على تلاميذ المرحلة الابتدائية، حيث ألقيت بلغة عامية مبسطة، وكان الباحث يسأل التلاميذ عن المقصود من السؤال، حتى يتحقق من فهمهم لمعناه.

الطريقة التي اتبعت في تقديم هذه الأسئلة للتلاميذ:

قمنا بتطبيق الأسئلة السابقة معتمدين على أسلوبين مختلفين هما :

1- أسلوب المناقشة الجماعية المفتوحة مع التلاميذ.

2- مجموعة أسئلة يجاب عنها كتابة (استخبار مبسط).

الأسلوب الأول: المناقشة الجماعية المفتوحة مع التلاميذ (جلسات المفاكرة):

أريد بهذا الأسلوب تشجيع التلاميذ على التعبير عن آرائهم وأفكارهم حول أبعاد الصداقة من خلال مناقشة مفتوحة يشترك فيها أكبر عدد من التلاميذ. وبدأنا هذه الجلسات بتقديم فكرة مبسطة عن موضوع الدراسة ثم أحطنا التلاميذ علما بأنه سيطرح عليهم كمجموعة عدد من الأسئلة بهدف مناقشتها مناقشة جمعية، وقد التزمنا بكل الإجراءات التي يوصى بها عند إدارة جلسات المفاكرة (أو القصف الذهني brain storming)، ومنها تشجيع التلاميذ على المشاركة في المناقشة وتدعيم إجاباتهم وتجنب تقويم أي منها (10، ص 237, 229: ص 68)، وبعد التأكد من فهم التلاميذ للمهمة المطلوبة منهم نبدأ في مناقشة أسئلة أبعاد الصداقة بنفس الترتيب الذي عرضناها به، مع كتابة الأفكار والإجابات مباشرة تجنبا لأخطاء الذاكرة. وقد أبدى التلاميذ تعاونا حسنا واهتماما واضحا بموضوع البحث وقد استغرقت معظم هذه الجلسات حصتين دراسيتين (يتراوح زمن الحصة ما بين 30- 45 دقيقة).

الأسلوب الثاني: مجموعة أسئلة يجيب عنها التلاميذ (استخبار مبسط مفتوح النهايات):

اتبعنا هذا الأسلوب في عدد آخر من الفصول في المرحلتين الإعدادية والثانوية لسببين هما:

1- الحصول على أكبر قدر ممكن من الأفكار، حيث من المتوقع أن يشعر بعض التلاميذ بالخجل فيحجمون عن المشاركة في المناقشة بسبب القلق أو ضعف الثقة بالنفس أو العجز عن التعبير اللفظي عن الأفكار الشخصية:

2- الحصول على بيانات كمية عن تكرار فئات الأفكار التي يمكن استنتاجها داخل كل بعد، مما يتيح الفرصة لعقد مقارنات أولية عن الفروق النوعية في تصورات التلاميذ حول أبعاد الصداقة عبر مرحلتي المراهقة المبكرة والمتأخرة.

أما عن الإجراءات التي اتبعناها في إدارة تلك الجلسات فقد تمثلت في تقديم قائمة مكتوبة لكل تلميذ تحوي الأسئلة التي ذكرناها آنفا، ومرفق معها بعض الأوراق لكي يسجل فيها التلميذ إجاباته. ولم يطبق هذا الأسلوب على تلاميذ المرحلة الابتدائية، لأن معظمهم يجدون صعوبة بالغة في التعبير الكتابي عن الأفكار. وقد استغرقت هذه الجلسات زمنا أقل قليلا من

الزمن المستغرق في جلسات المناقشة الجماعية.

وصف عينات الدراسة الميدانية التمهيدية:

بدأت إجراءات التطبيق في يوم 15/ 3/ 1988، واستمر التطبيق حتى يوم 2/ 4/1988، وقد اختيرت العينات سواء التي اتبع معها أسلوب المناقشة الجماعية المفتوحة أو الأسئلة المكتوبة من المدارس الحكومية التابعة لمنطقة جنوب الجيزة التعليمية. وقد اختير تلاميذ الصفين الرابع والخامس الابتدائيين لتمثيل مرحلة الطفولة المتأخرة، واختير تلاميذ الصف الثاني الإعدادي لتمثيل مرحلة المراهقة المبكرة وتلاميذ الصف الثاني الثانوي لتمثيل مرحلة المراهقة المتأخرة على أساس أن الصف الثاني سواء الإعدادي أو الثانوي يمثل المتوسط العمري لكل من المرحلتين وفيما يلي بيان بالعينات التي استخدم معها كل أسلوب منهما:

- **العينات التي اتبع معها أسلوب المناقشة الجماعية المفتوحة:**

أجريت جلسات المناقشة المفتوحة في ستة فصول، منها فصلان في المرحلة الابتدائية (أحدهما مع تلاميذ الصف الرابع والآخر مع تلاميذ الصف الخامس). وبلغ عدد التلاميذ في الفصلين 47 تلميذا، ثم في فصل واحد لتمثيل تلاميذ المرحلتين الإعدادية (ن = 41 تلميذا) والثانوية (ن = 47 تلميذا).-

العينات التي اتبع معها أسلوب الأسئلة المكتوبة (الاستخبار المفتوح):

ذكرنا أن هذا الأسلوب قد اتبع مع تلاميذ المرحلتين الإعدادية والثانوية فقط.

وبلغ عدد التلاميذ الذين أجابوا عن تلك الأسئلة 104 تلاميذ، منهم 47 تلميذا في المرحلة الإعدادية (بلغ متوسط أعمارهم 19, 13 + 91, 1)، و 57 تلميذا في المرحلة الثانوية (بلغ متوسط أعمارهم 88, 15 + 39, 2 سنة).

المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة التمهيدية:

أجريت معالجات مفصلة لتحليل مضمون إجابات التلاميذ بهدف الكشف عن المظاهر النوعية للصداقة في المراحل الارتقائية الثلاث. وقد مر تحليل المضمون بعدد من الخطوات الطويلة، إذ بدأت تلك الإجراءات عقب نهاية التطبيق أي في أوائل شهر أبريل عام 1988، وانتهت في أوائل شهر فبراير عام 1989. أما عن الخطوات التي اتبعت في تحليل مضمون إجابات كل بعد

على حدة فتتضمن ما يلي:

1- تفريغ الإجابات عن كل سؤال من مجموعة الأسئلة التي يشملها كل بعد وحصر الإجابات غير المكررة التي وردت في سجلات المناقشة المفتوحة أو إجابات التلاميذ المكتوبة في كل مرحلة ارتقائية.

2- قراءة الإجابات الواردة ككل بغض النظر عن المرحلة الارتقائية والتفكير في عدد من الفئات العريضة التي يمكنها أن تستوعب تلك الإجابات. وقد راعينا في اشتقاق هذه الفئات الوضوح والصلة الوثيقة بين الأفكار النوعية والفئة العريضة التي تندرج تحتها، كما راعينا أيضا الاعتدال في اختيار عدد الفئات بحيث لا تقل، فتفقد القدرة على الكشف عن الخصائص المميزة لكل مرحلة عمرية، أو تزيد فينخفض عدد الأفكار النوعية في كل منها ويصعب استخلاص المعاني التي توحي بها.

3- إعادة تفريغ سجلات المناقشة وأوراق الإجابة لحصر عدد الأفكار الخاصة بكل فئة عريضة في كل مرحلة عمرية. وذلك للوقوف على ثراء كل فئة منها من حيث تعدد الأفكار فيها وأيضا لتكوين تصور أولي عن المراحل الارتقائية التي يبدأ فيها بزوغ تلك الأفكار.

4- التحقق من جودة تصنيف الأفكار وقدرة الفئات الفرعية على استيعابها، ولتحقيق هذا الهدف قام الباحث بحساب نسبة الاتفاق بينه وبين أحد المحكمين من المتخصصين في علم النفس حيث قدمت الأفكار المستخلصة-لكل بعد على حدة-كل فكرة على بطاقة مستقلة، مع قائمة تتضمن توصيفا للفئات الفرعية، وطلب إلى المحكم تصنيف هذه الأفكار في الفئات الفرعية المقدمة له.

وحسبت بعد ذلك النسب المئوية للاتفاق في تصنيف كل فئة من الفئات الفرعية.

5- إعادة فرز أوراق الإجابة المكتوبة-في المرحلتين الإعدادية والثانوية-لحصر التلاميذ الذين أدلوا بإجابات تتعلق بأي فئة من الفئات الفرعية، وذلك لحساب التكرارات الخاصة بكل فئة والنسب المئوية للتلاميذ الذين أشاروا إلى كل فئة منها.

6- عمل شكل بياني يوضح توزيع النسب المئوية للتلاميذ الذين ذكروا إجابات تتصل بأي من الفئات الفرعية، وذلك لاستكشاف التغير في تصورات

التلاميذ حول الفئات الفرعية عبر مرحلتي المراهقة المبكرة والمتأخرة.

7- تكرر نفس الخطوات لكل بعد من أبعاد الصداقة الستة.

نتائج الدراسة التمهيدية:

لا يسمح الحيز المتاح ولا المجال باستعراض كل نتائج الدراسة التمهيدية ونكتفي هنا بتوصيف الفئات أو المكونات الفرعية لكل بعد من أبعاد الصداقة كما اتضحت من نتائج تحليل المضمون:

1- بعد وظيفة الصداقة وأهميتها (6 مكونات فرعية):

أ-الشعور بالحب والمشاركة الوجدانية: تتضمن كل إجابة تدل على تبادل الحب أو المشاركة الوجدانية أو التعاطف أو القرب النفسي والرغبة في دوام الصلة.

ب-الإفصاح عن الذات: تعبير المجيب عن آماله وأسراره وهمومه لصديقه واستشارته في الأزمات والمشكلات حتى يخفف عنه الطرف الثاني أو لتشجيع الطرف الثاني على الإفصاح عن نفسه.

جـ-تلقي المساعدة والتعاون: تتضمن المساعدة خطوة إيجابية عملية تزيد على مجرد المشاركة الوجدانية والوقوف بجانب الصديق في الشدة وتتخذ المساعدة كافة الأشكال، وتتضمن المساعدة المادية وإكمال أوجه النقص المختلفة عند الصديق وكذا التعاون والتضحية من أجله.

د-الاكتساب والتنمية: وظيفة الصداقة هنا إعداد الشخص ليواجه المجتمع، وتنمية مهاراته وقدراته وصفاته الحميدة لكي تساعده على التوافق والدخول في علاقات اجتماعية.

هـ-التقويم والتوجيه: يشتمل على ثلاثة جوانب وهي التوجيه، وتأييد وجهات النظر، وتصحيح الأخطاء.

و-المرح والترفيه: تتضمن محاولة إدخال السعادة والبهجة على الصديق والترفيه والتسلية والمشاركة في الألعاب أو الميول أو الاهتمامات أو الهوايات لدورها في استثارة المرح.

2- الخصال المرغوب فيها في الصديق (12 مكونا فرعيا):

أ-الصدق والأمانة: تشمل كل ضروب السلوك التي تحمل معاني الصدق والأمانة والالتزام بالوعود.

ب-حسن الخلق: تشمل كل القيم الإنسانية والعادات الحميدة مثل السمعة الطيبة واحترام الآخرين والمعاملة الحسنة والالتزام بالأدب والتواضع والعدل والرحمة وصلة الرحم، والقناعة إلى غير ذلك.

ج-التدعيم والاهتمام: فئة عريضة تتضمن التعبير عن الحب والتعاطف والمشاركة الوجدانية في الفرح والحزن وكذلك كافة أشكال المساعدة والمؤازرة والكرم والعطاء والتعاون والتضحية والإيثار.

د-الوفاء والإخلاص: تتضمن معاني الإخلاص والوفاء وحفظ الأسرار.

هـ-التدين: كل ما يشير إلى التدين والإيمان بالله وأداء الفرائض الدينية والثقافة الدينية.

و-التفتح والمرونة العقلية: تشمل كل المزايا العملية في الصديق مثل الذكاء وحسن التصرف والكياسة والمرونة العقلية وسعة التفكير والفهم والثقافة ا لواسعة.

ز-التفوق والتحصيل الدراسي: تتضمن التفوق الدراسي والاجتهاد والاهتمام بالتحصل والمواظبة والطموح إلى مزيد من النجاح.

ح-التماثل: تشمل كل أوجه التماثل والتوافق والتقارب بين الصديقين سواء في التفكير أو الميول أو الطباع أو الاهتمامات أو الهوايات.

ط-قوة الشخصية وتوكيد الذات: كل ما يوحي بالقوة والشجاعة والاستقلال والتميز والقدرة على المواجهة، والصبر والصمود أمام العقبات وكل ما يشجع على ذلك من قبيل الجدية والثقة بالنفس. ي-الاجتماعية وخفة الظل: تمثل هذه الفئة سمة الانبساط وتشير إلى الميل إلى الاجتماعية والمخالطة مع المرح وخفة الظل.

ك-العناية بالمظهر: تشير إلى العناية بالمظهر الخارجي ونظافة الملابس والهندام مع الوسامة وجمال الوجه.

ل- اللياقة البدنية: تتضمن الأوصاف الخاصة برشاقة الجسم واعتداله والتمتع بالصحة العامة.

3- مهارات بدء الصداقة (6 مكونات فرعية):

أ-التعبير عن الحب والاهتمام: تتضمن إجابات تشير إلى التعبير عن الحب والتعاطف والمشاركة الوجدانية والاهتمام والقرب النفسي والتقدير والاحترام والمجاملة والحرص على دوام العلاقة.

ب-عرض المساعدة وتقديمها: تتخطى المساعدة مستوى التعبير عن التعاطف والمشاركة الوجدانية فتتضمن تقديم المساعدة بكافة أشكالها النصح والتوجيه والتشجيع بالإضافة إلى التعاون والسلوك الغيري.

جـ-تبادل الإفصاح عن الذات: تنضوي على بعدين رئيسيين هما : إفصاح المفحوص بصدق عن ذاته وبقدر معقول ومعتدل، والاستماع للطرف الآخر وإتاحة الفرصة لكي يفصح أيضا عن نفسه.

د-المداعبة والمشاركة في نشاطات سارة: تختص بالجانب المبهج للصداقة وتتضمن إدخال المرح والسرور والمداعبة وإلقاء النكات الطريفة، والمشاركة في الهوايات والميول والمناسبات الاجتماعية.

هـ-محاولة فهم الطرف الآخر: تشير إلى فهم مشاعر وأفكار وشخصية الصديق والتفاهم معه.

و-التجمل: تتضمن محاولة الشخص إظهار نفسه بصورة حسنة محببة لجذب انتباه الطرف الآخر، وتيسير عقد صداقة معه، وذلك بعدة طرق من بينها إخفاء العيوب وإبراز المزايا الشخصية والمهارات والتفوق والقوة الجسمية.

4- طبيعة الخلافات بين الأصدقاء (9 مكونات فرعية):

أ-اختلاف وجهات النظر: تتضمن سوء الفهم وتعارض الآراء واختلاف وجهات النظر في أي أمر من الأمور مع التشبث بالرأي الخاص ورفض كل وجهات النظر الأخرى.

ب-الخيانة والخداع: تشمل كل مظاهر الخيانة والخداع ومنها خيانة الأمانة وإفشاء الأسرار والغيبة والنميمة والكذب ومخالفة المواعيد.

جـ-السخرية والاستهزاء: يشير إلى جرح مشاعر الشخص بالسب والشتم والألفاظ الخارجة مع الإفراد في التهريج والسخرية.

د-الغيرة والحقد : تتضمن مشاعر الحقد والغيرة سواء من التفوق أو المظهر الشخصي أو المستوى الاجتماعي.

هـ-التنافس: تشمل كل صور التنافس العلمي أو الرياضي أو القيادي وأيضا التنافس للوصول إلى محبوب أو محبوبة من الجنس الآخر.

و-الاعتداء على الممتلكات والحقوق الشخصية: من أمثلة ذلك الاعتداء: السرقة أو أخذ أشياء الغير والتصرف فيها بغير إذن، أو تضييع الفرصة

التي يكون المفحوص أقرب إليها وذلك بالتسابق أو التدافع.

ز-التفاخر والغرور: تشمل كل مظاهر الغرور والتكبر والتعالي.

ح-الخذلان وعدم الاهتمام: تعني الإعراض عن الصديق بالانشغال بصديق آخر، والتخلي عن الصديق في الشدة ورفض المعاونة عند التماسها.

ط-المداعبة البدنية الخشنة: يشمل الضرب والدفع بالأيدي والأرجل، وكل محاولات إيقاع الأذى الجسمي باللجوء إلى العنف.

5- أساليب حل الخلاف مع الأصدقاء (5 مكونات فرعية):

أ-المواجهة والتفاهم: تتضمن المواجهة والتشاور والتفاهم والنقاش الهادئ حول أسباب المشكلات، والإقناع والمصارحة بالعيوب التي أدت إلى وقوع الخلاف، والميل إلى الحلول السلمية.

ب-التسامح والاعتذار: تشمل الاعتراف بالخطأ والمبادرة بالصلح والتسامح والتنازل عن الحقوق والتغاضي عن زلات الآخرين والتماس العذر لهم.

ج-التجنب وتفادي الخلاف: تتضمن محاولة تجنب الخلاف ومنعه قبل وقوعه أو عدم تكراره مستقبلا، وذلك بعدة أساليب منها احترام الآخرين والحرص في المعاملة وتقليل الاحتكاك بالأصدقاء.

د-الوساطة: يعتمد هذا الأسلوب على إشراك طرف ثالث يعمل كوسيط لحل الخلاف ومهمته التنسيق بين وجهات النظر وتهدئة النفوس وعرض الحلول الوسط التي ترضي جميع الأطراف.

هـ-إظهار الاهتمام: لا يقدم هذا الأسلوب حلاً مباشرا للمشكلة القائمة ولكنه يدور حولها ويتمثل في إظهار الاهتمام بالطرف الآخر بالتعبير عن الحب والمشاركة الوجدانية وعرض المساعدة والخدمات وملازمة الصديق والتسرية عنه.

6- الإفصاح عن الأسرار للصديق المقرب (5 مكونات فرعية):

أ-الموضوعات العائلية: تشمل الأمور والأسرار المتعلقة بالأسرة متضمنة كل أفرادها، والأخبار أو الأعمال أو الخلافات التي تقع في نطاق الأسرة أو العائلة الكبيرة بما تشمله من أقارب.

ب-الموضوعات الشخصية: تتضمن الأسرار الشخصية والتي تخص التلميذ، والتي يعبر من خلالها عن أفكاره ومشاعر السعادة أو الضيق وما

يشغله في الوقت الراهن وطموحاته وآماله.

ج-**الموضوعات الدراسية والمدرسية:** تختص بعلاقة التلميذ بالمدرسة أو الفصل الدراسي أو المدرسين وكل ما يتعلق بالتحصيل الدراسي والاستذكار والنجاح أو الفشل الدراسي.

د-**الموضوعات الاجتماعية:** تتضمن علاقة التلميذ بأصدقائه الآخرين ومشاعره نحوهم ونشاطه الاجتماعي.

هـ-**الموضوعات العاطفية:** تدور حول علاقة التلميذ بالجنس الآخر وأخبار المعجبين والمعجبات.

هـ- صياغة بنود مقاييس أبعاد الصداقة (الصور الأولية):

اعتمدنا على الأفكار التي وردت في تحليل مضمون إجابات التلاميذ في التجربة المبدئية في اشتقاق بنود مقاييس الصداقة. وقد وضع الباحث عددا من الأسس حاول الالتزام بها في انتقاء وصياغة هذه البنود في مقدمتها:

1- تصميم مقياس مستقل لكل بعد من أبعاد الصداقة الستة.

2- تصميم مقاييس فرعية تختص بكل فئة أو مكون من المكونات الفرعية داخل كل بعد.

3- توحيد المظاهر التي يتم اختيارها لتمثيل تلك الفئات الفرعية عبر المراحل الارتقائية الثلاث موضوع البحث، بهدف توحيد أساس المقارنة عبر المراحل العمرة. وللنهوض بهذا الهدف حاولنا اختيار أكثر المظاهر شيوعا عبر المراحل الارتقائية.

وقمنا بتصميم مقياس لكل مكون حتى وإن تبين أنه لم يبرز إلا في مرحلة ارتقائية واحدة (مثال ذلك فئة التجمل كأسلوب لبدء صداقة مع الزملاء والتي وردت في إجابات تلاميذ المرحلة الابتدائية فقط).

4- اختيار أوثق المظاهر صلة بالمعنى الذي تعكسه الفئة الفرعية لرفع تجانسها وتحقيق أفضل قدر من التمايز بين الفئات.

5- اختيار عدد من المظاهر (أو البنود) لا يقل عددها عن ستة مظاهر (بقدر الإمكان) لتهيئة طول معقول لمقاييس الفئات الفرعية مما يكفل لها قدرا مقبولا من الثبات.

6- صياغة البنود صياغة مبسطة مختصرة يستوعبها تلاميذ المرحلة

الابتدائية ولا تثير-في الوقت نفسه-استخفاف تلاميذ المرحلتين الأخريين. ولذا قمنا-بصياغة معظم البنود بلغة عربية بسيطة. ولم نلجأ إلى التعبير العامي إلا في عدد محدود من البنود.

7- تنويع المظاهر (أو البنود) في كل مقياس فرعي من حيث العيانية أو التجريد وقد روعي التكافؤ-بقدر الإمكان-بين عدد البنود العيانية (التي تتعلق بمواقف مباشرة وملموسة) والمجردة (والتي تتعلق بمواقف غير مباشرة وذات طابع أكثر عمومية). وكان التصور القائم وراء هذا التقسيم توقع أن يعطي المبحوثين الأصغر عمرا أهمية أكبر للبنود العيانية مع اتجاه التفضيل إلى البنود المجردة مع التقدم في العمر.

8- تتم الإجابة عن كل بند منها على متصل من خمس درجات حيث يختار المبحوث بديلا من بين خمسة بدائل تعبر عن درجات متدرجة من الرغبة أو الموافقة بدلا من أن تكون الإجابة بنعم أو لا فقط. وذلك لأن البنود التي تشمل عددا أقل من البدائل لا تؤدي إلى حدوث تباين واضح بين المبحوثين [95].

وتم تكوين الصورة الأولية لمقاييس أبعاد الصداقة بالاعتماد على نتائج تحليل المضمون، وأضيف إليها عدد من الأسئلة لقياس بعض المتغيرات الخاصة بالبيانات الشخصية والسوسيومترية والسياق الاجتماعي والأسري الذي تنعقد فيه الصداقة.

و- تعديل صياغة بعض بنود الصورة الأولية لمقاييس الصداقة:

أدخل عدد كبير من التعديلات على الصورة الأولية لمقاييس الصداقة، وقد استمدت هذه التعديلات من مصدرين رئيسيين هما:

1- استطلاع آراء عدد من المحكمين في شكل ومضمون الأداة ومدى ملاءمتها للتطبيق على المراحل الارتقائية بدءا من الطفولة المتأخرة وحتى المراهقة المتأخرة.

2- تطبيق المقاييس على عينة محدودة من التلاميذ: بالإضافة إلى التعديلات المستمدة من المصدر الأول قام الباحث بتطبيق المقياس على 20 تلميذا تطبيقا فرديا (منهم 8 تلاميذ في المرسلة الابتدائية و 6 في المرحلة الإعدادية و 6 في المرحلة الثانوية). وكان الهدف من تلك التجربة هو التحقق من فهم التلاميذ للتعليمات والبنود فهما صحيحا وتمكنهم من

الإجابة عنها.

ز- استبعاد البنود غير الصالحة من الصورة النهائية لمقاييس الصداقة:

بعد إجراء بعض التعديلات سواء في التعليمات أو البنود أو البيانات الشخصية بلغ العدد الإجمالي لبنود مقاييس أبعاد الصداقة 279 بندا.

وتمثل التعديل الأخير في هذه المرحلة في استبعاد البنود غير الصالحة من التحليلات الإحصائية لنتائج العينات الأساسية للبحث (والتي تكونت من 250 مبحوثا في كل مرحلة من المراحل الثلاث). وتقرر أن يكون هذا الاستبعاد في ضوء محكين هما:

ا-تجاوز النسبة المئوية لإجابات المبحوثين على أحد البدائل الخاصة بأي بند من البنود75٪ في مرحلتين من المراحل الثلاث وذلك لاستبعاد البنود التي لا تتوزع الإجابات عليها توزيعا اعتداليا.

2- عدم وجود ارتباط دال إحصائيا بين الدرجة على البند والدرجة الكلية على المكون الفرعي الذي يشمله في أي مرحلتين عمريتين، والهدف من ذلك تحسين التجانس الداخلي للمقاييس الفرعية.

وكشفت النتائج أن نسب الإجابات قد توزعت بشكل جيد على بدائل الإجابة، كما ارتبطت معظم البنود ارتباطا دالا بالمكون الفرعي في كل المراحل العمرية مما شجع على التقدم خطوة أخرى في اتجاه التشدد وتقرر أن يستبعد البند إذا كان غير مميز أو مرتبط ارتباطا دالا في أي مرحلة. وفي ضوء المحك الأول تم استبعاد أربعة بنود وعلى هذا يصبح العدد النهائي للاستخبار 272 بندا موزعة على مقاييس أبعاد الصداقة على النحو التالي:-

بعد وظيفة الصداقة 39 بندا-

بعد الخصال المرغوب فيها في الصديق 69 بندا-

بعد مهارات بدء الصداقة 39 بندا-

بعد طبيعة الخلافات بين الأصدقاء 54 بندا-

بعد أساليب حل الخلاف مع الصديق 32 بندا-

بعد الإفصاح عن الأسرار للصديق 39 بندا

ح- الكفاءة السيكومترية لمقاييس الصداقة:

راعينا حساب ثبات مقاييس الصداقة في كل مرحلة من المراحل الثلاث

على اعتبار أن الثبات دالة للعينة التي يختبر ثبات الأداة عليها (32 , 57: ص 125)، وقمنا كذلك بحساب ثبات أسئلة البيانات الشخصية استجابة للدعوة التي تشير إلى أن معاملات الثبات واجبة التقدير مهما بدا للدارس آن مضمون السؤال بسيط أو مباشر(28: ص 95).

وفي إطار هذا البحث تم حساب الثبات بطريقة إعادة الاختبار للكشف عن درجة استقرار نتائج تطبيق الأداة عبر الوقت (139: ص 374). وقد تكونت عينة الثبات من 150 تلميذا من الذكور موزعين على المراحل الارتقائية الثلاث (55 تلميذا في كل مرحلة). وقد أعيد التطبيق بفاصل زمني يتراوح ما بين 7- 10 أيام من التطبيق الأول. وأجري التطبيق في المرتين في الظروف نفسها واتبعنا فيه الإجراءات نفسها، وتم تقدير معامل ثبات إعادة الاختبار بتطبيق الأسلوب الإحصائي الملائم لطبيعة الدرجات على مقاييس الصداقة وأسئلة البيانات الشخصية.

وقد أوضحت النتائج أن معاملات ثبات مقاييس أبعاد الصداقة مرضية حيث تراوحت ما بين 64 , 0-86 , 0 في مرحلة الطفولة المتأخرة، وما بين 66 , 0-86 , 0 في مرحلة المراهقة المبكرة، في حين تراوحت ما بين 65 , 0-92 , 0 في مرحلة المراهقة المتأخرة. كما أظهرت النتائج الثبات المرتفع للأسئلة المتعلقة بالظروف الاجتماعية للصداقة والمتغيرات السوسيومترية وكذلك البيانات الشخصية في العينات الثلاث.

وفيما يتعلق بتقدير صدق الأداة فقد اعتمدنا على عدد من الأساليب تندرج في إطار «صدق التكوين». وكانت العناية بصدق التكوين لسبب رئيسي، وهو أنه يختص بتقدير كفاءة الأداة في قياس مفاهيم فرضية، وذلك بتجميع المعلومات من مختلف المصادر لفهم طبيعة السمة أو الوظيفة التي تقيسها الأداة، كما هو معروف تصنف طرق تقدير الصدق في ثلاث فئات رئيسية وهي صدق المضمون content validity، وصدق التعلق بالمحك criterion validity وصدق التكوين contruct validity. ويعتمد اختيار أي منها على الهدف من استخدام الأداة (140: ص 435)، ولكن تتميز طريقة صدق التكوين في أنها أكثر شمولا إلى الدرجة التي تجعلها تستوعب في داخلها الطرق الأخرى لحساب الصدق. وتشير انستازي في هذا الصدد إلى أنه لا توجد أي معلومة تتعلق بصدق الأداة إلا ولها إسهام في تقدير صدق التكوين (57: ص

159)، ومن ثم فليست هناك طريقة واحدة لتقدير صدق التكوين وإنما يمكن طرق كل السبل التي من شأنها أن تكشف عن المعنى النفسي الذي يتشبع به الاختبار(99: ص ص 120- 123).

وفي إطار الدراسة الحالية تم تقدير صدق التكوين لمقاييس الصداقة باللجوء إلى عدة طرق وهي: الاتفاق بين المحكمين، والاتساق الداخلي، والصدق العاملي، وتقدير التغيرات الارتقائية في الأداء على المقاييس عبر العمر، والمقارنة بين المجموعات الطرفية أو المتعارضة، وذلك بمقارنة الدرجات على مقاييس الصداقة، والتي حصل عليها تلاميذ متفاوتون في شعبيتهم بين زملائهم. وكانت النتائج مرضية بوجه عام.

2- وصف عينات الدراسة الرئيسية:

أجريت الدراسة الأساسية على عينة إجمالية يبلغ مجموعها 750 تلميذا من الذكور موزعين بالتساوي على المراحل الارتقائية الثلاث التي يتناولها البحث.

وقد سحب معظم أفراد هذه العينات من المدارس التابعة لإدارة جنوب الجيزة التعليمية وهي المدارس نفسها التي أجريت فيها الدراسة الميدانية التمهيدية، واستكمل التطبيق في بعض المدارس التابعة لإدارة وسط الجيزة التعليمية:

وقد راعينا في تصميم عينات البحث عددا من الاعتبارات من أهمها:

أ- تمثيل الفصول المتفاوتة في مستويات التحصيل والتفوق الدراسي للتلاميذ، وذلك بتضمين العينة عددا من فصول المتفوقين بالإضافة إلى الفصول العادية، ويستمد هذا التمثيل أهميته من خلال الدراسات التي كشفت عن أثر الذكاء والتحصيل الدراسي في تشكيل علاقات الصداقة لدى التلاميذ في مرحلتي الطفولة والمراهقة (143، 161).

ب- اختيار مدارس وفصول دراسية ينتمي تلاميذها لأسر ذات مستويات اقتصادية واجتماعية مختلفة. وتبرير ذلك أن الأسر المتفاوتة من حيث المستوى الاقتصادي والاجتماعي تتبنى أساليب متباينة في تربية أبنائها إذ تميل الأسر المرتفعة إلى التسامح في معاملة الأبناء بينما تلجأ الأسر الأقل مستوى إلى التشدد والميل إلى استعمال العقاب البدني في تنشئة الأطفال

(31: ص 79). ويترتب على ذلك وجود فروق كبيرة في سمات شخصية الأبناء وأنساقهم القيمية [40] وقدراتهم العقلية (8, 41)، والتحصيلية [52]، والإبداعية (17 , 51)، ومستوى طموحهم [29]، وباستجماع ما سبق نتوقع وجود فروق في خصائص الصداقة لدى التلاميذ الذين ينتمون لأسر متفاوتة، وذلك لأن الصداقة ليست قوالب جامدة، وإنما هي سلوك متجدد من خلال نسق يتأثر بطبيعة التفاعلات مع الوالدين والأخوة داخل الأسرة كما تتشكل خصائصها وفقا لسمات الشخص وقدراته وتفضيلاته، وهي كلها عوامل خاضعة لتأثير المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة.

ولهذا السبب قمنا بالتطبيق في بعض المدارس الحكومية للغات بالإضافة إلى المدارس الحكومية العادية حيث وضح للباحث أن أعدادا كبيرة من تلاميذ المرحلة الابتدائية في المدارس الحكومية ينتمون إلى مستويات اقتصادية واجتماعية تتراوح من المتوسط إلى المنخفض.

(جـ) تمثيل ثلاث مراحل ارتقائية وهي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمراهقة المتأخرة. فهي مراحل لم تلق العناية الكافية في بحوث الصداقة ويؤكد ذلك أحد الباحثين مشيرا إلى أن قوانين التجاذب الاجتماعي التي تم التوصل إليها من بحوث على الراشدين تم تطبيقها وتعميمها على صداقات الأطفال والمراهقين ودون تمحيص. ، وعلى هذا فهناك حاجة واضحة إلى معلومات أمبيريقية عن علاقات الصداقة عبر سنوات الطفولة والمراهقة 120 , 179).

وقد وقع الاختيار على تلاميذ الصف الخامس الابتدائي لتمثيل مرحلة الطفولة المتأخرة، وجاء اختيار هذا الصف لضمان قدر أكبر من الفهم والاستيعاب لبنود الاستخبار وطريقة الإجابة عنها. خاصة وأن التطبيق سيتم بطريقة جمعية حيث يجيب التلاميذ على الاستخبار بأنفسهم رغبة في توحيد أسلوب التطبيق عبر المراحل الارتقائية الثلاث. وإضافة إلى هذا المبرر هناك دراسات تشير إلى أن بدء واستقرار الصداقة الثنائية يتم في الفترة العمرية من 7 أو 8 سنوات وحتى بدء المراهقة، وإلى أن الصداقة الثنائية تزيد استقرارا مع تقدم العمر من سن الخامسة إلى سن العاشرة (24: ص 222).

أما بالنسبة لمرحلتي المراهقة المبكرة والمتأخرة فقد تقرر اختيار العينة

من تلاميذ الصفين الثاني الإعدادي والثانوي على التوالي لأن كل صف منهما يمثل المتوسط العمري لهاتين المرحلتين.

(د) تمثيل كل مرحلة بعينة من التلاميذ من 250 تلميذا. وقد اشترطنا هذا العدد ضمانا لدرجة أكبر من الثقة في النتائج، فالعينة الكبيرة إذا أحسن تمثيلها تقلل أخطاء تعميم النتائج من العينة التي أجري عليها البحث إلى المجتمع الكبير الذي سحبت منه تلك العينة(21: ص مر 117- 122). كما تعد العينة الكبيرة أحد المتطلبات الضرورية التي يلزم استيفاؤها قبل إجراء التحليل العامل-وهو إحدى المعالجات المتضمنة في خطة تحليلات هذا البحث-إذ تؤدي أخطاء تمثيل العينات إلى الخروج بارتباطات زائفة (94، 95).

هذا عن الاعتبارات الخاصة التي حاول الباحث أن يراعيها عند تصميم واختيار العينة، وقد مثلت كل مرحلة من المراحل الثلاث كما ذكرنا بعينة شملت 250 تلميذا، وجاءت المتوسطات الحسابية لأعمارهم على النحو التالي:

- مرحلة الطفولة المتأخرة 33, 10 سنة بانحراف معياري قدره 59, 0 سنة.
- مرحلة المراهقة المبكرة 30, 13 سنة بانحراف معياري قدره 76, 0 سنة.
- مرحلة المراهقة المتأخرة 14, 16 سنة بانحراف معياري قدره 64, 0 سنة.

3- إجراءات التطبيق وظروفه:

أ- بدأت إجراءات التطبيق في النصف الثاني من شهر أكتوبر عام 1989، وذلك بعد مضي أكثر من شهر على بدء العام الدراسي بهدف إتاحة وقت كاف حتى ينتظم سير الدراسة وتنظيم الفصول، وتستقر إلى حد ما عمليات التفاعل الاجتماعي بين التلاميذ، وتتشكل العلاقات الاجتماعية بينهم ولو في أشكالها الأولية. وانتهى التطبيق في أوائل شهر فبراير عام 1990

ب- بدأ التطبيق على تلاميذ المرحلة الثانوية أولا ثم على تلاميذ المدارس الإعدادية بعد ذلك وفضلنا تأجيل التطبيق على تلاميذ المدارس الابتدائية. وكان وراء هذا الترتيب توقع سهولة التطبيق على تلاميذ المدارس الثانوية

بالمقارنة بتلاميذ المرحلة الإعدادية والابتدائية بصفة خاصة. ورئي أن هذا الترتيب من شأنه أن يكسب الباحث خبرات مفيدة يمكن توظيفها لتذليل بعض العقبات المحتملة عند التطبيق على تلاميذ المرحلة الابتدائية، نظرا لصغر أعمارهم وقصور مهاراتهم اللغوية.

جـ- روعي في اختيار الفصول الدراسية تفضيل الفصول ذات الكثافة العددية المنخفضة أو المتوسطة والتي يتراوح عدد التلاميذ فيها ما بين 30-45 تلميذا، وكذلك تمثيل الفصول المتفاوتة من حيث مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ ولهذا تم التطبيق على عدد من فصول المتفوقين بالإضافة إلى الفصول العادية.

د- تم تطبيق الاستمارة في شكل استخبار في المراحل الثلاث، ففي المرحلتين الإعدادية والثانوية تركت للمبحوثين حرية الإجابة بعد شرح التعليمات. وقد اتبعنا عند التطبيق على تلاميذ المرحلة الابتدائية نفس الإجراءات المتبعة مع تلاميذ المرحلتين الإعدادية والثانوية مع فروق بسيطة وهي التطبيق على مجموعات أصغر بمساعدة بعض الباحثين الزملاء لا يقل عددهم عن اثنين بما يسمح لكل باحث بالإشراف على نحو خمسة تلاميذ على أن يقوم أحد الباحثين بقراءة كل سؤال بينما يتابعه التلاميذ من خلال استماراتهم، ثم يقومون بالإجابة عن هذا السؤال وهكذا إلى نهاية الأسئلة وروعي إعطاء التلاميذ في هذه المرحلة فترة راحة بعد المقياس الثالث. وقد استغرق التطبيق على تلاميذ المرحلة الابتدائية زمنا أطول نسبيا من الزمن المستغرق في عينتي المراهقين، إذ تراوح الزمن ما بين ساعة ونصف إلى ساعتين.

4- خطة المعالجات الإحصائية:

أخضعت بيانات العينات الرئيسية لعدد من التحليلات بهدف تحقيق الأهداف الرئيسية التي قدمناها في بداية هذا الفصل،. وفي. الفصل التالي نشير إلى ما نفذ من معالجات إحصائية، ونناقش ما أسفرت عنه من نتائج، وما تلقيه من أضواء على خصائص صداقات الأطفال والمراهقين في الثقافة المصرية.

٩ خصائص صداقات الأطفال والمراهقين كما تعكسها الدراسة الميدانية

أولا: ملامح ارتقاء الأبعاد الأساسية للصداقة:

نناقش هنا نتائج معاملات الارتباط بين المكونات الفرعية لكل بعد من أبعاد الصداقة الستة، وكذلك نتائج التحليل العاملي لكل بعد منها، وبعد أن نفرغ من تلك المناقشة نقدم تعليقا يلقي الضوء على الاتجاهات العامة التي تميز ارتقاء أبعاد الصداقة مجتمعة، وذلك على النحو الآتي:

١ - بعد وظيفة الصداقة وأهميتها:

أوضحت نتائج معاملات الارتباط بين المكونات الفرعية وجود ارتباطات موجبة ودالة إحصائيا بين معظم المكونات الفرعية، مع اتجاه معاملات الارتباط بين وظائف الصداقة إلى الارتفاع المطرد عبر العينات الثلاث من الطفولة المتأخرة وحتى المراهقة المتأخرة، كما كشفت معاملات الارتباط عن تمايز واضح بين وظيفتي الاكتساب والتنمية، والمرح والترفيه، حيث لم يرتبطا معا ارتباطا دالا

في أية عينة من العينات الثلاث، ويبدو أن الوظيفة الأولى يغلب عليها الطابع المعرفي أو العملي، أما الوظيفة الثانية، فهي وظيفة وجدانية ترويحية.

وقد أظهر التحليل العاملي بوضوح إمكان تقسيم وظائف الصداقة إلى فئتين:

الفئة الأولى: الوظائف المعرفية، ويعبر عنها مكونا: الاكتساب والتنمية، والتقويم والتوجيه. وتشمل الفئة الثانية: الوظائف الوجدانية، ويمثلها المكونات الأربعة التالية: المرح والترفيه، والشعور بالحب والمشاركة الوجدانية، والإفصاح عن الذات، وتلقي المساعدة والتعاون.

ويتوافر لدينا العديد من الآراء والشواهد الواقعية التي تتفق مع نتائج التحليل العاملي في هذا الشأن. إذ تنبه بعض الباحثين إلى الجانب المعرفي في وظائف الصداقة، والتفت آخرون إلى وظائفها الوجدانية في حين أبدى فريق ثالث اهتماما متوازنا بكلتا الوظيفتين، على النحو التالي:

ففي إطار الوظيفة المعرفية ينصرف الاهتمام إلى تأكيد تأثير الصداقة في التنشئة الاجتماعية، وتيسير التعلم، وإحداث التنبيه العقلي للأطفال بوجه خاص، ومن الشواهد الدالة على قيمة تلك الوظيفة نذكر إشارة سويف إلى أن جماعات الأطفال (في المدى العمري من الرابعة إلى الثامنة) تؤثر بشدة في القدرات وسمات الشخصية، وقد أشار إلى أثرها في تشكيل الأنا إلى الحد الذي يجعل فكرة الطفل عن ذاته أقرب إلى رأي جماعة الأصدقاء منه إلى رأي الراشدين فيه (24: ص 225).

وبالإضافة إلى تأثير الأصدقاء في تشكيل الأنا، كشفت هيرلوك عن إسهام الأقران في تنميط الدور الجنسي الملائم، فمن خلال تفاعل الطفل مع أقرانه يكتسب أنماط السلوك الملائم لجنسه، وينشأ هذا التأثير من خلال محاولته تقليد أقرانه أو نتيجة رغبته في التوحد مع طفل آخر ينجذب إليه ويرتبط معه بصداقة ثنائية تتسم بالدفء، ويتولد عنها رغبة في التشبه بهذا الصديق (158: ص 422).

كما يشير «حسين» إلى أن دور الأقران في التنشئة الاجتماعية يبزغ في مرحلة الطفولة، ويظل قائما حتى في مرحلة المراهقة، ويمضي موضحا أن تأثير الأقران غير المقصود يبدأ منذ التحاق الأطفال بالمدرسة الابتدائية، عندما يشرعون في تجربة التفاعل مع جماعات كبيرة دون توافر خبرات

كافية تعينهم على التصرف الكفء، وعندئذ يتيح الأقران للطفل خبرة التفاعل في جماعات صغيرة مما يهيئه للانتقال المأمون إلى الإطار الاجتماعي الأرحب، كما يبين أن تأثير الأقران يتخذ أشكالا متباينة من بينها دعم ضروب معينة من السلوك، أو وقوفهم كنماذج يحاكيها الطفل، هذا بالإضافة إلى الضغوط الاجتماعية المباشرة التي يمارسها الأقران لدفع الطفل إلى تعديل سلوك معين (13: ص 174).

أما الوظيفة الوجدانية للصداقة فيبدو أنها أكثر جذبا للاهتمام مقارنة بالوظيفة المعرفية، ومن الشواهد الدالة على رسوخها في صداقات المراهقين والمراهقات، بحث دوفان وأديلسون على عينات من المراهقين في المجتمع الأمريكي. حيث أظهرت نتائجه أن أهم الالتزامات الواجبة على الصديق تجاه صديقه تتمثل في: تقديم المساندة وقت الشدة، والمساعدة وإسداء الخدمات (انظر 93: ص 182)، ومنها أيضا إشارة لاجيبا إلى أن المرح يعد الوظيفة الحيوية للصداقة كما يتصورها بعض الأطفال، وهو يفوق من حيث أهميته بالنسبة لهم وظيفة المساعدة، ويذهب لاجيبا إلى أبعد من هذا فيوضح أن المرح أساس مشترك تقوم عليه الصداقة عبر مختلف المراحل العمرية، إذ لا يمكن تصور استمرار صداقة يغلب عليها طابع الكآبة (179: ص 182).

وتؤكد البحوث التي تناولت تأثير المساندة الاجتماعية في خفض مشاعر التوتر والمشقة أهمية الوظيفة الوجدانية لعلاقات الصداقة ويرى بريم Brehm في هذا الصدد أن المساندة الوجدانية تنهض بمهمة حماية تقدير الشخص لذاته وتشجيعه على مقاومة الضغوط التي تفرضها عليه أحداث الحياة المؤلمة أو المحزنة (79: ص 123)، ويتفق هذا الرأي مع التصور الذي اقترحه ألبي Albee لنموذج المساندة الاجتماعية المتصل بالوقاية، وفي سياقه يرى أن الاضطراب النفسي محصلة لناتج المعادلة الآتية:

$$\text{الإضراب النفسي} = \frac{\text{الاستهداف} \times \text{أحداث الحياة}}{\text{المقاومة} \times \text{لمساندة الاجتماعية}}$$

ووفقا لهذه المعادلة تقل احتمالات الاضطراب النفسي عندما تقوى قدرة الشخص على مقاومة أحداث الحياة المعاكسة وعندما يتلقى من المساندة الاجتماعية من أهله وأصدقائه وزملائه ما يعينه على تجاوز الأزمات

والمحن (188: ص 2).

وهكذا نجد وفرة في الشواهد الواقعية والإطارات النظرية المتصلة بوظائف الصداقة والتي تتسق مع نتائج التحليل العاملي لبعد وظيفة الصداقة، وهو ما يقدم-إضافة إلى هذا-تأييدا للتصور الذي قدمناه في الفصل الثالث فيما يتصل بالوظائف النفسية للصداقة، حيث استخلصنا من الدراسات السابقة أن للصداقة وظيفتين أساسيتين، تتمثل الوظيفة الأولى في خفض مشاعر الوحدة النفسية، وتنمية المشاعر الإيجابية. وتتمثل الوظيفة الثانية في تيسير عمليات التنشئة الاجتماعية.

2- بعد الخصال المرغوب فيها في الصديق:

كشفت معاملات الارتباط، والتحليلات العاملية لمكونات هذا البعد عن عدد من النتائج يتلخص أهمها في وجود عدد من معاملات الارتباط الموجبة والدالة بين مجموعتين من الخصال عبر العينات الثلاث، تشمل المجموعة الأولى ست خصال أخلاقية وهي: الصدق والأمانة، وحسن الخلق، والتدعيم والاهتمام، والوفاء والإخلاص، والتفتح والمرونة العقلية، والتفوق والتحصيل الدراسي. وتتضمن المجموعة الثانية أربع خصال للجاذبية الاجتماعية، وهي: التماثل، والاجتماعية وخفة الظل، والعناية بالمظهر، واللياقة البدنية.

وتوحي تلك النتيجة بإمكان تصنيف الخصال المرغوب فيها في الصديق في فئتين، تشمل الفئة الأولى: الخصال الأخلاقية، بينما تستوعب الفئة الثانية خصال الجاذبية والاجتماعية.

وقد أوضح التحليل العاملي أن تصنيف الخصال المرغوب فيها على هذا النحو لا يبدو بهذا الوضوح قبل الوصول إلى مرحلة المراهقة المتأخرة، ففي هذه المرحلة تميز عاملا الخصال الأخلاقية والجاذبية والاجتماعية بوضوح، فاستوعب الأول خصال حسن الخلق، والصدق والأمانة، والتدين، والتفوق والتحصيل الدراسي، والوفاء والإخلاص، والتفتح والمرونة العقلية، واستوعب الثاني خصال العناية بالمظهر، واللياقة البدنية، والاجتماعية وخفة الظل، والتماثل، والتدعيم والاهتمام.

وتتوافر العديد من الدلائل التي تكشف أثر هذين العاملين في إرساء وتعزيز علاقات الصداقة حيث نجد تأييدا واسعا لأثرهما في التجاذب بين

الأشخاص، فيبدو أن معظم الأفراد يسعون إلى عقد صداقات مع أتراب يتسمون بالأخلاق الحسنه والسمعة الحميدة، ولو راجعنا بعض ما جاء في التراث العربي والإسلامي الذي قدمناه في الفصل الأول لوجدنا أن الاهتمام يتركز بصفة رئيسية على الخصال الأخلاقية بوصفها أبرز الصفات التي لابد من توافرها في الصديق، حيث ذكر الغزالي على سبيل المثال خمسة شروط للصداقة، وهي:

1- العقل، 2- حسن الخلق، 3- الصلاح، 4- الكرم، 5- الصدق. وكلها-كما نرى-خصال وقيم أخلاقية (45: ص ص 55- 63).

أما في سياق الدراسات النفسية الحديثة فقد توصل سيرافيكا Serafica إلى أن الأطفال والمراهقين يشترطون توافر خصال الأمانة، والتقبل، والتماثل سواء في الصديق المقرب أو في أفضل صديق، بينما لا يشترطون في الصديق العابر أو العرضي خصالا غير القدرة على استثارة التنبيه، أي تمكنه من ممارسة نشاطات جديدة تتسم بالتشويق والإمتاع[226].

وقد أشار إبشتين إلى تباين شروط الصداقة لدى الجنسين، وأوضح أن الذكور في مرحلة المراهقة يفضلون خصال الإنجاز والقيادة وارتفاع المكانة الاجتماعية بين الزملاء، وهي كما نرى خصال معبرة عن الاجتماعية والجاذبية، أما المراهقات في نفس العمر فيفضلن في صديقاتهن خصال الولاء والالتزام والعلاقة الحميمة، وهي أقرب في طبيعتها إلى الخصال الأخلاقية[120].

وفي دراسة أخرى أجراها هايز Hays انتهى إلى أن من بين العوامل التي تزيد التجاذب بين الأطفال ممارسة الألعاب معا، والاشتراك في نشاطات متبادلة بينما يشعر الأطفال بالنفور من الزملاء الذين يرتكبون أعمالا عدوانية أو يخرجون عن قواعد السلوك الأخلاقي اللائق (انظر 179: ص 168).

وفي سياق البيئة المصرية أجرى فراج تحليلا عامليا لبنود مقياس الصداقة الذي أعده سويف على عينات من الأسوياء الراشدين والمرضى العصابيين والذهانيين. وأسفرت التحليلات الثلاثة عن استخراج عاملين، وصف ثانيهما بأنه ثنائي القطب، ووقعت على قطبه الموجب البنود المقبولة اجتماعيا، وتركزت حول قطبه السالب تشبعات البنود المرفوضة اجتماعيا،

ويمكننا إذا نظرنا في معاني القطب الموجب أن نتبين اتصالها الوثيق بخصال الاجتماعية والجاذبية، إذ تتضمن بنوده صفات المرح والذكاء والشخصية الجذابة، أما بنود القطب السالب فتتضمن الصفات المناقضة للخصال الأخلاقية، ومن بينها الانتهازية، والكذب، والجبن، والتشاؤم، والكبرياء، والتهكم، وسوء التصرف والنفاق (23: ص ص 155- 169، 47: ص ص 153- 165).

3- بعد مهارات بدء الصداقة:

أسفر التحليل العاملي عن استخراج عامل عام لمهارات بدء الصداقة في كل عينة من العينات الثلاث، وقد تشبعت عليه كل المكونات (باستثناء مكون محاولة فهم الطرف الآخر الذي لم يتشبع عليه تشبعا مقبولا في مرحلة الطفولة). وبوجه عام احتلت ثلاثة مكونات مواضع متقدمة (حسب قيم تشبعاتها) على هذا العامل في المراحل الثلاث. وهي: التعبير عن الحب والاهتمام، وتبادل الإفصاح عن الذات، وعرض المساعدة وتقديمها، بينما احتل مكونا المداعبة والمشاركة في نشاطات سارة، ومحاولة فهم الطرف الآخر موضعين متوسطين، وجاء التجمل في مؤخرة تلك المكونات على عامل مهارات بدء الصداقة.

كما تتفق نتائج التحليل العاملي مع نتائج دراسة سابقة أجراها مؤلف هذا الكتاب، وكان موضوعها «اضطراب المهارات الاجتماعية لدى المرضى النفسيين»، وافترض في إطارها أن هناك أربعة مكونات فرعية تكون في مجموعها مهارات تكوين الصداقة وهي:

1- القدرة على فهم منظور الشخص.
2- الإفصاح عن الذات.
3- مشاركة الآخرين في نشاطات اجتماعية.
4- إظهار الاهتمام بالآخرين.

وقد أسفر التحليل العاملي لهذه المكونات (على عينة بلغت 108 طلبة من الذكور الأسوياء في السنة الأولى بكلية الآداب جامعة القاهرة) عن استخراج عامل واحد عام للمهارات الاجتماعية تشبعت عليه المكونات الأربعة المشار إليها، إضافة إلى مهارة توكيد الذات (5: ص ص 67- 86).

وتلتقي نتائج البحث الحالي مع نتائج بحوث أخرى تتصل بمهارات بدء الصداقة، من أهمها بحث «رين» Rinn «ماركل» Markle، حيث ذكرا من المهارات الاجتماعية الأساسية دعم الآخرين وتتضمن تبادل الثناء والمجاملة، وإبراز الجوانب الطيبة في الصديق ومصارحته، وإظهار الموافقة الصادقة على آرائه (221: ص 110).

كما تكشف نظريات توثق العلاقة بين الأشخاص أثر التدعيم والاهتمام في نضج الصداقة واستقرارها، فيشير التمان وتايلور إلى تزايد احتمالات تعمق العلاقة إذا ترتب عليها عائد مرض لأطرافها [56]، كما ذكر ليفنجر أن من بين أوثق المدعمات صلة بارتقاء التجاذب بين الأشخاص: الإفصاح عن المشاعر المتبادلة، وتقديم التأييد والمساندة، والتعبير عن الحب (190: ص110).

هذا فيما يتصل بالتعبير عن الحب والاهتمام كأسلوب لبدء صداقة، أما عن المؤشرات الواقعية التي توضح الأهمية المتزايدة لمهارة فهم الآخرين كأسلوب لبدء صداقة معهم، فنذكر من بينها إشارة «سلمان» إلى أن العلاقات الوثيقة لا تتكون إلا في مرحلة المراهقة المبكرة، حيث تستلزم توافر حد أدنى من القدرة على فهم مشاعر وأفكار الطرف الآخر (من خلال: 69)، وقد أيد بحث «دياز وبرندت» هذا الفرض، حيث توصلا إلى أن الأطفال الأكبر عمرا أكفأ في معرفتهم بالخصال المميزة لأصدقائهم مقارنين بالأطفال الأصغر عمرا[106].

ويبدو أن تحسن القدرة على فهم الصديق، وتزايد الاعتماد عليها كمهارة من مهارات تعميق الصداقة مع تقدم العمر، لا تتوقف فحسب على الارتقاء المعرفي المتزايد والمرتبط بالعمر، ولكنها ترتبط أيضا باتجاه الصداقة نحو الاستقرار والدوام مع زيادة العمر، ففي هذه الظروف تتراكم الخبرات المشتركة التي تيسر الفهم المتبادل[187].

وبهذا نكون قد تناولنا الوقائع التي تبين إسهام مهارتي التعبير عن الاهتمام وفهم الطرف الآخر في عمليات بدء الصداقة، ولدينا الآن بعض الشواهد التي توضح إسهام التجمل في هذا الصدد، ويبدو أن للتجمل آثارا متباينة، فهو من ناحية يرفع من مستوى الجاذبية الشكلية والمرتبطة بتحسن المظهر العام، ويترتب عليها أن يصبح الشخص أكثر جاذبية في أنظار الآخرين، إذ تشير دراسات أجريت في بعض المجتمعات الغربية إلى وجود

تنميطات اجتماعية راسخة يدرك في ظلها الأشخاص المرتفعون في خصال الجاذبية البدنية أنهم أكثر نجاحا، وأعلى ذكاء، وأفضل خصالا مقارنين بمنخفضي الجاذبية، ولذا فهم يحظون بمعاملة متميزة من الآخرين، تنتج من انعكاس تلك المدركات أو التنميطات على السلوك الفعلي (108, 109). ويبدو من ناحية أخرى أن للمظهر الحسن أثرا غير مباشر يتمثل في دعم ثقة الفرد بنفسه مما يجعله أقل توترا، وأقل وعيا، بذاته أثناء تفاعله مع الآخرين، خاصة في مواقف التفاعل الاجتماعي الجديدة ومع أشخاص لم يألفهم الفرد بعد، ويترتب على ذلك انخفاض الشعور بالقلق وعدم الارتياح، الذي قد يكف أو يعوق الأداء الاجتماعي الكفء (167, 59: ص 175)، إذ يؤدى القلق الاجتماعي المرتفع إلى آثار سلبية من بينها خفض ثقة الفرد بنفسه، إلى الدرجة التي تجعله يقيم أداءه في المواقف الاجتماعية تقييما مجحفا، كما تجعله يركز على الجوانب غير المرضية في تفاعلاته وخبراته الاجتماعية الماضية، ويغفل عن الجوانب المرضية في هذا الشأن، مما يؤدي إلى عزوفه عن الدخول في تفاعلات اجتماعية جديدة (انظر5: ص 42).

4- بعد طبيعة الخلافات بين الأصدقاء:

نتج عن التحليل العاملي عاملان في مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة، فسر أحدهما بأنه «عامل الخلافات الصريحة والمباشرة والعنيفة»، ويشمل مصادر الخلاف الآتية: السخرية والاستهزاء، والاعتداء على الممتلكات والحقوق، والمداعبة البدنية الخشنة، والخيانة والخداع، وفسر الثاني بأنه «عامل الخلافات النفسية والضمنية وغير المباشرة» ويتضمن: اختلاف وجهات النظر، والخذلان وعدم الاهتمام، والتنافس، والغيرة والحقد، والتفاخر والغرور. في حين برز عامل واحد عام للخلافات بين الأصدقاء في مرحلة المراهقة المتأخرة.

ولا يتوافر لدينا في الوقت الراهن تفسيرات مباشرة لنتائج التحليل العاملي على هذا النحو، كما لا تتوافر تحليلات عاملية أجريت في بحوث سابقة لمصادر الخلاف بين الأصدقاء نستعين بها في تفسير تلك النتائج، غير أنه يمكننا طرح بعض الفروض، نستمدها من طبيعة العاملين

المستخرجين ومن فهم مستوى الارتقاء العقلي والاجتماعي الذي يميز العينات الثلاث، فلو افترضنا أن التلاميذ الأصغر عمرا لم يستوفوا بعد مستوى متقدما من الارتقاء المعرفي، يترتب على ذلك أنهم أقل إدراكا للمفاهيم المجردة، إذ يمضي الارتقاء المعرفي للأطفال والمراهقين من العيانية المفرطة إلى التجريد والتعميم، فإن صح هذا التوقع يمكننا أن نتوقع عجز التلاميذ الأصغر عمرا عن إدراك مصادر الخلاف التي تتسم بطبيعة مجردة وغير مباشرة بينما يدركون بوضوح مظاهر الخلاف العيانية والصريحة. ويترتب على هذا فجوة وانقسام فيما يتصل بتصوراتهم حول مصادر الخلاف بين الأصدقاء ما بين بروز في إدراكهم للمصادر العيانية وغموض أو قلة في وعيهم بالمصادر المجردة، وهو ما قد يفسر تفرقهما بين عاملين في مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة، أما لدى تلاميذ مرحلة المراهقة المتأخرة ومع بلوغهم قدرا أكبر من النضج العقلي فنفترض أنهم يبدون وعيا متوازنا بنمطي المصادر. مما يزيد احتمال اندماجهما في عامل واحد يشمل مصادر الخلاف.

وهناك دلائل أمبيريقية نستمدها من البحوث السابقة تؤيد ما توصلنا إليه، فعلى سبيل المثال أشار جيوردانو وزملاؤه إلى أن من أبرز أشكال الصراع بين المراهقين: اختلاف الآراء، والغيرة والمنافسة، والخيانة بوصفها إخلالا بشرط الإخلاص بين الأصدقاء(132) وكشفت دراسة أخرى شيوع اللعب الخشن أو العنيف في صداقات الأطفال، إلى الدرجة التي تجعلهم يولون عناية واضحة بصفة القوة الجسمانية في أصدقائهم، إذ يحرصون على اختيار أصدقاء يماثلونهم في القوة الجسمية، أو دونهم قوة(155).

وتتسق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة سابقة تضمنت اقتراحا بإمكان تصنيف مظاهر العدوان في نمطين أحدهما جسمي والآخر لفظي (انظر 39: ص 87)، ويبدو أن مصادر الخلاف العيانية والمباشرة أقرب في طبيعتها إلى العدوان الجسمي، بينما يغلب على مصادر الخلاف المجردة طابع العدوان اللفظي. وقبل هذا بسنوات أشارت هيرلوك إلى اختلاف طبيعة مشاحنات الأطفال والمراهقين، حيث تنشأ الخلافات بين الأطفال عادة حول الممتلكات المادية، وعلى العكس تقع مشاحنات المراهقين لدوافع اجتماعية بالعلاقات القائمة في الجماعات التي ينتمون إليها، مما يعني

زيادة إدراك المراهق للواقع الاجتماعي وللقيم السائدة فيه (انظر 4 2: ص 279).

5- بعد أساليب حل الخلاف مع الأصدقاء:

نتج عن التحليل العاملي لهذا ا البعد عاملان على درجة كبيرة من التماثل عبر العينات الثلاث حيث تشبع على العامل الأول مكونات التسامح والاعتذار، وإظهار الاهتمام، والمواجهة والتفاهم، وتم تفسيره بأنه عامل الحلول المباشرة أو الودية للخلاف مع الصديق، أما العامل الثاني وهو عامل ثنائي القطب فقد تشبع عليه مكونا تجنب الخلاف وتفاديه من ناحية ورفض الوساطة من ناحية أخرى، وفسرناه بأنه «عامل الحلول غير المباشرة بعيدة المدى للخلاف مع الصديق».

ويمكن تفسير انخفاض تفضيل الوساطة لحل الخلاف مع الأصدقاء في ضوء النتائج التي تشير إلى اتجاه الأطفال والمراهقين باطراد نحو الاستقلال عن الراشدين مع التقدم في العمر (24: ص 191)، وفي إطار الاستقلال المتزايد نتوقع انخفاض تقبل تدخل الآخرين-سواء كانوا مدرسين أو راشدين أكبر عمرا لحل الخلافات الشخصية مع صديق مقرب.

هذا عن الوساطة، أما عن تجنب الخلاف أو تفاديه، فنتوقع أن يحظى بقبول مطرد من التلاميذ بدءا من مرحلة الطفولة المتأخرة وحتى المراهقة المتأخرة، لاعتبارين: أولهما-توقع زيادة وعي المراهقين بالمتغيرات التي قد تتسبب في نشوب نزاعات مع أصدقائهم، وبالتالي تزيد احتمالات تفاديها من جانبهم، والثاني-توقع تزايد درجة التماثل بين الأصدقاء مع مضي العمر قدما، ويترتب على هذا تقليل احتمالات الخلافات مقدما، خاصة وأن بعض بنود مقياس تجني الخلاف أو تفاديه تتضمن السعي نحو التماثل لتجنب ما يهدد استقرار العلاقة (منها مثلا: تختار صديقك بحيث تكون حالته المادية مثل حالتك).

6- بعد الإفصاح عن الأسرار للصديق المقرب:

أسفر التحليل العاملي عن استخراج عامل واحد يستوعب كل الموضوعات التي يمكن الإفصاح عنها للصديق في العينات الثلاث، ويزداد هذا العامل

قوة ووضوحا باطراد عبر المراحل العمرية، وقد تشبعت عليه كل المكونات الفرعية باستثناء الموضوعات العاطفية التي لم تتشبع على هذا العامل في عينة الطفولة المتأخرة.

وتكشف النتائج أن الإفصاح عن الذات يمثل مجالا عاما، يقترن فيه الإفصاح عن موضوع ما بالإفصاح عن الموضوعات الأخرى، وتزداد تلك العلاقة قوة مع مضي العمر قدما، ومع ازدياد الثقة في الصديق، ومع اتسام العلاقة بمزيد من العمق والخصوصية، وهو ما يرتبط به انخفاض عدد الأصدقاء باطراد من الطفولة المتأخرة وحتى المراهقة المتأخرة. كما سنوضح بالتفصيل عندما نناقش نتائج المتغيرات السوسيومترية.

ورغم بروز هذا العامل العام فهناك ما يشير إلى إمكان التمييز بين نمطين من الموضوعات المفصح عنها للصديق، وهما الموضوعات الشخصية، والموضوعات الاجتماعية، فالموضوعات الشخصية تشمل الموضوعات الشخصية ذاتها إضافة إلى الموضوعات الدراسية والمدرسية، أما الموضوعات الاجتماعية فتستوعب الموضوعات الاجتماعية ذاتها، بالإضافة إلى الموضوعات العائلية، حيث كشفت نتائج معاملات الارتباط عن وجود ارتباط موجب ومرتفع نسبيا في العينات الثلاث بين مكوني الموضوعات الشخصية والدراسية، إضافة إلى وجود ارتباط موجب ومرتفع نسبيا أيضا بين مكوني الموضوعات العائلية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة بوجه خاص.

تعقيب على الملامح العامة لارتقاء الأبعاد الأساسية للصداقة:

يلاحظ أن هناك قدرا كبيرا من الاتساق في النمط العام المميز لارتقاء مختلف أبعاد الصداقة، ويتمثل هذا النمط في الاتجاه باستمرار، مع مضي العمر، من الاستقلال والتفكك والتمايز بين عوامل الصداقة في الأعمار الصغيرة نحو مزيد من التداخل والتركيب والتكامل والعمومية لدى التلاميذ الأكبر عمرا. وقد اقترحنا بعض التفسيرات المحتملة لهذا النمط، والتي تعتمد في مجملها على قصور الارتقاء المعرفي للتلاميذ في مرحلة الطفولة المتأخرة على وجه الخصوص، واتسام تفكيرهم بالعيانية المفرطة، مع العجز عن التفكير المجرد، ويترتب على هذا وجود فجوة فكرية، يمليهما انصراف كامل إلى المتغيرات العيانية المباشرة التي تتصل بالواقع الملموس، مع انصراف

واضح عن المتغيرات المجردة وغير المباشرة، والتي تتسم بوجود ضمني وغير صريح.

هذا عن بعض التفسيرات المحتملة لاستقلال عوامل أبعاد الصداقة، وينبغي أن نوضح أن هذا النمط من الارتقاء يتباين تباينا شديدا مع اتجاه ارتقاء القدرات العقلية والإبداعية على وجه التحديد، حيث توصل درويش من دراسته عن «نمو القدرات الإبداعية» إلى أن ارتقاء القدرات الإبداعية يمضي مع العمر قدما من التداخل بين القدرات إلى الاستقلال، ومن الارتباط بين القدرات إلى ضعف الارتباط (18 : ص 129).

وهناك ما يدعم نمط الارتقاء الاجتماعي الذي أوضحته الدراسة الحالية، إذ تلتقي نتائجها بشكل واضح مع نتائج دراسة مصرية سابقة أجراها خليفة، وكان موضوعها «ارتقاء نسق القيم لدى الفرد»، وقد أجريت على عينات من التلاميذ والتلميذات في ثلاث مراحل عمرية مماثلة لعيناتنا تضمنت الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة، والمراهقة المتأخرة، وأوضحت النتائج أن المنظور الارتقائي لنسق القيم يمضي في اتجاهه نحو مزيد من التداخل والتكامل عبر العمر، وقد فسر الباحث التعارض بين اتجاهي الارتقاء المعرفي والاجتماعي في ضوء تصور يتلخص في أن المزيد من النضج المعرفي المتجه نحو مزيد من التمايز بين القدرات من شأنه أن يسهم في إبراز أنساق قيمة أكثر تركيبا وتعقيدا مع تقدم العمر(15 : ص 200).

ثانيا- خصائص السياق الاجتماعي والأسري الذي تنعقد فيه الصداقة:

عنيت الدراسة الحالية بأربعة متغيرات تلقي الضوء على بعض خصائص السياق الاجتماعي والأسري الذي تتكون وتمارس في إطاره صداقات الأطفال والمراهقين، وفيما يلي نناقش النتائج الخاصة بكل متغير منها:

1 - الظروف التي تيسر عقد الصداقة:

تبين وجود قدر متوسط من التشابه في ترتيب الظروف التي تيسر عقد الصداقة حسب أهميتها بين عينتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة،

واتضح قدر أكبر من التشابه في ترتيب تلك الظروف لدى عينتي المراهقة المبكرة والمتأخرة، وانخفض التشابه بدرجة كبيرة بين عينتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المتأخرة وجاءت الظروف الميسرة لعقد الصداقة والمميزة لكل عينة بالمقارنة بالعينتين الأخريين على النحو الآتي:

- **في مرحلة الطفولة المتأخرة:** الالتقاء به في المدرسة، اللقاء في ناد أو مكان عام، الاشتراك في عمل جماعي، الخروج معه في رحلة مدرسية، تقديمه مساعدة أو خدمة لك.

- **في مرحلة المراهقة المبكرة:** السكن بالقرب منه، الجلوس بجواره في الفصل، اللقاء في ناد أو مكان عام، المراسلة، الاشتراك في عمل جماعي، الاشتراك معه في لعبة أو هواية، الخروج معه في رحلة مدرسية، المرور معه بمشكلة أو موقف صعب، تقديمه مساعدة أو خدمة بعد خلاف أو مشاجرة معه.

- **في مرحلة المراهقة المتأخرة:** السكن بالقرب منه، الجلوس بجواره في الفصل، صديق آخر يعرفك به، المراسلة، المرور معه بمشكلة أو موقف صعب، بعد خلاف أو مشاجرة معه.

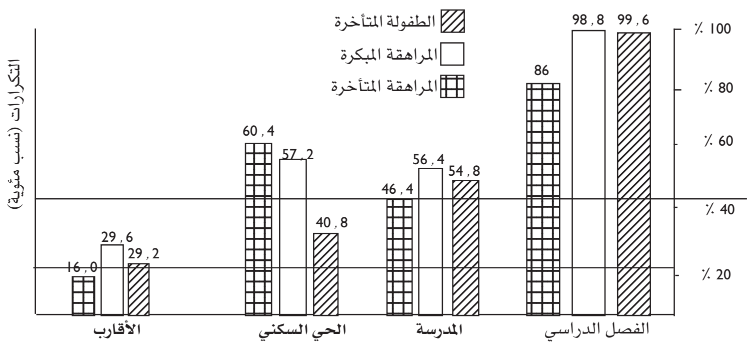
وتكشف النتائج السابقة أن القرب أيا كانت طبيعته عامل رئيسي في تكوين صداقات الأطفال والمراهقين، ونلاحظ أن الظروف الميسرة لعقد صداقات الأطفال تتميز بأنها واسعة المجال (لشمولها للمدرسة والنادي)، أو ذات طبيعة عابرة (مثل الخروج في رحلة مدرسية)، الأمر الذي يرجح اتصاف صداقات الأطفال بالسطحية وعدم الاستقرار.

وفيما يتصل بصداقات عينة المراهقة المبكرة يلاحظ تعدد الظروف الاجتماعية التي تيسر عقد الصداقة، مما يكشف السهولة النسبية التي تعقد بها الصداقة في تلك المرحلة، أما الملامح التي تميز الظروف الميسرة لعقد الصداقة في مرحلة المراهقة المتأخرة فهي وضوح قدر من التحرر يظهر في اختيار أصدقاء على أساس قرب المسكن (بالمقارنة بمرحلة الطفولة المتأخرة)، وبروز مهارات التفاعل الاجتماعي، حيث يبدأ اكتساب الأصدقاء من خلال عمليات التعارف بين الأصدقاء بمساعدة أصدقاء آخرين، وتتسم الظروف هنا أيضا بالإقدام على بذل جهد إيجابي يتمثل في المراسلة، وكذلك وقوف خبرات التفاعل العميق كمعين لاختيار الأصدقاء، حيث يبدأ

تكوين الصداقات بعد معايشة أزمة نفسية مع الصديق أو عقب خلاف معه.

2- مجال اختيار الأصدقاء:

يعرض شكل رقم (5) توزيع النسب المئوية للمجالات التي يختار منها التلاميذ أصدقاءهم في المراحل الارتقائية الثلاث:



شكل رقم (5) توزيع النسب المئوية للمجالات التي يختار منها التلاميذ أصدقاءهم في المراحل الارتقائية الثلاث

ويتضح من الشكل وجود قدر من التشابه بين العينات الثلاث في طبيعة المجال الذي يختار منه التلاميذ أصدقاءهم، إذ يأتي الفصل في المقدمة، ويقع الأقارب في المؤخرة، وتحتل المدرسة والحي السكني موضعين متوسطين في العينات الثلاث، وإن جاء الحي السكني قبل المدرسة من حيث أهميته في تيسير التعارف لدى عينتي المراهقة المبكرة والمتأخرة. وقد أظهرت النسب المئوية لمجالات اختيار الأصدقاء الانخفاض المطرد في أهمية الفصل الدراسي والمدرسة والأقارب كمصدر لاكتساب الأصدقاء عبر مختلف المراحل العمرية من بداية مرحلة الطفولة المتأخرة وحتى نهاية مرحلة المراهقة المتأخرة، وفي المقابل تزيد أهمية الحي السكني في هذا الشأن.

وتسهم نتائج هذا المتغير بالإضافة إلى نتائج المتغير السابق وهو طبيعة الظروف التي تيسر عقد الصداقة في إبراز أهمية التقارب في تكوين الصداقات، حيث يمثل الفصل الدراسي أكثر مصادر اختيار الأصدقاء

أهمية في المراحل الثلاث، بينما لم تتضح للأقارب أهمية ملحوظة. وهناك نتائج متشابهة كشفت عنها البحوث سواء في الفصول الدراسية أو مدرجات الكليات أو المسكن ترتبط بالتجاذب بين الأشخاص، ويستطرد شو موضحا أن القرب لا يقف كمتغير أساسي في حد ذاته، ولكن تتحصر جدواه فيما يهيئه من فرص لاستكشاف مواطن الجاذبية في الطرف الآخر، والتي قد تغري ببدء التعارف وتنمية علاقة اجتماعية (229: ص 84).

3- النشاطات التي يقوم بها التلميذ مع صديقه المقرب:

هناك قدر كبير من التشابه في ترتيب النشاطات التي يمارسها التلاميذ حسب أهميتها في عينتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة، بينما اتضح تشابه متوسط في ترتيب تلك النشاطات في عينتي المراهقة المبكرة والمتأخرة، وانخفض التشابه-إلى حد ما-في ترتيب النشاطات الممارسة في عينتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المتأخرة. وظهر أن النشاطات التي يمارسها نسبة أكبر من التلاميذ في عينتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة بالمقارنة بتلاميذ مرحلة المراهقة المتأخرة هي: الخروج للنزهة والرحلات، زيارات منزلية، الحديث عن المشكلات الاجتماعية، سماع الموسيقى والأغاني، هوايات فنية، مشاهدة المسلسلات والأفلام، قراءة القصص والاطلاع، ممارسة ألعاب رياضية، مشاهدة ألعاب رياضية، الاستذكار ومراجعة الدروس معا. أما النشاط الوحيد الذي برز في عينة المراهقة المتأخرة بالمقارنة بأي من العينتين السابقتين فهو الدردشة عن الزملاء والأصدقاء.

وتؤيد هذه النتائج الظاهرة التي سبقت الإشارة إليها وهي وضوح اتجاه صداقات التلاميذ في مرحلة المراهقة المبكرة إلى التحرر والانطلاق الاجتماعي والتدفق والحيوية، إذ تتكون الصداقة بينهم بيسر وسهولة من خلال تزايد عدد الظروف التي تيسر عقد الصداقة، كما يستغرقون في مختلف أشكال النشاط مع أصدقائهم، بينما تتقلص النشاطات المتبادلة بين الأصدقاء في مرحلة المراهقة المتأخرة لتتركز على الدردشة عن الزملاء والأصدقاء. وإذا أردنا تفسير هذا التباين في العناية بالنشاطات فلا يمكن أن نتجاهل عنصر الإدارة المدرسية والسياسة التعليمية، إذ توحي تلك النتائج باحتمال أن يكون الاهتمام بالنشاطات الفنية والرياضية وغيرها

موجها إلى تلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية فحسب من خلال تخصيص عدد من الحصص الدراسية لنشاطات الموسيقى والرسم والأشغال والتربية الزراعية والحرف البسيطة والألعاب والمسابقات الرياضية ونشاطات الكشافة والرحلات، في حين ينخفض الاهتمام بتلك النشاطات في مرحلة التعليم الثانوي بهدف التركيز على المواد الدراسية الأساسية.

وقد انتهت دراسات سابقة لنتائج مشابهة لما انتهت إليه الدراسة الحالية، فعلى سبيل المثال أشار إبشتين إلى أن النشاط الأساسي في جماعات الأطفال هو اللعب، أما في مرحلة المراهقة، فتتغير طبيعة النشاطات ليصبح أهمها على الإطلاق هو قضاء وقت الفراغ من خلال الأحاديث المتبادلة مع الأصدقاء عن الموضوعات الاجتماعية[120]، ويبدو أن لبروز النشاطات المختلفة ومنها اللعب في مرحلتي الطفولة والمراهقة المبكرة دورا أساسيا في التعجل بالارتقاء المعرفي، نتيجة النشاط الحركي الإيجابي الذي يبذله الطفل أثناء مشاركته مع أقرانه في العديد من النشاطات (10: ص 129)، كما كشفت دراسة سويف عن خصائص صداقات المراهقين المصريين أن الصداقة تقوم في مرحله المراهقة لإشباع رغبة المراهقين في التجمع والتحدث معا عن أشياء مختلفة من بينها: الشكوى المتبادلة، والمسائل المدرسية، والحب والزواج، والسينما، والنكت والنوادر، والأحداث التي لم يشهدها الصديق، وبعض المسائل السياسية والاجتماعية (24: ص 259).

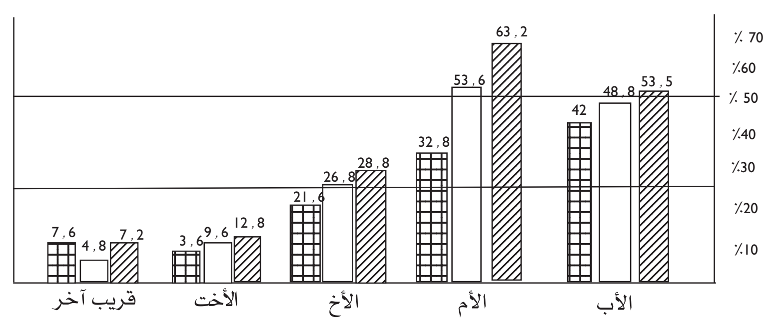
(4) أكثر أفراد الأسرة تدخلا في اختيار أصدقاء التلميذ:

يوضح شكل وقم (6) توزيع النسب المئوية لأكثر أفراد الأسرة تدخلا في اختيار الأصدقاء في المراحل الارتقائية الثلاث.

ويكشف الشكل عن عدد من المؤشرات يتلخص أهمها فيما يلي:

أ-تقل درجة تدخل الأسرة في اختيار الأصدقاء كلما تقدم الأبناء في العمر حيث أظهرت النتائج اتجاه النسب المئوية للتلاميذ الذين أشاروا إلى تدخل الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو أي قريب آخر في اختيار أصدقائهم إلى الانخفاض المستمر مع تزايد العمر لتصل إلى أقل حد في مرحلة المراهقة المتأخرة.

ب-يعد الأب والأم ثم الأخ أكثر أفراد الأسرة تدخلا في اختيار الأصدقاء



شكل رقم (6) توزيع النسب المئوية لأكثر أفراد الأسرة تدخلا في اختيار الأصدقاء في المراحل الارتقائية الثلاث

لدى عينات الدراسة الثلاث. وتعد الأخت والأقارب أقل الأفراد تدخلا.

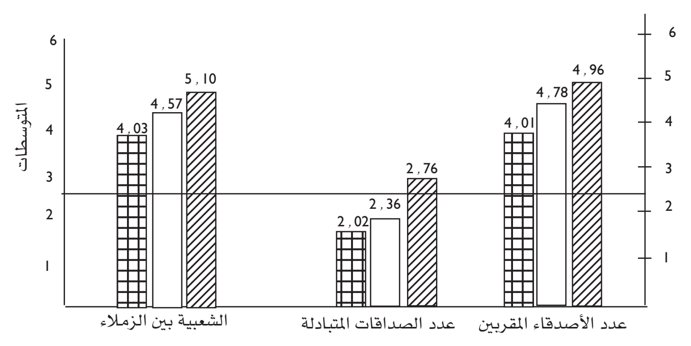
جـ-عند المقارنة بين العينات الثلاث نلاحظ أن الأم أكثر تدخلا من الأب في اختيار أصدقاء الأبناء الصغار (في عينة الطفولة المتأخرة) بينما يعتبر الأب أكثر تدخلا من الأم في المرحلتين التاليتين.

د-يلاحظ الانخفاض في احتمالات تدخل الأخت في اختيار أصدقاء الإخوة الذكور، عبر العينات الثلاث لتصل إلى أقل حد في مرحلة المراهقة المتأخرة، بينما لا تصل النسب الخاصة بانخفاض تدخل الأخ عبر العمر إلى حد الدلالة الإحصائية.

وتتسق تلك النتائج بشكل واضح مع النتائج البحثية التي تظهر تزايد استقلال المراهقين عن الأسرة، وتتسق أيضا مع ما ذكرته هيرلوك في تناولها لخصائص مرحلة المراهقة المتأخرة، حيث أبرزت من بينها: نقصان انشغال الراشدين على المراهق، وانخفاض معدلات التصادم معه، مع السماح له بقدر أعلى من الاستقلال، وهي تغيرات تطرأ على سلوك أفراد الأسرة نتيجة النضج الذي يكشف عنه سلوك المراهق في تلك المرحلة، التي تستقر فيها الاهتمامات والاتجاهات والانفعالات وعلاقات الصداقة، مع تحسن توافق المراهق، وتزايد قدرته على مواجهة المشكلات، والتفكير الواقعي والتخلي عن الطموحات المبالغ فيها، مما يقلل شعوره بوقوف الآخرين عقبة أمام تحقيق آماله (157: ص 466). ويترتب على كل تلك التغيرات انخفاض في احتمالات تدخل الأسرة في اختيار أصدقاء الأبناء.

ثالثا-طبيعة الاختيار المتبادل بين الأصدقاء، وتمايزه عبر العمر:

يعرض شكل رقم (7) توزيع متوسطات المتغيرات السوسيومترية التي تعنى بها الدراسة الحالية لدى عينات الدراسة الثلاث:



شكل رقم(7) توزيع متوسطات المتغيرات السوسيومترية لدى عينات الدراسة الثلاث

ويكشف العرض البياني عن حدوث انخفاض مطرد عبر مختلف المراحل العمرية بدءا من الطفولة المتأخرة وحتى نهاية المراهقة المتأخرة في متوسطات المتغيرات السوسيومترية الثلاثة وهي: عدد الأصدقاء المقربين، وعدد الصداقات المتبادلة، والشعبية بين الزملاء.

وقد انتهت بحوث سابقة إلى تأكيد الانخفاض المطرد في عدد الأصدقاء عبر العمر، فمنذ وقت مبكر أشار «ميك»، Meck إلى أن بين التحولات التي تطرأ على سلوك المراهق وتظهر نضجه الاجتماعي التحول من الارتباط بالجماعة ككل إلى الرغبة في الارتباط بمجموعة صغيرة من الأقران (24: ص 242).

كما افترض «جيزيل» أن ارتقاء العلاقات الاجتماعية يمر بفترات من التوازن، وأخرى من عدم التوازن، حيث تتأرجح بين علاقات غير مستقرة مع عدد كبير من الأقران، وعلاقات حميمة ومركزة مع صديق مقرب، وبوجه عام يشير جيزيل إلى تقدم صداقات الأطفال مع مضي العمر نحو مزيد من النضج الذي يتأتى من خلال تعميق عنصر التبادل بوصفه أهم الأسس التي تقوم عليها الصداقة(197: ص 48).

وهناك شواهد أخرى-بعضها مستمد من التراث العربي والإسلامي- تضيف إلى تأكيد انخفاض عدد الأصدقاء عبر العمر، ومن تلك التفسيرات،

اختلاف طبيعة النشاطات الممارسة بين الأصدقاء في المراحل العمرية المختلفة، أو الرغبة في القيام بواجبات الصديق مما يستلزم الارتباط بعدد محدود من الأصدقاء، أو السعي نحو التماثل الذي من شأنه أن يقلل احتمالات الخلاف بين الأصدقاء. ففيما يتصل بالتفسير الأول يشير إبشتين إلى أن انخفاض عدد الأصدقاء يرجع إلى التفاوت في طبيعة النشاطات التي يمارسها الأطفال والمراهقون، إذ تقوم صداقات الأطفال على المشاركة في اللعب في المقام الأول، وهو ما يقتفي زيادة عدد الأصدقاء لتكوين فرق للعب، أما صداقات المراهقين فتقوم على الإفصاح عن موضوعات اجتماعية وشخصية حميمة، وفي ظل هذا التغير يصير التوسع في عدد الأصدقاء مهددا لشروط الحيطة والسرية. وعن التفسير الذي يذهب إلى تعدد الأصدقاء يحول دون القيام بواجبات الصداقة نحوهم كما ينبغي أن نذكر دعوة ابن مسكويه إلى تقليل عدد الأصدقاء ويبرر رأيه بقوله «إن من كثر أصدقاؤه لم يف بحقوقهم، واضطر إلى الإغضاء عن بعض ما يجب عليه، والتقصير في بعضه» (2: ص 142).

وعن السعي نحو التماثل كتفسير لانخفاض عدد الأصدقاء يذكر الماوردي «إذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة، وأسباب المودة، كان وفور العقل وظهور الفضل يقتفي من حال صاحبه قلة إخوانه» (49: ص 171)، ويتوافر من بياناتنا ما يدل بالفعل على ازدياد الرغبة في التماثل كخصلة مرغوب فيها في الصديق مع مضي العمر قدما.

وعن تفسير انخفاض متغيري عدد الصداقات المتبادلة والشعبية يبدو أن انخفاضهما مع تزايد العمر قد نتج عن انخفاض عدد الصداقات المتبادلة في العينتين التاليتين، ففي ضوْ الارتباط المرتفع بين متغيري عدد الأصدقاء المقربين وعدد الصداقات المتبادلة يؤدي اختيار عدد كبير من الأصدقاء إلى تزايد احتمالات تحقيق عدد أكبر من الصداقات المتبادلة، إذا صادف اختيار التلميذ-لبعض زملائه كأصدقاء مقربين-اختيارهم له، وبالتالي يؤدي تقييد عدد الأصدقاء المقربين إلى تقليل احتمالات عقد صداقات متبادلة. وبالمثل يمكن أن نتصور ما يترتب على انخفاض عدد الأصدقاء من انخفاض في متوسطات الشعبية، والتي تتوقف على عدد الاختيارات التي يذكرها أعضاء الجماعة، فكلما زاد عدد الاختيارات، تزايدت احتمالات أن يحصل

أحد الأشخاص على اختيارات أكثر تشير إلى شعبيته وقبوله بين زملائه.

رابعا- علاقة أبعاد الصداقة بالمرحلة الارتقائية والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة:

اعتمدنا على أسلوب تحليل التباين ذي التصنيف في اتجاهين لاختبار دلالة الفروق في متوسطات بعض مكونات ومتغيرات الصداقة بين مختلف المجموعات العمرية (أو المراحل الارتقائية) وعبر المستويات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة للأسرة (معبرا عنها من خلال مستوى مهنة الأب)، وأيضا نتيجة للتفاعل بين هذين المتغيرين.

وفيما يلي نناقش أولا نتائج المقارنات بين المجموعات الارتقائية بغض النظر عن المستويات الاجتماعية والاقتصادية.

1 - المقارنات بين المجموعات الارتقائية:

وإذا أردنا تلخيص اتجاه الفروق الدالة إحصائيا بين المجموعات العمرية بوجه عام، نلاحظ النتائج الآتية: هناك ستة مكونات أظهرت ارتفاعا دالا مع زيادة العمر بين مجموعتين أو أكثر وهي:

1- الإفصاح عن الذات كوظيفة من وظائف الصداقة.
2- التماثل كخصلة مرغوب فيها في الصديق.
3- الخذلان وعدم الاهتمام من بين مصادر الخلاف بين الأصدقاء.
4- الإفصاح عن الموضوعات العائلية للصديق.
5- الإفصاح عن الموضوعات الشخصية.
6- مدة دوام الصداقة.

وهناك ثمانية مكونات أظهرت انخفاضا بين مجموعتين أو أكثر مع مضي العمر قدما، وهي:

1- الاكتساب والتنمية من وظائف الصداقة.
2- العناية بالمظهر كخصلة مرغوب فيها في الصديق.
3- التعبير عن الحب لبدء صداقة مع زميل آخر.
4- الاعتماد على الوساطة لحل خلاف مع صديق.
5- درجة تدخل الأسرة في اختيار الأصدقاء. 6-

عدد الأصدقاء المقربين.

7- عدد الصداقات المتبادلة.

8- الشعبية بين الزملاء.

ولم تكشف ثلاثة مكونات عن فروق دالة بين المجموعات العمرية، وهي:

1- حسن الخلق من الخصال المرغوب فيها في الصديق.

2- السخرية والاستهزاء كمصدر للخلاف بين الأصدقاء.

3- إظهار الاهتمام كأسلوب لحل خلاف مع الأصدقاء.

وهناك نتائج مشابهة كشفت عنها الدراسات السابقة، تؤيد نتائجنا ونذكر من بينها ما يلي:

أ-تشير البحوث السابقة إلى أن صداقات الأطفال أقل عمقا وخصوصية، وتتركز حول النشاطات التي تساعد الطفل على اكتساب المزيد من الخبرات. أما صداقات المراهقين فهي أكثر خصوصية ويغلب عليها طابع العلاقة الحميمة، ويستند الدافع وراءها إلى الإفصاح عن موضوعات اجتماعية وشخصية، وعلى هذا تبرز وظيفة الاكتساب والتنمية في الطفولة، بينما تؤكد صداقات المراهقين على الإفصاح عن الذات وتبادل التأييد ودعم الثقة بالنفس.

ب-يبدو أن تأكيد شرط حسن الخلق يبدأ منذ فترة مبكرة في الطفولة، ومع تقدم العمر تضاف خصال جديدة يشترط توافرها لقيام الصداقة، ولكن ذلك لا يكون على حساب حسن الخلق، الذي يظل مستقرا بوصفه الضامن الأساسي لولاء الصديق ووفائه وصدقه، وقد نسب إليها لاجيبا وظيفة الترشيح باعتبار أن الخصال الأخلاقية قناة لا تسمح إلا بنفاذ الأصدقاء ذوي الأخلاق الحسنة (179: ص 173).

وفي المقابل تظهر النتائج اهتماما متزايدا بتوافر شرط التماثل في الصديق، ويعني من واقع بنود المقياس التقارب في العمر، والمسكن، ومستوى التحصيل الدراسي، والتفكير والطباع الشخصية، والهوايات والألعاب المفضلة، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة. وهي نتيجة تتفق مع نتائج دراسة سويف المبكرة عن صداقات المراهقين والراشدين، حيث اتضح أن المراهقين يعللون صداقاتهم باتفاق الآراء والأذواق والتفضيلات. كما تبين أن الأصدقاء غالبا ما يتماثلون في الجنس والعمر والدين والمستوى

الاجتماعي والاقتصادي (24: ص 270). وقد أشار إبشتين إلى أنه مع تقدم العمر يختار التلاميذ أصدقاءهم من بين زملائهم الذين يماثلونهم في الاتجاهات وسمات الشخصية والقدرات العقلية (120 , 121).

وهناك تفسير لرغبة في التماثل يستند إلى أن التفاوت الشاسع بين الأصدقاء في القدرات العقلية أو السمات الشخصية قد يمثل تهديدا للذات إذ توضح بعض الدلائل أن عقد صداقة مع قرين يتمتع برصيد هائل من القدرات العقلية أو يتحلى بمميزات اجتماعية يفتقدها ويرغب فيها الطرف الأول قد يكون مصدرا للتنغيص والتهوين المستمر من شأن الذات (49 1: ص 5 4 , 242)، ويضاف إلى هذا أن المراهقة المبكرة كما يتصورها أريكسون هي مرحلة الاستكشاف المتبادل للذات، ولذا يبلغ الحرص على توافر خصلتي التماثل والولاء أقصى مداه (110: ص 65). ومن الطريف أن أرسطو قد أدرك مبكرا جدا آثار التماثل، إذ يشير إلى أن «تشابه الصديقين هو الذي يحفظ الصداقة من الشقاق والخلاف الذي تتعاظم احتمالاته عندما يكون أحد الصديقين أرفع من الآخر مكانة، أو أشد نفعا (9: الجزء الثاني، ص ص 72 2- 73 2).

جـ-ومن البحوث التي تؤيد تزايد الرغبة في الإفصاح عن الذات عبر العمر، نذكر بحث مانارينو والذي توصل إلى أن من بين النشاطات التي تميز تفاعل الأصدقاء-عن غير الأصدقاء-الحديث عن الآمال المنتظرة في المستقبل، والإفصاح عن أمور تتصل بالأسرة [197] وأظهرت دراسة أخرى أن من بين الخصال التي يتوقعها الأطفال في أصدقائهم: الطيبة والمشاركة في النشاطات وتبادل المساعدة)، بينما يتوقع الأطفال الأكبر عمرا المشاركة في الأسرار وتبادل المشاعر [209].

وتضيف دراسات أخرى استكشافا لدوافع الرغبة المتزايدة في الإفصاح عن الذات-كما يتصورها المراهقون، ومنها ظهور بوادر تصدع العلاقة بين المراهق وأسرته، والذي ينشأ من إدراك المراهق لنفسه على أنه أصبح رجلا، ومع هذا لا يلقى المعاملة التي يستحقها من أفراد أسرته مما يرسخ في ذهنه أن أصدقاءه الذين يعانون من نفس ظروفه هم الأقدر على فهمه وتخفيف معاناته عن طريق الإفضاء إليهم بهمومه وأسراره[24].

2- المقارنات بين المستويات الاجتماعية والاقتصادية:

عندما ننظر في اتجاه الفروق الدالة بين المجموعات على أساس المستوى الاجتماعي والاقتصادي، يتبين أنه كلما ارتفع هذا المستوى تتضح النتائج التالية:

1- انخفاض تقدير الاكتساب والتنمية كوظيفة من وظائف الصداقة.

2- انخفاض الاستعداد لإظهار الاهتمام لحل خلاف مع صديق مقرب.

3- تزايد الاستعداد للتعبير عن الحب لبدء صداقة.

4- تزايد الاستعداد للإفصاح عن الموضوعات الشخصية في حضور الصديق.

ويلاحظ تطابق النتائج السابقة مع اتجاهات الفروق العمرية فيما يتعلق بمكوني الاكتساب والتنمية والإفصاح عن الموضوعات الشخصية، حيث يقل المكون الأول ويزيد الثاني مع تقدم العمر.

أما النتيجة الخاصة بتزايد الاستعداد للتعبير عن الحب لبدء صداقة لدى المستوى الاجتماعي والاقتصادي الأعلى فهي نتيجة لا تتفق مع التغيرات العمرية التي كشفت عن تناقض في تفضيل هذا المكون وكذلك النتيجة التي تشير إلى انخفاض تفضيل أسلوب إظهار الاهتمام لحل الخلافات مع الصديق لدى ذوي المستويات الاجتماعية والاقتصادية المرتفعة، حيث تبين أنه أسلوب مستقر في كل الأعمار.

3- التفاعل بين المراحل الارتقائية والمستويات الاجتماعية والاقتصادية:

نكتفي هنا بوصف خصائص نمط من التفاعل بين المراحل الارتقائية والمستويات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة أبرزته النتائج بوضوح، وإن لم نكن نتوقعه منذ البداية، وسوف نرجئ النظر في محاولة تفسيره إلى أن نتمكن من إجراء بحوث أخرى في المستقبل تستهدف التحقق من استقراره وتحديد طبيعة المتغيرات النفسية والاجتماعية التي تسهم في تشكيله.

ويتمثل هذا النمط في ظهور تباينات عمرية في بعض خصائص الصداقة تبعا لتفاوت المستويات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، في الاتجاه الذي يبدو من خلاله أن الأطفال الذين سينتمون إلى أسر منخفضة المستوى أكثر

اهتماما بالجاذبية الشكلية كخصلة مرغوب فيها في الصديق، وأكثر تلقائية في الإفصاح عن أنفسهم مع أصدقائهم، وأكثر اجتماعية وشعبية مقارنين بأترابهم من الأطفال الذين ينتمون إلى أسر مرتفعة المستوى، ثم لا يلبث هذا النمط أن ينعكس في مرحلة المراهقة المتأخرة ليبدو من خلاله أن المراهقين الذين ينتمون إلى مستويات اجتماعية واقتصادية منخفضة أقل اهتماما بحسن المظهر كشرط للصداقة وأقل تلقائية في الإفصاح عن أنفسهم مع الصديق المقرب، وأقل اجتماعية وشعبية مقارنين بزملائهم الذين ينتمون إلى مستويات اجتماعية واقتصادية مرتفعة.

ولعل من الضروري في هذا السياق إيضاح طبيعة المعلومات التي نحتاج إليها لتفسير هذا النمط، والذي يمكن أن نطلق عليه «الانسحاب الاجتماعي المرتبط بانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي في مرحلة المراهقة المتأخرة» أو بمعنى أدق «التباينات العمرية في علاقة المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة بالتوجهات الاجتماعية لدى الأطفال والمراهقين»، ومن هذه المعلومات أساليب التنشئة الاجتماعية التي تلجأ إليها الأسر مرتفعة المستوى الاقتصادي والاجتماعية مقارنة بالأسر منخفضة المستوى (انظر: 31, 40)، وبحث الهاديات التي يعتمد عليها التلاميذ أنفسهم في تقدير المستوى الاقتصادي والاجتماعي لأسرهم وأسر زملائهم، . فقد نتصور أن انسحاب المراهق قد يرجع إلى إدراكه لتواضع مستوى أسرته بالمقارنة بأسر زملائه، ونحتاج كذلك إلى معرفة الفروق بين المستويات الاقتصادية والاجتماعية المنخفضة والمرتفعة في أساليب قضاء وقت الفراغ وفي الاتجاه المبكر إلى العمل (خلال الإجازات الصيفية)، فمن المحتمل أن تكون الضغوط الاقتصادية التي تعاني منها الأسر الفقيرة دافعا للأبناء الذين تعدوا مرحلة الطفولة إلى الاشتغال بعمل يدر عائدا يساعدون به أسرهم أو يخففون عنها نفقتهم، مما يحول بين الشاب الصغير وبين أصدقائه. وتجدر الإشارة إلى أن تلك التفسيرات لا تخرج عن كونها فروضا لم نتحقق منها بعد.

خامسا- إسهام الدراسة الحالية في مجال بحوث الصداقة:

تتلخص أهم إسهامات الدراسة الحالية في مجال بحوث الصداقة في الجوانب التالية:

أ- وضع إطار عام لتوجيه البحث في هذا المجال يرتكز على ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

1- الأبعاد الأساسية للصداقة: والتي تشمل ستة أبعاد تبحث في جوانب الصداقة الستة التالية: وظيفة الصداقة، والخصال المرغوب فيها في الصديق، ومهارات بدء الصداقة، وطبيعة الخلافات بين الأصدقاء وأساليب حل الخلاف مع الأصدقاء، والإفصاح عن الأسرار للصديق المقرب.

2- خصائص السياق الاجتماعي والأسري الذي تنعقد فيه الصداقة

3- الخصائص السوسيومترية لعلاقات الصداقة، وتمايزها عبر العمر.

ب- توفير مجموعة من المقاييس لتقدير أبعاد الصداقة، وإلقاء الضوء على بعض المتغيرات والظروف التي تصاحبها، وقد تحققنا بأساليب إحصائية مختلفة من استيفاء هذه المقاييس لقدر مرض من حيث الثبات والصدق، مما يجعلها جديرة بالاعتماد عليها في بحوث تالية.

جـ- تلافي أبرز مظاهر القصور التي اكتنفت البحوث السابقة في المجال، وهي ضيق مجال الاهتمام، وصغر العينات، والمقارنة بين مراحل ارتقائية محدودة أو الاقتصار على مرحلة واحدة دون غيرها، واستخدام مقاييس مختلفة لتقدير نفس المتغير عبر مختلف المراحل العمرية مما يعوق إمكان المقارنة بينها ويخل بدقة الاستنتاج منها.

د- تزويد المجال بمعلومات تسد بعض الثغرات أو تحسم بعض التعارضات القائمة-نظرا لاعتمادها على عينات كبيرة تغطي ثلاث مراحل ارتقائية مع اتساع مجال الاهتمام، ومن تلك المعلومات:

1- اتجاه ارتقاء أبعاد الصداقة من الاستقلال إلى التداخل والتركيب، ومن العيانيه إلى التجريد.

2- وضوح تأثير التقارب في تيسير عقد الصداقة في كل الأعمار، وبروز تأثير خبرات التفاعل الاجتماعي المتعمق في تيسير تكوين الصداقة لدى التلاميذ الأكبر عمرا.

3- قيام صداقات التلاميذ الأصغر عمرا (في مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة) على ممارسة مختلف أنواع النشاط مع الأصدقاء بينما تقوم صداقات التلاميذ الأكبر عمرا (في مرحلة المراهقة المتأخرة) على الإفصاح عن الموضوعات الاجتماعية مع الأصدقاء.

4- يمضي ارتقاء العلاقات الاجتماعية نحو الانخفاض في عدد الأصدقاء المقربين وعدد الصداقات المتبادلة والشعبية بين الزملاء.

5- عبر مسار الارتقاء من الطفولة المتأخرة وحتى نهاية مرحلة المراهقة المتأخرة، تتجه بعض مكونات الصداقة إلى الارتفاع وتستقر مكونات أخرى أو تنخفض باطراد، فعلى سبيل المثال يزيد الاستعداد للإفصاح عن الأسرار للصديق المقرب، ويستقر حسن الخلق كخصلة مرغوب فيها في الصديق، وينخفض تقدير الاكتساب والتنمية كوظيفة من وظائف الصداقة.

6- هناك تباينات عمرية واضحة تحكم العلاقة بين بعض خصائص الصداقة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة.

هـ- إثارة عدد من الأسئلة تستلزم إجراء بحوث تالية للإجابة عنها، ومن أهم المشكلات التي توحي بها الدراسة الحالية:

1- دراسة الفروق بين الجنسين في خصائص الصداقة.

2- إجراء دراسة طولية(أوت تبعية) لاستكشاف خصائص ارتقاء بعض أبعاد الصداقة لدى مجموعة من الأشخاص يتم تتبعهم عبر فترات زمنية طويلة نسبيا.

3- استكشاف ملامح ارتقاء الصداقة بتعميم الدراسة على عينات أخرى، في مراحل الطفولة المبكرة والمتوسطة، ثم مراحل الشباب والرشد ولدى كبار السن بعد تصميم الأدوات الملائمة.

4- استكشاف الفروق بين التلاميذ المتفوقين وغير المتفوقين دراسيا في بعض توجهاتهم الاجتماعية وفي تصوراتهم لبعض أبعاد الصداقة.

5- بحث العلاقة بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة وارتقاء تصورات الأطفال والمراهقين لأبعاد الصداقة، وعلى أن تراعي تلك البحوث متغيرات أساسية من بينها: الاعتماد على مؤشرات متعددة للمستوى الاجتماعي والاقتصادي بدلا من الاقتصار على مؤشر مستوى مهنة الأب.

6- استكشاف العوامل المحددة للإفصاح الملائم عن الذات في مختلف الأعمار في البيئة العربية.

7- تنظيم برامج لتنمية مهارات الصداقة لدى الأفراد من مختلف الأعمار.

وقبل أن نختتم حديثنا في موضوع الصداقة نقدم في الفصل التالي بعض الهاديات التي يمكن الاسترشاد بها في دعم مهارات الصداقة وتحسين

الكفاءة الاجتماعية، والتي تصلح لكل الأشخاص باختلاف أعمارهم وتناسب الأطفال بصفة خاصة.

15 أساليب مقترحة لدعم مهارات الصداقة وتحسين التفاعل الاجتماعي

نقدم للقارئ في الصفحات التالية بعض الأساليب التي يقترحها المتخصصون في مجال سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص لدعم مهارات الصداقة وتحسين الكفاءة الاجتماعية، وسنتبع في عرضها التقسيم الذي قدمه فورمان Furman حيث صنفها في فئتين على النحو التالي:

أولا- مجموعة الأساليب التي تركز على الشخص الذي يفتقد الكفاءة الاجتماعية، وذلك بتوعيته وتعليمه مبادئ السلوك الاجتماعي الكفء مع تدريبه على ممارستها وتعديل أفكاره غير المتوافقة التي تحول بينه وبين استغلال رصيده الكامن من المهارات الاجتماعية.

ثانيا- مجموعة الأساليب التي تركز على السياق الاجتماعي المحيط بالشخص المضطرب اجتماعيا من خلال إشراك أفراد الأسرة والأقران والمدرسين في عمليات تدريب المهارات الاجتماعية[127].

وجدير بالذكر أن بعض ما سنعرضه من أساليب يتسم بقدر من الدقة والتعقيد ويقتفي من الشروط ما يجعله مقصورا على ممارسات المتخصصين في ميادين علم النفس، خاصة علم النفس الاكلينيكي والاجتماعي والإرشاد النفسي، ولعل معظم أساليب الفئة الأولى من هذا النوع، أما بعضها الآخر فيتميز بقدر نسبي من البساطة ولا يستلزم توافر شروط أو خبرات خاصة، ولذا يمكن تعميمها والإفادة منها في الحياة الواقعية بدون الحاجة إلى التخصص الدقيق، ويلاحظ أن الكثير من ممارسات الفئة الثانية تتصف بهذا الطابع وعلى هذا يمكن أن يفيد منها الآباء والمدرسون والمهتمون بالعمل الاجتماعي في تحسين توافق الأبناء سواء في نطاق الأسرة أو المدرسة أو النادي أو في أي سياق آخر.

ونلقي الضوء فيما يلي على بعض أساليب تحسين الكفاءة الاجتماعية والتي تندرج في كل فئة منهما:

أولا- الأساليب التي تركز على الشخص الذي يفتقد الكفاءة الاجتماعية:

نتناول في إطار تلك الفئة نوعين من الأساليب، يستهدف أولهما تدريب الشخص على المهارات الاجتماعية الصحيحة، ويهدف الثاني إلى تعديل أفكاره الخاطئة التي تعوق الأداء الاجتماعي الكفء، وذلك على النحو التالي:

1- التدريب على المهارات الاجتماعية الصحيحة:

يفترض هذا الأسلوب أن عجز الشخص عن التوافق في المواقف الاجتماعية إنما يرجع إلى خلل في رصيده من المهارات المناسبة لتلك المواقف، أو إلى نقص الخبرة، أو إلى التعلم الخاطئ لبعض التصرفات غير المتوافقة. وفي ضوء هذا التشخيص يرى أنصار هذا المنحى أن علاج ذلك الخلل-أو تعويضه جزئيا على الأقل-يستلزم تقديم تدريب مناسب يوفر للشخص بدائل سلوكية أكثر مهارة(102 : ص 325).

يمضي التدريب في عدة خطوات تبدأ بتحديد طبيعة الصعوبات التي يعاني منها الشخص عندما يتفاعل مع الآخرين، وكذلك تحديد طبيعة المواقف التي يواجه فيها تلك الصعوبة، ثم تفصل له مجموعة من البرامج

التدريبية التي يناط بها إكسابه المهارة الاجتماعية التي تعوزه في الموقف الاجتماعي المشكل بالنسبة له. وفي معظم الحالات يتم تدريب المهارات الاجتماعية من خلال تنفيذ واحد أو أكثر من الأساليب التدريبية الآتية:

أ- التعلم بالخبرة:

يعتمد هذا الأسلوب على إتاحة الفرصة للشخص الذي يفتقد مهارة معينة لكي يتعلمها بنفسه وذلك بأن يجرب استجابات مختلفة إلى أن يصل إلى الاستجابة الصحيحة من خلال المحاولة والخطأ، على أن تجرى تلك المحاولات (في بعض الأحيان) تحت إشراف أخصائي نفسي أو مدرب متخصص يتدخل من حين إلى آخر لتوجيه الشخص وإعطائه النصائح التي تستهدف تعديل السلوك أو تحسينه.

وقد أثبتت الممارسة العملية أن هذا الأسلوب قد يكون عديم النفع في حالات كثيرة، وذلك لأن الشخص قد لا يستطيع أن يكتشف بنفسه الاستجابة الصحيحة، بل وقد يتعلم الاستجابات الخاطئة ويثبت عليها لتكرار ممارساته لها وتعوده عليها. ولذا يقترح أرجايل عدة إجراءات لتحسين كفاءة التعلم بالمحاولة والخطأ نذكر من بينها: الاعتماد على التقليد imitation بقدر الإمكان، وذلك بأن يشاهد المتدرب بعض الأشخاص وهم يؤدون الاستجابة المطلوب تعلمها بطريقة صحيحة، ثم ملاحظة المتدرب وهو يؤدي الاستجابة نفسها، وتعريفه بالأخطاء التي ارتكبها (وهو ما يعرف بتقديم العائد feedback)، ثم إتاحة الفرصة للمتدرب لكي يعيد المحاولة ويصحح أخطاءه، على أن يحرص المدرب على إرساء علاقة إنسانية حسنة مع المتدرب لكي تزيد دافعيته وحماسة فيقبل على التدريب إلى نهايته (60: ص 191).

ب- القراءة الموجهة:

تعتمد بعض التدريبات على توجيه المتدرب وتشجيعه على قراءة نوعية معينة من الكتب-أو القراءات بشكل عام-والتي يتوسم المدرب أنها ستفيده في التغلب على الصعوبات النفسية التي يعاني منها. وقد أثبتت القراءة فاعليتها في تخفيف بعض مظاهر الاضطراب الجسمي والنفسي ومنها على سبيل المثال السمنة والمخاوف والقلق والتدخين وصعوبات عقد الصداقة والعجز عن توكيد الذات.

ويشير أرجايل إلى أن القراءة تمثل أكثر أساليب التعلم الذاتي شيوعا،

ويذكر من أهم وأشهر الكتب في هذا الصدد كتاب «التدريب على توكيد الذات» والذي ضمنه مؤلفه بوور Bower الكثير من التوجيهات التي تعين القراء على الدفاع عن حقوقهم أو التعبير عن آرائهم الشخصية حتى لو كانت معارضة لآراء الآخرين، وذلك بأسلوب ودي وصريح ويخلو من التوتر ولا يصل إلى حد الاعتداء على الآخرين أو جرح مشاعرهم. ومن هذه الكتب أيضا كتاب «كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس ؟» ومؤلفه هو ديل كارنيجي Carnegie وهو يفوق الكتاب الذي ذكرناه أولا من حيث الشهرة والشيوع (60: ص 192)، وفي السطور التالية نقدم بعض الأفكار التي تضمنها هذا الكتاب بوصفها نموذجا يكشف لنا نوعية الأفكار التي ترد في سياق القراءة الموجهة:

يذكر كارنيجي (48: ص 122) ست طرق من شأنها أن تجلب محبة الناس ويصوغها على النحو الآتي:

1- أظهر اهتماما بالناس.

2- ابتسم.

3- تذكر أن اسم الرجل هو أجمل وأحب الأسماء إليه (أي خاطب الآخرين بأسمائهم، لأن هذا يسعدهم).

4- كن مستمعا طيبا وشجع غيرك على الكلام عن نفسه.

5- تكلم فيما يسر محدثك ويلذ له.

6- أسبغ التقدير المخلص على الشخص الآخر واجعله يشعر بأهميته.

ويقدم تسع طرق تعين على امتلاك زمام الناس والتأثير فيهم دون الإساءة إليهم ويلخصها فيما يلي (48: ص 239).

1- ابدأ بالثناء المستطاب والتقدير المخلص.

2- الفت الأنظار إلى الأخطاء من طرف خفي.

3- تكلم عن أخطائك قبل أن تنتقد الشخص الآخر.

4- قدم اقتراحات مهذبة، ولا تصدر أوامر.

5- دع الرجل الآخر يحتفظ بماء وجهه.

6- امتدح أقل الإجادة وكن مخلصا في تقديرك، مسرفا في مديحك.

7- أسبغ على الرجل ذكرا حسنا يقوم على تدعيمه.

8- اجعل الغلطة التي تريد إصلاحها تبدو ميسورة التصحيح.

9- حبب إلى الشخص الآخر العمل الذي تقترحه عليه.

وواضح من تلك الأفكار أن السمة الغالبة عليها هي الميل إلى المودة ومراعاة مشاعر الآخرين مع المسالمة والتسامح الشديد والذي يصل إلى درجة مبالغ فيها من المثالية حتى تبدو غير عملية في بعض المواقف.

وعلى الرغم من ذلك فإنها تعود بالنفع على قطاع لا بأس به من الأشخاص.

جـ- الشرح والاقتداء والممارسة الفعلية:

يمثل هذا الأسلوب جوهر ما نعنيه بتدريب المهارة الاجتماعية، وهو يقوم على تعليم المتدرب بمبادئ المهارة الاجتماعية موضع الاهتمام ثم مناقشته فيما تعلمه وتقديم عائد له يتضمن ملاحظات المدرب نحو تصور المتدرب وفهمه لطريقة أداء المهارة المطلوبة، ثم تتاح الفرصة له لكي يشاهد شخصا آخر وهو يؤدي الاستجابة بطريقة ماهرة، ويطلب منه المدرب بعد ذلك أن يقلد ويكرر ما شاهده، ويشجعه إذا أدى الاستجابة المرغوب فيها أو يلفت نظره إلى عيوبه في الأداء، وتعاد تلك الإجراءات حتى يتقن المهارة أو يؤديها بشكل مرض (60: ص 197).

تلك هي الإجراءات الأساسية كما تتم في الممارسة العملية، ونضيف فيما يلي تفاصيل لا بد منها لكي تتضح أمامنا كل جوانب هذا الأسلوب:

- يتم تقديم الشرح في معظم الحالات من خلال محاضر توضح الجوانب المتصلة بالمهارة المستهدفة، وقد وضحت أهمية المحاضرات في نقل المعلومات وإن لم تثبت جدواها في تغيير الاتجاهات، ويوصي بعض الباحثين بمراعاة عدة نقاط عند تقديم المحاضرات، ومن ذلك تدريب المحاضر على إثارة انتباه المتدربين ودعم العلاقة الودية بينه وبينهم حتى يكون مقبولا من جانبهم، ويزيد بالتالي اقتناعهم بالأفكار التي يطرحها عليهم.

- يلاحظ أن المناقشة التي تعقب المحاضرة تفوق في أهميتها المحاضرة في حد ذاتها حيث تؤدي المناقشة دورا إيجابيا في ترسيخ الأفكار الصحيحة وتعديل الأفكار الخاطئة. ورغم ذلك فإن المحاضرة والمناقشة أيضا قد لا تغنيان عن الاقتداء والممارسة الفعلية، وعلى هذا تنحصر قيمة المحاضرة والمناقشة في تهيئة المتدربين لتلقي الإجراءات التدريبية الأكثر نفعا.

- تقوم عمليات الاقتداء أو التعلم الشهودي observational learning أو ما

يسمى أحيانا أداء الدور role playing على تصور يتلخص في أن المتدرب يمكنه أن يكتسب مبادئ الاستجابة المرغوب فيها من خلال مشاهدة الآخرين وهم يؤدون الاستجابة المطلوبة بكفاءة (سواء من خلال الرؤية المباشرة أو من خلال شرائط الفيديو أو العرض السينمائي)، ويطلب منه عقب ذلك تقليد ما رآه، وأحيانا يتم تسجيل أدائه وحركاته باستخدام كأميرة فيديو، ثم يقوم المدرب بالتعليق على أداء المتدرب وذلك بإعادة تشغيل الشرائط المسجلة، ويتم توجيه المتدرب إلى جوانب القصور في أدائه (كأن يطلب منه ألا يخشى النظر في عين من يحدثه، أو ينصح بتجنب الحديث بصوت خفيض ينم عن الخجل المفرط)، وتعاد المحاولة والتسجيل مع تقديم الدعم للمتدرب عندما يستجيب لتعليمات مدربه (وذلك بتعبيرات تدل على الثناء مثل: أحسنت، برافو عليك، المرة القادمة سيكون أداؤك أفضل وأفضل.. .. الخ).

ويوجد عدد من الأفلام وشرائط الفيديو الجاهزة والمخصصة لتنمية مهارات اجتماعية معينة، وجميعها برامج أجنبية ومعظمهما أمريكية، ويمكن للباحث أن يعد الأفلام المطلوبة بنفسه إذا توافرت له الإمكانات الفنية والتكنولوجية. ويرى أرجايل أن برامج الاقتداء وأداء الدور يمكن أن تكون عظيمة النفع إذا أحسن استغلالها، ويقترح في هذا الشأن عدة إجراءات لدعم فاعليتها، ونذكر من بينها: إثارة دافعية المتدربين وتشجيعهم على تبني اتجاهات إيجابية نحو التدريب، تهيئة مناخ اجتماعي يمارس فيه التدريب يمزج بين المتعة والجدية، توزيع التدريب عبر برنامج تدريبي يبدأ أولا بشرح المهارة المطلوبة قبل مشاهدتها من خلال الفيديو، ومناقشة الأفكار المتصلة بها قبل وعرض الشريط، والإفادة من إمكانات العرض البطيء بهدف التركيز على الجوانب الدقيقة التي تتضمنها المهارة مع توضيح التتابع الكفء لمكوناتها، ثم محاولة تقليد كل جزء بعد عرضه على أن تؤدي الاستجابة كاملة في النهاية بعد إتقانها مجزأة (60: ص 196).

ونقدم في الصفحات التالية نماذج من البرامج التدريبية التي تستهدف تنمية مهارات اجتماعية وثيقة الصلة بتكوين الصداقة. وننوه قبل، أن نبدأ في عرضها إلى أن الخطوات السابقة قد لا تجتمع جميعها في كل البرامج التدريبية. فهناك برامج تدريبية تقتصر على الشرح أو المناقشة الجماعية،

وهناك برامج أخرى تركز على جانب الاقتداء وأداء الدور، كما تعطي بعض البرامج وزنا كبيرا لفكرة تقديم العائد (أي التعليق على أداء المتدرب) بينما قد تتجاهله برامج أخرى. وبصفة عامة-وكما يذهب إلى ذلك رين وماركل- يندر أن نجد برنامجا تدريبيا قائما على واحد فقط من تلك المكونات، إذ يتألف معظمها من مزيج من المكونات المذكورة (221: ص 118) على النحو الذي يكشفه لنا العرض المختصر لبعض البرامج التدريبية:

1- برنامج أودين وآشر (عام 1977):

استهدف برنامج أودين Oden واشر Asher تدريب مجموعة من الأطفال على المهارات الاجتماعية اللازمة لتكوين صداقة مع الأقران. وقد طبق البرنامج على عينة من أطفال المدارس الابتدائية (في الصفين الثالث والرابع) ممن يعانون من الانسحاب الاجتماعي وضعف القدرة على عقد علاقات الصداقة مع الزملاء. وقسمت العينة إلى ثلاث مجموعات، وتعرضت كل مجموعة منها لظرف تجريبي مختلف. واشتمل الظرف الأول على الخطوات التالية:

أ- تقديم شرح من أحد الراشدين يتضمن وصفا للمهارات الاجتماعية اللازمة لتكوين صداقة مع الأقران، وهي:

- المشاركة مع الأقران في لعبة أو نشاط.
- التعاون مع الأقران وإعارتهم المواد والأدوات الشخصية.
- التخاطب معهم وذلك بالحديث إليهم والاستماع لهم.
- التعبير عن الاهتمام بالأقران وتبادل الابتسام والنظرات معهم وعرض المساعدة وإبداء المساندة والتشجيع.

ب- إتاحة الفرصة لهؤلاء الأطفال لكي يلعبوا مع أقرانهم ويمارسوا المهارات الاجتماعية التي شرحت لهم.

جـ- تقديم عائد عقب انتهاء اللعب يتضمن تعليقا على أدائهم مع أقرانهم، وثناء على مشاركتهم لزملائهم في موقف اللعب، وتشجيعا لهم على ممارسة ما تعلموه من مهارات في الفصل الدراسي.

وفي سياق الظرف التجريبي الثاني سمح لمجموعة أخرى متكافئة من الأطفال المنسحبين اجتماعيا بأن يزاولوا الألعاب نفسها مع أقرانهم، ولكن لم يتلقوا أي شرح لفظي أو عائد بعد اللعب. أما في الظرف التجريبي

الثالث فلم يسمح لمجموعة من الأطفال المنسحبين اجتماعيا بالتفاعل مع أقرانهم، وإنما سمح لكل الأطفال بممارسة ألعاب فردية، ولم يتلقوا أي شرح لفظي أو عائد على أدائهم.

وأوضحت نتائج التجربة بعد انتهاء التدريب الذي استغرق أربعة أسابيع أن أطفال المجموعة الأولى (مقارنين بأطفال المجموعتين الأخريين) قد ارتفعت إمكاناتهم السوسيومترية بين أقرانهم فيما يتصل بنشاط اللعب (بمعنى أنه قد تزايدت أعداد الزملاء الذين اختاروا هؤلاء لكي يشاركوهم في ألعابهم بعد انتهاء فترة التدريب)، واستمر هذا التحسن حتى بعد أن أجريت متابعة لآثار التجربة بعد مرور عام كامل [208].

2- برنامج بورنشتين وبلاك وهرسن (عام 1977)

يتضمن برنامج بوزلشتين Bornstein وزميليه كل المكونات التي أشرنا إليها (وهي الشرح والمناقشة والاقتداء والعائد)، وطبق على مجموعة من تلاميذ المدارس الابتدائية (في الصفوف الدراسية من الثالث إلى السادس) يتسمون بالانسحاب الاجتماعي. وقد أثبت البرنامج فاعليته حيث كشف أولئك الأطفال عن تغيرات سلوكية مرغوب فيها، بل وتعدت تلك التغيرات موقف التجربة إلى مواقف تجريبية أخرى، وإن لم يهتم منفذو البرنامج بدراسة مدى تحقق هذا التحسن في مواقف الحياة الواقعية (221: ص ص 118- 119).

3- برنامج أوكونور (عام 1969):

عرض أوكونور O'conor فيلما ملونا مدته 23 دقيقة على مجموعة من الأطفال المنسحبين. ويصور الفيلم نماذج من الأشخاص يتفاعلون بكفاءة مع أقرانهم ويتلقون عائدا إيجابيا تقديرا لسلوكهم. وأوضح البرنامج تزايد معدل التفاعل الاجتماعي بالنسبة للأطفال الذين شاهدوا هذا الفيلم بالمقارنة بمجموعة ضابطة من الأطفال الذين شاهدوا فيلما آخر لا يتعلق بالتفاعل الاجتماعي وإنما يتضمن عرضا استعراضيا لمجموعة من الدرافيل (221: ص 119).

4- برنامج لاد (عام 1981):

قدم لاد Ladd تدريبا لمجموعة من الأطفال غير المقبولين من زملائهم، وسحبت العينة من تلاميذ الصف الثالث الابتدائي، وشمل التدريب ثلاث

مهارات تخاطبية، وأظهرت المشاهدات الطبيعية عقب انتهاء البرنامج أن الأطفال الذين تلقوا التدريب قد تحسنت مهارات التخاطب لديهم، وانخفض سلوكهم غير الاجتماعي، بينما لم تتحسن مجموعة أخرى متكافئة من الأطفال سمح لكل منهم بالتفاعل المباشر مع قرين آخر دون أن تقدم لهم أية تدريبات (127: ص 108).

وبهذا نكون قد تناولنا أسلوب التدريب على المهارات الاجتماعية الصحيحة، وهو الأسلوب الأول من بين الأساليب التي تركز على الشخص الذي يفتقد الكفاءة الاجتماعية، ونعرض فيما يلي الأسلوب الثاني في الفئة نفسها.

2- تعديل الأفكار التي تعوق الأداء الاجتماعي الكفء:

يشير جونز Jones وزملاؤه إلى ظهور العديد من التدخلات العلاجية التي تهدف إلى التغلب على كثير من الاضطرابات النفسية بتعديل الأفكار والمعتقدات واستراتيجيات حل المشكلات خلال السنوات الأخيرة. وتعتمد تلك التدخلات على تصور يذهب إلى أن كلا من السلوك والوجدان إنما يتحددان من خلال عمليات معرفية ضمنية. ولتوضيح هذا التصور نقدم مثالا يبين لنا كيف تختل المهارة الاجتماعية لأحد الأشخاص بتأثير من أفكاره غير الواقعية وغير المتوافقة، فقد يظن هذا الشخص أن زملاءه سوف يرفضونه لذا حاول أن يعقد صداقة معهم، ويؤدي هذا الظن إلى إثارة قلقه وتوتره إلى الحد الذي يدفعه إلى تجنب الآخرين والعزوف عن المبادرة بالتفاعل الاجتماعي حتى لا يوقع نفسه في الحرج الناتج عن رفض الآخرين له. وقد نشأت مدارس مختلفة في مجال التدخلات المعرفية إلا أنها-وكما يرى جونز وزملاؤه-تقوم على افتراض يزعم أن تغيير السلوك المضطرب لا يتأتى بشكل جيد إلا عندما نهتم بفهم العمليات المعرفية الضمنية (مثل التفكير والإدراك والمعتقدات) ثم بوضعها ضمن الأهداف العلاجية بغرض تعديلها أو التخلص منها (165: ص ص 149- 150).

وتؤيد دراسات نفسية واقعية متعددة صدق هذه التصورات، ونذكر من بين نتائج تلك الدراسات على سبيل المثال لا الحصر مجموعة النتائج التي قطعت بوجود علاقة بين المعتقدات الخاطئة والقلق الاجتماعي، إذ يعزو

بعض الباحثين القلق الاجتماعي إلى الخوف من تلقي تقويمات سلبية من الآخرين في المواقف الاجتماعية مما يدفعهم إلى تجنب تلك المواقف بصورة متعمدة، ومن البحوث التي تؤيد تلك العلاقة بحث أوضح أن الأفراد المرتفعين على القلق الاجتماعي يعانون من قدر كبير من الأحاديث الباطنية السلبية negative self-statements والتي تتردد في أذهانهم، وتدور حول العواقب السلبية المحتملة والمترتبة على محاولاتهم الاتصال بزملائهم أو زميلاتهم أو رؤسائهم في العمل، حيث يتصورون دائما أنهم سيقابلون بالرفض أو الاستخفاف، وبينت دراسة أخرى أن المبحوثات اللاتي حصلن على درجات مرتفعة على مقياس للقلق الاجتماعي قد أتسمن بذاكرة أدق للمعلومات السلبية عن أنفسهن بالمقارنة بمبحوثات حصلن على درجات منخفضة على هذا المقياس، بمعنى أنهن يركزن على الجوانب غير المرضية في شخصياتهم ويتجاهلن الجوانب الطيبة، ولذا يفقدن الثقة بالنفس، وتشير دراسة ثالثة إلى أن الأشخاص المرتفعين على القلق الاجتماعي يشوهون ردود أفعال الآخرين نحوهم فيحملونها من المضامين السلبية أكثر مما تحتمل، كما يقومون أداءهم تقويما مجحفا، إذ يتصورون دائما أنهم لا يحسنون التصرف في المواقف الاجتماعية، ويترتب على ذلك كف السلوك الاجتماعي لديهم (انظر5: ص ص 42- 43).

وإزاء تراكم تلك النتائج تزايدت دوافع العناية بتصميم برامج علاجية تستهدف تحسين التوافق الاجتماعي ودعم مهارات الصداقة تعتمد على تصحيح الأفكار غير المتوافقة. ونكتفي هنا بالإشارة إلى نموذج واحد لكي نتبين من خلاله كيف تسير إجراءات العلاج في إطار هذا التوجه.

نموذج يانج للعلاج المعرفي:

في إطار التوجه المعرفي طور جيفري يانج Young عام 1980 نموذجا لعلاج مشكلة العزلة، وقد احتذى يانج في تصميمه النموذج المعرفي الذي قدمه بيك Beck عام 1976 لعلاج الاكتئاب، ويستهدف نموذج يانج تعديل الأفكار المضطربة والتي تحول دون التوافق الاجتماعي، وكذلك تعديل المدركات والتفسيرات الخاطئة للتفاعلات الاجتماعية والتي تؤدي إلى سوء التوافق الوجداني والسلوكي (165: ص 150).

ويتضمن برنامج يانج ست مراحل متدرجة-تستهدف كل مرحلة منها تحقيق هدف خاص-ونلخصها فيما يلي:

1- أن يشعر الفرد بالرضا عن نفسه حتى وهو يقضى وقته منفردا.

2- أن يشترك في نشاطات مع عدد محدود من الأصدقاء.

3- أن يشترك في إفصاح متبادل عن الذات مع صديق موثوق فيه.

4- أن يسعى نحو صديق يشعر في قرارة نفسه بإمكان عقد صداقة حميمة معه.

5- إرساء علاقة حميمة مع صديق مناسب من خلال الإفصاح عن الذات.

6- دعم الشعور بالالتزام الوجداني لصديق مناسب لمدة زمنية طويلة نسبيا.

ويسبق تقديم العلاج إجراء قياس أولي لتحديد العوامل الموقفية التي تزيد من الاضطراب الاجتماعي للشخص، ثم يبدأ المعالج معه في تحديد العمليات المعرفية والوجدانية والسلوكية التي تسهم بدور في إصابة توافقه الاجتماعي بالخلل. وقد وضع يانج عشر زملات (أي مجموعات) من مسببات الاضطرابات، تتصل واحدة أو أكثر منها بكل مرحلة من مراحل العلاج الست التي أشرنا إليها، وتمضي الزملات المرضية-وفقا لتدرجها الهرمي- على النحو التالي:

1- الشعور بعدم الرضا عن النفس حتى والشخص بمعزل عن الآخرين.

2- انخفاض تقدير الذات في المواقف الاجتماعية.

3- القلق الاجتماعي.

4- فقدان اللباقة الاجتماعية.

5- الارتياب في الآخرين.

6- الانقباض (أي تجنب التفاعل الاجتماعي).

7- صعوبة اختيار الأصدقاء.

8- رفض العلاقات الشخصية الحميمة.

9- القلق الجنسي (في حالة العلاقات بين الجنسين).

10- القلق فيما يتصل بالالتزام الوجداني (في حالة العلاقات بين الجنسين أيضا)، أي الخوف من فشل العلاقة وقطعها نتيجة لفتور المشاعر.

وفي ضوء هذا التصور يدرب الأشخاص الذين يبدءون من المرحلة الأولى على التغلب على الزملتين المرضيتين الأولى والثانية (وهما عدم الرضا عن النفس، وانخفاض تقدير الذات في المواقف الاجتماعية)، بينما يدرب الأشخاص الذين يبدءون من المرحلة الثانية على التغلب على الزملات الثلاث التالية (وهي: القلق الاجتماعي، وفقدان اللباقة الاجتماعية، والارتياب في الآخرين) بهدف تشجيعهم على المشاركة في نشاطات مع بعض الأصدقاء. وبنفس المنطق يتم تحقيق المراحل العلاجية من الثالثة إلى السادسة والتي ذكرناها آنفا.

ويقدم يانج وزملاؤه مثالين يوضح أولهما كيف يشجع الشخص على المشاركة في نشاطات مع عدد محدود من الأصدقاء، ويبين الثاني إجراءات العلاج الهادف إلى إقناعه بتبادل الإفصاح عن الذات مع أحد أصدقائه (165: ص ص 150- 151).

يصور المثال الأول رغبة المعالج في الانتقال بشخص يفتقد الأصدقاء إلى مرحلة البدء في عقد صداقات قليلة سطحية. ويبدأ العلاج بمواجهة الأفكار غير المتوافقة والتي تتسلط على ذهنه ومنها «الناس يصدرون أحكاما علي طوال الوقت» أو «إذا ارتكبت أي خطأ فإن الناس سوف يسخرون مني». وفي سبيل التغلب على تلك الأفكار يشجعه المعالج على النظر الموضوعي في الدلائل التي تؤيدها، بل وقد يتحداه في أن يقدم أدلة على أن الآخرين يقيمون سلوكه طوال الوقت. وبالإضافة إلى هذا يطلب منه أن يتذكر الأخطاء التي ارتكبها في ماضيه وكذلك ردود أفعال الآخرين تجاهه في تلك المواقف. ويسأله المعالج أن يتذكر من واقع خبرته الشخصية هل سبق له أن رفض هو شخصا آخر لارتكابه خطأ بسيطا. فإذا أجاب بالنفي يخبره المعالج أنه يضع معايير عالية يحكم بمقتضاها على صحة سلوكه الشخصي، بينما لا يضع المعايير نفسها في حكمه على الآخرين، بمعنى أنه أكثر تشددا في حكمه على نفسه بينما هو أكثر تسامحا في حكمه على الآخرين.

وفي بعض الأحيان يتم تسجيل اللقاء بين المعالج والمتدرب ثم يعرض التسجيل فيما بعد على المتدرب لكي يقيم بنفسه مدى نجاحه في التفاعل الاجتماعي مع شخص آخر، وكثيرا ما يكتشف المتدرب أن تفاعله مع المعالج

قد سار بشكل مرض يفوق توقعاته التي تميل دائما إلى التهوين والتقليل من قدراته، وفي أحيان أخرى يشجع المعالج المتدرب على أن يقلل وعيه بذاته وكذلك تركيزه وتحفظه الشديد فيما يتصل بأقواله وتصرفاته الشخصية، وذلك بأن يوجهه إلى التركيز على ما يقوله الطرف الآخر بدلا من أن يستمر في اجترار الأفكار المتشائمة.

أما عن المثال الثاني والذي يتعلق بإجراءات تدريب شخص يفتقد مهارة الإفصاح عن الذات مع صديق موثوق فيه، فتشير الدلائل إلى أن بعض الأشخاص يكونون علاقات اجتماعية مع عدد لا بأس به من الأصدقاء، ولكنهم يفتقدون على الرغم من ذلك الشعور بالصلة الحميمة لعجزهم أو خوفهم من الإفصاح عن أفكارهم ومشاعرهم الشخصية ولو لصديق واحد على الأقل. وتتمثل الخطوة العلاجية في الكشف عن الأفكار غير المتوافقة والمسؤولة عن هذا الاضطراب، ومنها مثلا «لو عرف الآخرون ما أفكر فيه فسوف يسخرون من أفكاري» وللتغلب على هذا الاعتقاد الخاطئ يشجع المتدرب على اختيار صديق أمين ثم يبدأ في الإفصاح إليه بقدر ضئيل من مشاعره الشخصية لكي يختبر ردود أفعال هذا الصديق، فإذا شعر المتدرب بتقبل صديقه لإفصاحه يدلي إليه بالمزيد من الأفكار والمشاعر في اللقاءات التالية، ويطلب منه المعالج جمع معلومات موضوعية عن ردود أفعال الطرف الآخر نحو هذا الإفصاح.

ومن ناحية أخرى قد يعوق الفرد عن الإفصاح عن ذاته اعتقاد «خاطئ آخر كأن يردد في عقله» إنني مختلف عن الناس من حولي، ولو أفصحت إليهم فلن يفهموني أبدا.

ولدحض هذا الاعتقاد يطلب منه المعالج أن يكتب قائمة بنقاط التشابه والاختلاف بينه وبين العديد من أصدقائه. وغالبا ما يكتشف هذا الشخص أن نقاط التشابه تفوق نقاط الاختلاف مما يخفف ونجله من الإفصاح عن ذاته.

نتوقف هنا عن الاسترسال في تفاصيل نموذج يانج الخاص بتعديل المعتقدات الخاطئة التي تحول دون التفاعل الاجتماعي الكفء. ويبقى أن نشير إلى أنه لا يتعدى كونه نموذجا لعلاجات معرفية متنوعة يتزايد شيوعها في مجال الإرشاد النفسي.

وبذلك نكون قد تناولنا الفئة الأولى من أساليب تحسين التفاعل الاجتماعي والتي تتركز أساسا حول الشخص الذي يعاني من فقدان الكفاءة الاجتماعية.

ثانيا- الأساليب التي تركز على السياق الاجتماعي:

أشرنا في مواضع متفرقة إلى أن الأطفال والمراهقين يكتسبون رصيدا لا بأس به من مهاراتهم الاجتماعية من خلال تفاعلهم مع الراشدين سواء في نطاق أسرهم أو مدارسهم، وبالإضافة إلى إسهام الراشدين في هذا الشأن يسهم الأقران بدور بارز في صقل المهارات الاجتماعية بشكل عام ومهارات الصداقة بشكل خاص. ويتم هذا التأثير سواء في حالتي الراشدين أو الأقران إما من خلال التوجيه المباشر أو الاقتداء أو من خلال فرص التفاعل التي يتيحها الراشدون والأقران والتي يمارس فيها كل من الطفل والمراهق مهاراته الاجتماعية ويتعلم في سياقها كيف يصحح أخطاءه ويحسن علاقاته مع زملائه وأصدقائه.

ونعرض فيما يلي بعض الأساليب التي تستهدف تحسين مهارات الصداقة في ضوء التوظيف الجيد لإمكانات الوالدين والأخوة والأقران في تعلم السلوك الاجتماعي الكفء. وفي تناولنا لتلك الأساليب نقسمها إلى فئتين، تختص الأولى بتقديم الدعم الاجتماعي للسلوك المرغوب فيه، وتتضمن الثانية تشجيع الدخول في تفاعلات تعاونية، وذلك على النحو التالي:

١ - تقديم الدعم الاجتماعي:

يقوم هذا الأسلوب على افتراض مؤداه أنه يمكن علاج الانسحاب الاجتماعي الذي يعاني منه بعض الأطفال من خلال دعم أقرانهم وتشجيعهم عندما يقبلون على التفاعل معهم، وذلك لحثهم على تكرار محاولاتهم لكي يتسنى إخراج هؤلاء الأطفال من عزلتهم. ويتخذ الدعم الاجتماعي صورا عدة من بينها: تقديم المكافآت المادية والعينية مثل الهدايا واللعب والعملات النقدية، ومنها أيضا المكافأة المعنوية مثل عبارات التشجيع والثناء والاستحسان.

ويوضح لنا بحث والكر Walker وهوبز Hops الكيفية التي يمارس بها

هذا الأسلوب، حيث عرضا على مجموعة من الأطفال في الصف الأول الابتدائي فيلما يصور مجموعة من الأطفال وهم يتفاعلون معا بشكل إيجابي، ثم أخبرا مجموعة الأطفال بأنهم سيحصلون على مكافآت نقدية تقدر قيمتها على أساس عدد التفاعلات التي يبديها طفل منسحب اجتماعيا ويشترك معهم في جماعتهم. وأظهرت النتائج تزايد معدلات التفاعل الاجتماعي مع هذا الطفل، كما أوضحت تزايدا نسبيا في معدل المبادرات الاجتماعية التي يظهرها الطفل المنسحب من تلقاء نفسه، ولوحظ أيضا أن سحب المكافآت المادية يؤدي إلى انخفاض معدلات المبادرات الاجتماعية سواء من الطفل أو من أقرانه، إلا أنها ظلت مرتفعة نسبيا بالمقارنة بمقدار التفاعل الاجتماعي مع هذا الطفل في بداية التجربة (127: ص 114).

وقد عمدت أساليب أخرى إلى تدريب الأقران على إغراء الأطفال المنسحبين بالدخول في علاقات اجتماعية معهم، وتضمن التدريب تشجيع الأقران على المثابرة وتكرار المحاولة حتى لو قوبلت دعوتهم بالرفض من جانب أقرانهم المنسحبين. فعلى سبيل المثال قام استرين Strain وزملاؤه عام 1977 بتدريب طفلين في الرابعة من العمر على إغراء طفل منسحب باللعب معهما، على أن يقدم لهما الدعم الاجتماعي (وتمثل في الثناء عليهما) عند نجاحهما في التأثير عليه. وكما هو الحال في الدراسة السابقة كشفت النتائج عن نجاح أسلوب دعم الأقران في تشجيع الطفل المنسحب على قبول المشاركة في تفاعلات اجتماعية مع أقرانه، بل وفي تشجيعه على القيام بمبادرات اجتماعية من جانبه (127: ص ص 114- 115).

وفي دراسات مماثلة درب الآباء والأخوة والمدرسون على القيام بنفس الدور، وهو تشجيع الطفل المنسحب على الدخول في علاقات اجتماعية أو دعمه عند إقدامه على ذلك، وأثبتت نتائجها أثر الدعم الاجتماعي الذي يقدمه أولئك الأشخاص في خفض السلوكيات الاجتماعية غير المرغوب فيها وتقوية المهارات الاجتماعية، وزيادة على هذا أفصح هذا الأسلوب عن جدواه في نقل وتعميم التحسن الاجتماعي-الذي يظهره الطفل المتلقي لهذا التدريب في العيادة النفسية-إلى موقف الحياة الطبيعية شاملة المنزل والفصل الدراسي (127: ص 115 ، 221: ص 126).

وثمة ملاحظة أخيرة نذكرها ونحن بصدد الحديث عن تقديم الدعم

الاجتماعي كأسلوب لتحسين مهارات التفاعل الاجتماعي لدى الأطفال، وهي أن التدعيم غير المباشر قد يكون في أحيان كثيرة أكثر نفعا من التدعيم المباشر، وتفسير ذلك أن تقديم الدعم الاجتماعي بصورة مباشرة ومنتظمة وثابتة قد يؤدي إلى اعتماد الطفل على هذا الدعم واعتياده عليه وانتظاره له، حتى يصبح الدعم أهم لديه من الاستجابة المرغوب فيها في حد ذاتها، ويصل الأمر إلى حد توقفه عن إصدارها إذا لم يحصل بعدها على المكافأة بصورة مباشرة (229: ص 376)، وبالطبع يخالف هذا الأمر واقع الحياة الطبيعية حيث لا يتلقى أي منا المكافأة بصورة مباشرة بل قد يكون الدعم مرجأ لأيام وأسابيع وسنوات، هذا بخلاف أن المقتضيات المادية والتربوية تحول دون قيام المعالج النفسي أو المدرس أو ولي الأمر بتقديم المكافآت للطفل الذي تعوزه الكفاءة الاجتماعية بصورة مستمرة.

2- تشجيع الدخول في علاقات تعاونية:

يستند هذا الأسلوب إلى افتراض مؤداه أن المشاركة في نشاطات تعاونية من شأنها أن تزيد معدلات التفاعل الاجتماعي السوي وأن تقوي التجاذب بين الأشخاص. وتلتقي دراسات متعددة في تأكيد صحة هذا الافتراض، ولكن ما يؤسف له أنها أجمعت تقريبا في الوقت نفسه على أن الأثر الإيجابي الذي يحدثه التعاون لا يدوم طويلا، ونذكر من البحوث التي أوضحت التأثير الإيجابي للتفاعلات التعاونية دراسة مظفر شريف Sheriff وزملائه والتي أجريت عام 1961 في معسكر للطلاب. وكان هدفها هو بحث تأثير المهام التعاونية على مشاعر العداوة بين الجماعات. وفيها تعمد الباحث خلق جو من العداوة بين الطلاب وذلك بإشراكهم في العديد من المنافسات الرياضية. ولوحظ أن حدة التوتر لم تخف بين الطلاب إلا عندما عملوا معا كمجموعة واحدة في مهمة تقتضي التعاون المتبادل بين المجموعتين (127: ص 115).

وأوضحت دراسة أخرى أجراها أورليك Orleck عام 1981 أن أطفال الحضانة الذين تعاونوا معا في عدد من الألعاب الرياضية قد تزايد شعورهم بالسعادة والرغبة في المشاركة المتبادلة. وفي بحوث تالية أجريت على أطفال يعانون من مشكلات في التفاعل الاجتماعي مع أقرانهم أدى اشتراكهم

في مهام تعاونية إلى دعم المحبة المتبادلة فيما بينهم وإن اتسمت تلك التغيرات الإيجابية بأنها قصيرة المدى (المرجع السابق، 116).

وقد حاول فورمان تحليل الآليات النفسية والاجتماعية التي يحدث التعاون من خلال آثاره الإيجابية في علاقات الأقران، وانتهى إلى عدة تفسيرات منها: أنه أثناء الممارسات التعاونية قد يتلقى الأقران قدرا من التدعيم يمنحه الطفل المنسحب مما يزيد شعورهم بالحب تجاهه، ويضيف إلى هذا أن تلقيهم للمدعمات الاجتماعية في حضوره يكسبه قدرة ثانوية على التدعيم لاقترانه في أذهانهم بالخبرة الوجدانية السارة حتى لو لم يكن الطفل المنسحب هو نفسه مصدر الدعم المباشر. ومن ناحية أخرى يؤدي التعاون بين الأقران إلى تحسين قدرة كل منهم على فهم أفكار ومشاعر الآخرين مما يعمق التفاهم ويقوي التعاطف فيما بينهم. ويذهب تفسير ثالث إلى أن المشاركة في مهام تعاونية قد تجعل الأقران يعيدون النظر إلى الطفل الذي اعتادوا أن يتجاهلوه من قبل، وقد تتغير اتجاهاتهم نحوه خاصة إذا أدركوه وهو يتفاعل مع زملائهم المرموقين إما لشعبيتهم أو لتفوقهم الدراسي. وفي تفسير رابع يشير فورمان إلى أن الأقران يشعرون بدرجة أكبر من التجاذب نحو الطفل المنسحب اجتماعيا عندما يتبينون إسهامه في تحقيق أهداف الجماعة عند تعاونه معهم (المرجع السابق، ص ص 116-117).

التحديات التي تواجه برامج دعم مهارات الصداقة:

نشير بعد أن انتهينا من استعراض أهم أساليب دعم مهارات الصداقة وتحسين الكفاءة الاجتماعية إلى بعض التحديات التي يحاول المهتمون بهذا المجال مواجهتها في سبيل إعداد برامج تدريبية يتوافر لها عناصر الفاعلية وسهولة التطبيق، والاقتصاد في الوقت والإنفاق. ويأتي في مقدمة تلك التحديات ما يلي:

1 - البحث عن طرق تدريبية أكثر اقتصادا:

تحتاج بعض برامج تنمية الكفاءة الاجتماعية إلى إمكانات فنية باهظة التكاليف، كما يستلزم بعضها الآخر مواصلة التدريب لفترات زمنية طويلة،

ويقترح أرجايل سبلا للتغلب على هذا التحدي، وذلك بتصميم برامج تصلح للتطبيق بطريقة جمعية (أي في جلسات تشمل العديد من المتدربين في الوقت نفسه)، ويتمثل السبيل الآخر في تحسين أساليب التدريب الذاتي والذي يقوم به المتدرب بنفسه مع إعانته بقدر من التوجيه من جانب المدرب (65: ص 207).

وتجدر الإشارة إلى أن طرق التدريب الجماعي تجمع بين العديد من المزايا بالإضافة إلى الاقتصاد في الجهد والوقت والإنفاق، إذ ينسب إليها جونز وزملاؤه مزايا أخرى نذكر منها أن الجماعة تهيئ للمتدربين فرص التعرف على أشخاص آخرين، ومن الممكن أن يتطور التعرف إلى عقد صداقات دائمة، وإلى جانب هذا يشعر المتدربون بالارتياح عندما يجتمعون مع زملاء يعانون مثلهم من مشكلات متشابهة، إذ يمكنهم في تلك الظروف أن يتبادلوا الخبرة، وأن يخففوا من متاعبهم بالإفصاح المتبادل عن المشكلات الشخصية. ويلاحظ أن الطرق الجماعية تؤتي أفضل نتائجها مع الأشخاص الذين يعانون من الخجل والاكتئاب، ففي سياقها يتدربون على ضبط انفعالاتهم وتحاشي التركيز على الخبرات التي تستثير مشاعر القلق والأسى (165: ص ص 154- 153

2- تعميم آثار التحسن الناتج عن تدريب المهارة الاجتماعية:

يتمثل التحدي الثاني في التفكير في طرق يمكن بواسطتها تعميم آثار التحسن الذي تحققه برامج تنمية المهارة الاجتماعية، ففي بعض الأحيان يتعلم المتدرب الاستجابة الاجتماعية الماهرة في موقف التفاعل المباشر مع المعالج أو المدرب سواء في العيادة النفسية أو المصحة أو معمل علم النفس، ولكنه يعجز عن ممارستها في مواقف الحياة الواقعية إما لشعوره بالخجل أو لخشيته من رفض المحيطين به لاستجاباته. ويفكر مصممو برامج تنمية مهارات التفاعل الاجتماعي في حيل متنوعة للتغلب على هذا التحدي، ومنها إشراك الإخوة والأقارب في البرامج التدريبية خاصة عند استخدام الطرق المعتمدة على الاقتداء وأداء الدور، ويراعى كذلك تدريب الأشخاص ذوي المهارات الاجتماعية المضطربة على مواجهة مواقف الحياة الجديدة وغير المتوقعة وذلك بتعليمهم مهارات تحليل وفهم المواقف الجديدة، مع

تشجيعهم على الاقتداء بزملائهم وأصدقائهم ومعارفهم ممن يتعاملون معهم في حياتهم الواقعية وتتوافر في خصالهم الكفاءة الاجتماعية (60:ص207).

3- تشجيع قيام الصداقات الحقيقية وليس مجرد التقبل الاجتماعي:

يتمثل التحدي الثالث الذي يواجه برامج تحسين التفاعل الاجتماعي في شكل اتهام يوجهه بعض الباحثين فيما يتصل بفاعليتها. ويذهب هذا الاتهام إلى أن تأثيرها الرئيسي ينحصر في زيادة شعبية الأطفال والمراهقين الذين يتلقونها بين أقرانهم، بمعنى أنها تجعلهم أكثر قبولا لدى زملائهم، ولكنها لا تساعدهم على تكوين صداقات حقيقية عميقة ومتبادلة (223: ص 61). ويجاهد المتحمسون لهذا المجال في سبيل تجاوز ذلك الاتهام من خلال تصميم برامج تحسن مهارات الصداقة بشكل مباشر، ومن أولئك المتحمسين فورمان وزملاؤه، وهم يستهلون دفاعهم بإثبات أن تحسن المكانة الاجتماعية بين الزملاء ييسر انعقاد علاقات الصداقة الحميمة مع مرور الوقت، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يقترحون سبلا أخرى لزيادة فاعلية برامج تدريب المهارات الاجتماعية، ومنها ألا يقتصر تركيز مصممي هذه البرامج على المهارات الاجتماعية البسيطة والتي تصلح للتفاعل مع أي قرين. وإنما ينبغي أن يتجه التركيز أساسا على المهارات التي تتصل اتصالا وثيقا بمهارات تكوين الصداقة، كأن تتضمن تدريبات لتنمية الإفصاح عن المشاعر والأفكار والخبرات الشخصية لأحد الأصدقاء، وأن تشمل كذلك تدريبات لدعم مهارة المشاركة في نشاطات متبادلة وتقديم المساندة الوجدانية، وفض الخلافات الاجتماعية التي تهدد استقرار علاقة الصداقة، مع زيادة وعي المتدربين بأهمية الإخلاص والولاء في الحفاظ على علاقات الصداقة. كما يقترح فورمان وزملاؤه ألا يقتصر تقديم الدعم الاجتماعي على المتدرب وحده وإنما ينبغي أن يقدم الدعم له ولأقرانه الذين يتفاعلون معه باعتبار أن الصداقة علاقة متبادلة بين شخصين أو أكثر في المقام الأول (127: ص 123).

4- تصميم برامج تناسب مجتمعاتنا العربية:

أما رابع هذه التحديات فهو تحد يواجه المتخصصين في الدراسات

النفسية والاجتماعية في وطننا العربي، فإذا كان علماء الغرب يعتبرون الدعوة إلى مضاعفة الجهد في سبيل فهم ودعم مهارات الصداقة دعوة وجيهة، فنحن نرى أن تلك الدعوة أكثر وجاهة في وطننا العربي، فالفروق الثقافية شاسعة بين البيئات الغربية والبيئة العربية في كثير من القيم والمعتقدات وسمات الشخصية وكذلك في الإمكانات الفنية والبشرية المتاحة. فعلينا إذن أن نحتاط قبل تعميم نتائج الدراسات الأجنبية وتقبلها كما لو كانت صادقة ونافعة بغض النظر عن السياق الاجتماعي الذي تكشفت فيه.

وإذا أردنا بعض الدلائل التي تساند هذا الرأي فيكفي أن نشير إلى أسلوبين يمارسهما بعض المعالجين النفسيين في مجتمعات غربية بهدف تشجيع الأشخاص المضطربين على تبادل التعبير عن العواطف مع الآخرين، ويطلق على الأسلوب الأول اسم «خذ الوجدان واعطه» Take & give affection، وأثناءه يقف المتدرب وسط جماعة المتدربين، وهو مغمض العينين، ويقترب منه شخص من الجنس الآخر، ويأخذ في التعبير عن وجدانه ورغباته بطرق متباينة تشمل العناق والتقبيل والملامسة الجسدية. ويسمى الأسلوب الثاني «رول اند روك» Roll & Rock والتسمية كما هو واضح مأخوذة من طريقة غريبة في الرقص، وخلاله يمر المتدرب الذي يفتقد الدفء الوجداني على مجموعة من الأفراد يعانون من مشكلات مماثلة، فيرفعه كل منهم ويهزه برفق حتى يشبع الحاجات المحروم منها (65: ص 195).

وواضح من الشرح الموجز أن مجتمعاتنا العربية بكل ما تتمسك به من قيم ومعايير دينية وأخلاقية لا تستسيغ طرقا كهذه رغم أنها قد تكون غير مستهجنة في المجتمعات الغربية، ومن هنا تتأكد الدعوة إلى إبداع برامج تدريبية لتحسين الكفاءة الاجتماعية تتسق مع ثقافتنا وتتناسب مع واقع إمكاناتنا.

كلمة أخيرة عن دور الأسرة في تنمية مهارات الصداقة لدى أبنائها:

يبقى أخيرا أن نلمح إلى أن للأسرة دورا بارزا في تنمية مهارات الصداقة لدى أبنائها. ونرى بداية ضرورة أن يؤدي هذا الدور في ظل اقتناع بأن

علاقات الصداقة الطيبة التي يعقدها الأبناء لها مردود صحي يعود على صحتهم النفسية سواء في طفولتهم أو في مستقبل حياتهم. وقد فصلنا القول في هذا الأمر عندما تعرضنا لأثر علاقات الصداقة بين أبناء الجنس الواحد في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للأشخاص وبصفة خاصة في مرحلتي الطفولة والمراهقة. ونقدم فيما يلي بعض الهاديات التي نعتقد نفعها في توجيه دور الأسرة (وأيضا المدرسين والقائمين على عمليات التنشئة الاجتماعية) فيما يتعلق بدعم مهارات الصداقة لدى النشء:

1- ينبغي أن تتاح للأطفال فرص التفاعل الاجتماعي مع الأقران، فمن واجبنا أن نشجع الطفل الذي يفتقد علاقات الصداقة على الدخول في علاقات مع أترابه لكي تقوى ثقته في نفسه ويكتسب المهارات الاجتماعية الأساسية. وفي بعض الأحيان يخشى الطفل المبادرة بالتفاعل إما لقصور في رصيده من المهارات الاجتماعية أو لخوفه من رفض أقرانه له. وهنا يتجلى دور الوالدين والمدرسين في تشجيعه على البدء في المحاولة ثم تكرارها بعد طمأنته وإقناعه بأنه من الضروري أن يكون له أصدقاء يقضي وقت فراغه معهم ويلعب معهم ويفيد منهم كما يفيدون منه.

ويقترح بعض الباحثين سبلا نفسية لتشجيع الطفل على الاختلاط بزملائه، ومنها ما ذكره روبين وهو يقرر أن تشجيع التفاعل بين طفلين يعانيان من الانسحاب الاجتماعي يمنحهما شعورا بالقبول والمحبة، وتغريهما تلك الخبرة المشجعة بمعاودة التفاعل والامتداد به نحو أطفال آخرين. ويقترح سبيلا آخر ينص على أن المزاوجة في التفاعل الاجتماعي بين طفل عدواني وطفل آخر أصغر عمرا تؤدي إلى تقليل ميل الطفل الأول إلى العدوان، وذلك لأنه في تفاعله مع قرينه الأصغر عمرا يشعر وكأنه أخ أكبر عليه أن يحيط أخاه الأصغر منه بالرعاية، كما قد تشعره تلك العلاقة بأنه باستطاعته أن يكتسب ود الآخرين ورضاهم بدون اللجوء إلى العنف والشراسة (223: ص 60). وفي المقابل يرى فورمان وزملاؤه أنه حتى عندما يتفاعل الطفل العدواني مع قرين أكبر منه عمرا يشعر في تلك الحالة أن العدوان لا يفيده بل قد يوقعه فريسة لعدوان رفيقه الأكبر عمرا مما يدفعه إلى تعلم تصرفات أكثر انضباطا. ويضيف فورمان أن الأطفال الميالين إلى العزلة والانسحاب قد لا يفيدون كثيرا من علاقاتهم بأتراب يماثلونهم في

العمر، إذ تعطيهم صلاتهم الاجتماعية مع رفقاء دونهم عمرا الثقة في أنفسهم وفي قدرتهم على توجيه دفة نشاطات اللعب وممارسات السلوك القيادي والتنظيمي (127: ص 117).

2- ينبغي أن يدرك المسؤولون عن التنشئة الاجتماعية أن مفهوم الصداقة يختلف تبعا لاختلاف المراحل الارتقائية التي يمر بها الأبناء، ويفرض هذا الاختلاف تغييرا موازيا في الأساليب المناسبة لدعم علاقات الصداقة، ففي سنوات الطفولة المبكرة وقبل الالتحاق بالمدرسة تتركز الصداقة حول المشاركة في اللعب فحسب، كما تفتقد خاصية الاستقرار، أما في سنوات الدراسة الابتدائية فيبدأ الأطفال في تكوين صداقات وثيقة تتسم بتبادل المشاعر الوجدانية، وعندما يتقدم العمر بأولئك الأطفال نجدهم يولون عناية أكبر بإرساء علاقة حميمة تقوم على الفهم المتبادل والحرص على الولاء. وفي ضوء تلك التغيرات الارتقائية يحسن أن يوجه الراشدون اهتمامهم نحو دعم مهارات اللعب والنشاطات المتبادلة البسيطة في سنوات الطفولة المبكرة ونحو تدريب مهارات بدء ومواصلة الصداقة في سنوات التعليم الابتدائي، على أن تتجه جهودهم إلى تعليم الأبناء كيف يعقدون صداقة وثيقة ومتبادلة في سنوات العمر التالية(127: ص 124).

3- من المرغوب فيه أن يعرف المنشئون أن هناك خصالا معينة تسهم إسهاما خاصا في تشكيل إدراك الأقران لطفل بعينه. ويلاحظ أن بعضها صعب التغيير ومن ذلك المظهر العام والتفوق الرياضي والقدرات العقلية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، ومن ذلك يبدو أن المهارات اللازمة لاكتساب الأصدقاء تتفاوت من طفل إلى آخر وفقا لدرجة تميزه أو افتقاده لتلك الخصال (223: ص 62)، فمن الممكن أن يشجع الطفل المتفوق دراسيا على اكتساب الأصدقاء من خلال إبدائه المساعدة لزملائه في الموضوعات المدرسية، بينما ينصح الطفل الرياضي بعقد صداقات جديدة من خلال المشاركة مع زملائه في الممارسات الرياضية التي يبرز فيها.

وينبغي أن يدرك المنشئون في الأسرة والمدرسة أن من بين ظروف وأحداث الحياة ما يفرض صعوبات شديدة في علاقات الأبناء بأقرانهم، ومن تلك الأحداث الانتقال إلى مدرسة أو سكن جديد، وكذلك الخلافات الأسرية أو انفصال الوالدين. وتوجب هذه الظروف توجيه عناية خاصة للأبناء حتى

يتجاوزوا الظروف الحرجة (المرجع السابق: ص 62).

4- رغم ما يمكن أن يضطلع به الراشدون من دور رئيسي في دعم مهارات الصداقة لدى الأبناء إلا أن هذا الدور ينبغي أن يؤدى بحرص حتى لا يرسخ في تصور الصغار أن الكبار يتدخلون في حياتهم طوال الوقت. ومن الضروري أن يتجنب الراشدون إحراج الطفل أمام أقرانه بتوجيه النقد اللاذع له إذا فشل في عقد علاقات اجتماعية ناجحة مع بعض الزملاء أو الأصدقاء، حتى لا يفقد ثقته في نفسه وفي قدرته على التغلب على خجله وتحسين علاقاته (المرجع السابق، ص 62).

5- ينبغي أن يحترم الراشدون ميول الطفل ودوافعه وتفضيلاته الاجتماعي، حيث تنطوي صداقات الأطفال على العديد من الصور، إذ يفضل بعض الأطفال تكوين علاقات مع عدد كبير من الزملاء، ويفضل البعض الآخر تكوين علاقة وثيقة مع صديق واحد أو اثنين. وعلى الآباء والمدرسين أن يحترموا تلك الرغبات وأن يكون تركيزهم ليس على مجرد زيادة كم علاقات الصداقة وإنما على تحسين نوعيتها، فمن المعروف أن بعض الأطفال يشعرون بعدم الرضا عن علاقاتهم رغم تعددها، وتبين بحوث العلاقات بين الأشخاص في هذا الصدد أن الشعور بالوحدة والعزلة النفسية لا يتوقف على قلة عدد الأصدقاء وإنما على فقدان النوعية الملائمة من علاقات الصداقة (المرجع السابق).

ونؤكد في نهاية المطاف أن العناية بتحسين العلاقات الاجتماعية لأبنائنا لا تعني دفعهم إلى الإفراط في نشاطات اجتماعية تستنفد كل طاقاتهم وأوقاتهم، صحيح أن الصداقة دعامة أساسية للتوافق النفسي، إلا أن نفعها مقيد بشروط لا ينبغي تجاوزها، ولعل من أهمها توخي الاعتدال سواء في عدد الأصدقاء أو في مقدار الوقت الذي ينفق في صحبتهم دون إفراط أو تفريط. فالصداقة النافعة تشبع حاجات الأبناء إلى المشاركة الوجدانية والإفصاح عن الذات والتعاون وتبادل المساعدة والخبرات، والترويح عن النفس. ولكن لا ينبغي لها أن تكون على حساب إشباع الحاجة إلى الاستقلال والشعور بالحرية والتفرد وتأمل الذات، وتكريس الجهود لتحصيل الدروس وتنمية المواهب الشخصية والانخراط في العمل والمشاركة في تحمل أعباء الأسرة وتحسين الصلات مع الأهل والأقارب. وخلاصة المعنى الذي نرمي

إليه أن الاعتدال أساس السعادة وجوهر التوافق النفسي.

ونفع الصداقة موقوف أيضا على رقابة الأسرة بحساسية مرهفة لا تشعر الابن (أو الابنة) بفقدانه لحريته واهتزاز الثقة فيه، ولا تتركه في الوقت نفسه فريسة لأصدقاء السوء.

وغني عن الذكر أن برامج دعم مهارات الصداقة تؤتي أفضل ثمارها عندما توضع في إطار برنامج متكامل تقدم من خلاله الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية والتعليمية لأطفالنا وشبابنا.

المراجع

1- إبراهيم (عبد الستار)، أسس علم النفس. الرياض: دار المريخ للنشر، 1987.

2- ابن مسكويه (أحمد بن يعقوب)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، (الطبعة الثانية)، بيروت: دار مكتبة الحياة.

3- ابن منظور، لسان العرب. القاهرة: دار المعارف، 1980.

4- ابن المقفع، الأب الكبير. في عمد كرد علي (محرر). رسائل البلغاء. (الطبعة الثالثة). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1946.

5- أبو سريع (أسامة)، اضطراب المهارات الاجتماعية لدى المرضى النفسيين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1986 (غير منشورة).

6- أبو سريع (أسامة)، الاقتران بين تعاطي المواد النفسية وفقدان الرضا عن العلاقات الاجتماعية لدى عينة ممثلة لعمال الصناعة الذكور في مصر-القاهرة: المجلة الاجتماعية القومية، العدد الأول، يناير 1991.

7- أبو النيل (محمود)، علم النفس الاجتماعي: دراسات عربية وعالمية، (الجزء الأول)، القاهرة: الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية 1984، (الطبعة الثالثة).

8- أبو النيل (محمود)، الذكاء والفقر. مجلة علم النفس، العدد الثاني 1987، ص ص 21- 25.

9- أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس (ترجمة أحمد لطفي السيد) (جزآن). القاهرة: دار الكتب المصرية، 1924.

10- تشايلد (دينيس)، علم النفس والمعلم، (ترجمة عبد الحليم محمود السيد، زين العابدين درويش، حسين الدرينى) القاهرة: مؤسسة الأهرام 1983.

11- التوحيدي (أبو حيان)، الصداقة والصديق، القاهرة: المطبعة النموذجية، 1972.

12- حافظ (أحمد خيري)، متغير المستوى الاجتماعي الاقتصادي في البحوث النفسية: دراسة عاملية، في أحمد عبد الخالق (محرر)، بحوث في السلوك والشخصية، (المجلد الأول) القاهرة: دار المعارف، 1981، ص ص 199- 220.

13- حسين (محي الدين أحمد)، مشكلات التفاعل الاجتماعي بين التحديد والمعالجة، القاهرة: دار المعارف، 1982.

14- حسين (محي الدين أحمد)، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

15- خليفة (عبد اللطيف)، ارتقاء نسق القيم لدى الفرد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988، (غير منشورة).

16- خليفة (عبد اللطيف)، دراسات في سيكولوجية المسنين، القاهرة: الأنجلو المصرية 1991.

17- خليفة (عبد اللطيف)، عبد الحميد (شاكر). علاقة المستوى الاجتماعي والاقتصادي للوالدين بكل من حب الاستطلاع والإبداع لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية. مجلة علم النفس، العدد15 , 1990، ص ص 120- 138.

18- درويش (زين العابدين)، نمو القدرات الإبداعية. دراسة ارتقائية باستخدام أسلوب التحليل العاملي. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1974.
19- درويش (زين العابدين)، المستوى الاجتماعي-الاقتصادي محاولة أولية لتقديره على أساس الوضع المهني للفرد في المجتمع المصري، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد 13، العدد 2، مايو 1976، ص ص 55- 77.
20- درويش (زين العابدين)، مكانة المهنة وظروف التغير في المجتمع المصري المعاصر. الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد الرابع، دار ا لمعا رف 1983.
21- سميث (ج. ملتون)، الدليل إلى الإحصاء في التربية وعلم النفس، (ترجمة إبراهيم بسيوني عميرة). القاهرة: دار المعارف، 1985.
22- السهروردي (أبو نجيب ضياء الدين)، آداب المريدين. القاهرة: دار الوطن العربي).
23- سويف (مصطفى)، التطرف كأسلوب للاستجابة، القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1968.
24- سويف (مصطفى)، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي: دراسة ارتقائية تحليلية. (الطبعة الثالثة) القاهرة: دار المعارف 1970. (أ).
25- سويف (مصطفى)، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، «ب».
26- سويف (مصطفى)، الحروب وأسباب اختلال اللياقة النفسية. القاهرة: مجلة الهلال، مارس 1991. (أ).
27- سويف (مصطفى)، الآثار النفسية للبطالة. القاهرة: مجلة الهلال. يوليو 1991 «ب».
28- سويف (مصطفي)، السيد (عبد الحليم محمد)، درويش (زين ا لعابدين) منورة (مصري)، يونس (فيصل)، نجيب (محمد)، طه (هند)، يوسف (جمعة)، عبد ا لمنعم (ا لحسين)، بدر (خالد)، أبو سريع (أسامة) سعد (أحمد). المخدرات والشباب في مصر. بحوث ميدانية في مدى انتشار المواد المؤثرة في الحالة النفسية داخل قطاع الطلاب، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1987.
29- السيد (أحمد)، دراسة لبعض أساليب التنشئة الوالدية المسئولة عن رفع مستوى الطموح في ضوء بعض المتغيرات الديموجرافية، مجلة علم النفس، العدد الثالث عشر، 1990، ص ص 170- 173.
30- السيد (عبد الحليم محمود)، علم النفس الاجتماعي والإعلام: المفاهيم الأساسية، القاهرة: دار المعارف 1979.
31- السيد (عبد الحليم محمود)، الأسرة وإبداع الأبناء، القاهرة: دار المعارف 1980
32- السيد (عبد الحليم محمود)، مخاطر الاعتماد على ثبات عينة محدودة في بحوث العينات الكبيرة: دليل على عدم ملاءمة الأسلوب الكلاسيكي في حساب الثبات. القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المؤتمر الدولي الخامس للإحصاء والحسابات العلمية، 1980.
33- السيد (عبد الحليم محمود)، الترتيب القيمي لمشكلات المجتمع المصري، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية 1986.
34- السيد (عبد الحليم محمود)، تعريفا وتمهيدات، في عبد الحليم محمود السيد أتخرين (محرر) علم النفس العام، (الطبعة الثالثة)، القاهرة: مكتب غريب، 1995، ص 11- 70.
35- الشاروني (يوسف)، الحب والصداقة في التراث العربي والدراسات المعاصرة، (الطبعة

الثانية)، القاهرة: دار المعارف 1982.
36- طه (هند سيد)، تدخين السجاير طويل المدى: دراسة للأداء على بعض الاختبارات النفسية الموضوعية، رسالة دكتوراه-كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1988 (غير منشورة).
37- طريف (شوقي)، أبعاد السلوك التوكيدي وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1988، (غير منشورة). 38- عبد الحميد (شاكر)، الطفولة والإبداع (الجزء الثاني) الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، 1989.
39- عبد الله (معتز سيد)، الاتجاهات التعصبية، الكويت: عالم المعرفة 1989، عدد 137.
40- عبد المجيد (فايزة يوسف)، التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها ببعض سمات الشخصية وانساقهم القيمية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1980، (غير منشورة).
41- عبد المنعم (الحسين)، العلاقة بين التعليم الرسمي والأداء المعرفي في بيئة ريفية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (غير منشورة).
42- العسكري (أبو هلال)، الفروق في اللغة، (الطبعة الثانية)، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1977.
43- عفيفي (الهام)، المرأة المسنة في المجتمع المصري: دراسة عن المرأة بعد سن الستين، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1990.
44- الغريب (رمزية)، التقويم والقياس النفسي والتربوي، القاهرة: الأنجلو المصرية 1981.
45- الغزالي (أبو حامد)، بداية الهداية، بيروت: دار الجبل 1988.
46- الغزالي (أبو حامد) أحياء علوم الدين (الجزء الثاني)، القاهرة: دار أحياء الكتب العربية: الحلبي وشركاه (د. ت).
47- فراج (محمد فرغلي)، مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1971.
48- كارنيجي (ديل)، كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس ؟. (تعريب عبد المنعم محمد الزيادي) (الطبعة الثانية). القاهرة: مكتب الخانجي، 1951.
49- الماوردي (أبو حسن البصري)، أدب الدنيا والدين، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
50- مليكة (لويس كامل)، سيكولوجية الجماعات والقيادة (الجزء الأول) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989.
51- منسي (محمود عبد الحليم)، العلاقة بين القدرة على التفكير الابتكاري والمستوى الاجتماعي الاقتصادي لدى أطفال المرحلة الابتدائية، في أحمد عبد الخالق (محرر) بحوث في السلوك والشخصية، القاهرة: دار المعارف 1981، ص ص 187- 198.
52- منسي (محمود عبد الحليم)، بعض العوامل المرتبطة بالتأخر الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالإسكندرية، في أحمد عبد الخالق (محرر). بحوث في السلوك والشخصية، (المجلد الأول)، القاهرة: دار المعارف 1981، ص ص 169- 185.
53- هول (كالفين) وليندزي (جاردنر)، نظريات الشخصية (ترجمة فرج أحمد فرج، قدري حفني ولطفي فطيم) (الطبعة الثانية). القاهرة: دار الشايع للنشر 1978.
54- هولاند (كورنيليوس) وسيجلوا (ا كبر ا كوبا)، التعلم بالملاحظة: باندورا. في ج. غازدا، جي. كورسيني. (محرر). نظريات التعلم: دراسة مقارنة (الجزء الثاني) (ترجمة: علي حسين حجاج) الكويت عالم المعرفة، 1986، ص ص 143- 202.

المؤلف في سطور

د. أسامة سعد أبو سريع

* من مواليد جمهورية مصر العربية عام 1975.
* حصل على الليسانس في علم النفس من جامعة القاهرة عام 1980.
* حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة أيضا عام 1991.
* شارك في مؤتمرات عدة.
* شارك في تأليف كتب عدة منها:

«المخدرات والشباب في مصر»، كما أسهم في العديد من المشروعات البحثية، ونشر عدة بحوث في مجالات علم النفس الاجتماعي.

* عضو في البرنامج الدائم لبحوث تعاطي المخدرات في القاهرة.
* يعمل حاليا مدرسا لعلم النفس في كلية الآداب-جامعة القاهرة.



آفاق حديثة في علاج
اضطرابات سلوك الطفل

تأليف:

د. عبدالستار إبراهيم- د. عبدالعزيز الدخيل - د. رضوى إبراهيم